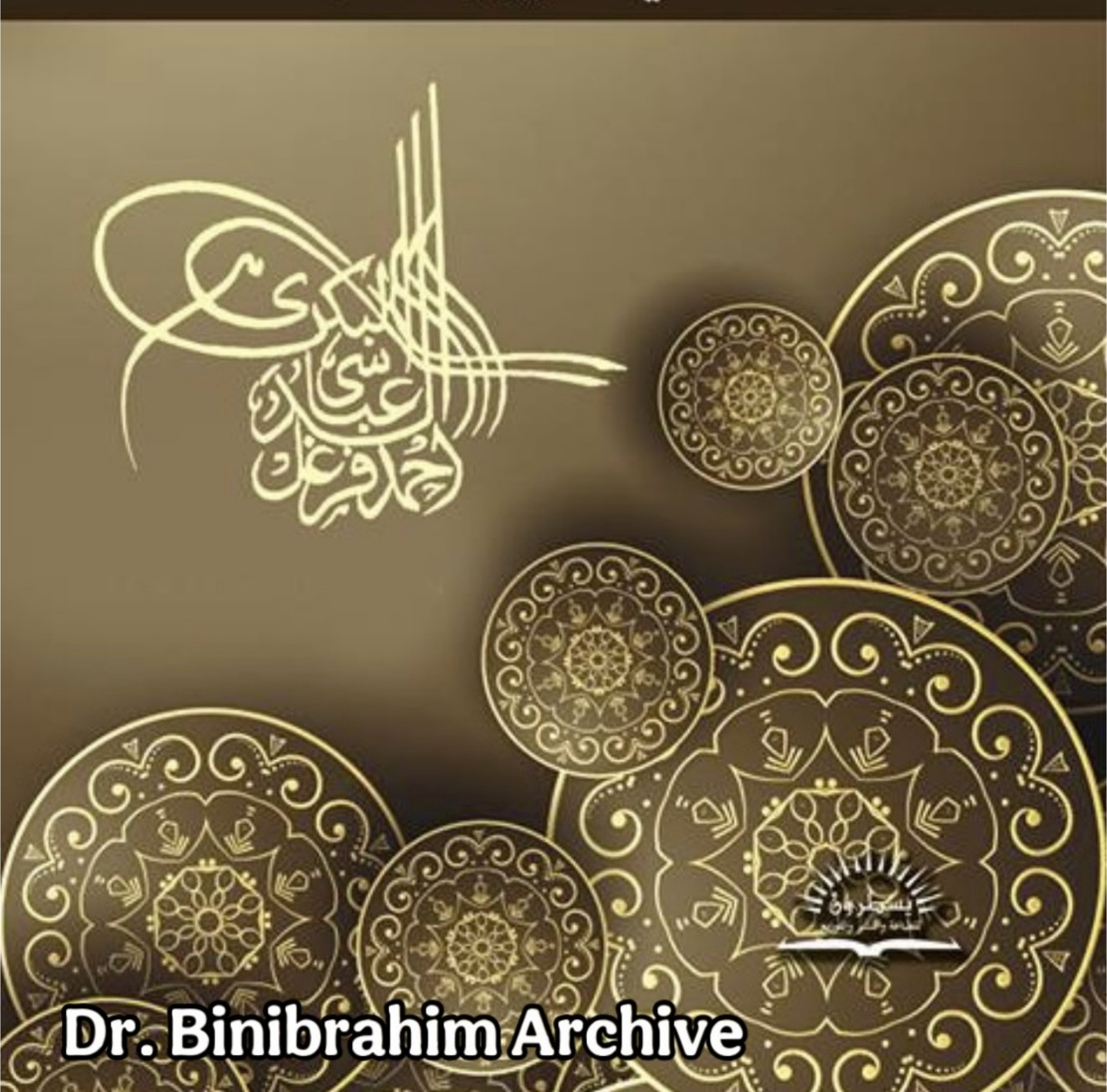
أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي

كُنَّاشَة الدِعْباسي

مقالات في التاريخ والأنساب





كُنَّاشة الدِّعْباسي

المؤلف في سطور:

- أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي البكري باحث شاب، من مواليد محافظة قنا بصعيد مصر سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- أمين عام ورئيس لجنة تحقيق الأنساب لمشيخة السجادة البكرية الصديقية.
- عضو اللجنة العلمية لبحوث التاريخ والأنساب بالسجادة العنانية العمرية.
- حاصل على منحة التفرغ للبحث العلمي في العلوم الاجتماعية من وزارة الثقافة المصرية لسنة ٢٠١٦ م
- صدر له:

١- كتاب: السلالة البكرية الصديقية "موسوعة في جزأين" ط ٢٠١٤ م.
٢- كتاب: إقليم نقادة بصعيد مصر ط ٢٠١٥ م.
٣- كتاب: إزالة الالتباس عن نسب الشيخ عزاز "بالإشتراك" ط ٢٠١٦ م.
٤- كتاب: كُناشة الدعباسي ط ٢٠١٧ م.

يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي

كُنَّاشة الدِّعْباسي

يسطرون

تصميم الغلاف: محمد عطية

كُناشةُ الدِعباسي

مقالات فى التاريخ والأنساب

أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي البكري

كُناشةُ الدِعباسي

مقالات فى التاريخ والأنسابِ

أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي البكري

كنـاشة الدعباسي

تأليــف

أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي البكري

مقـدمــة للكتــاب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. سبحان القائل في مُحكم التنزيل (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) القلم: ١، أرسل رسوله مُعلماً، وهادياً، ورحمة للعالمين، وجعل العلماء ورثة للنبيين، سبحانه الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وبعد:

فهذه كُنَّاشَة: جمعتُ فيها بعض البحوث والمقالات والخواطر التي كنت قد كتبتها خلال السنوات الخمس الماضية، ونشرت بعضها – أكثر من مائة موضوع – في مدونتي الإلكترونية «مدونة أحمد فرغل الدعباسي» وببعض الصُحف والمواقع الثقافية بشبكة الإنترنت، فانتخبت لهذه الكناشة أهم ما كتبته ونقلته من فوائد وفرائد وبحوث تاريخية وتراثية، وكان ذلك الأمر استجابة لنصيحة صديقنا الفاضل الشريف الشاذلي عباس محمد محمود بخيت الجعفري الحسيني القنائي، مشيراً لأهمية جمع شتات هذه الأمور في دفتر جامع حافظ.

وقد كان أهل العلم ينصحون بتقييد وتدوين العلم لحِفظه، ومن أساليبهم في التدوين هذه: «الكُنَّاشَة» كما عرفها المغاربة، أو «التذكرة» كما عرفها المشارقة.

وهذه هي «الكُناشة الدِعْباسِيَّة» بين أيديكم، أرجو من الله أن تُفيد المطالع، وأن يتقبلها في العلم النافع.

وإن كنتُ آثرت الانتظار طويلاً ريثما يكتمل عندي القدر الكاف من البحوث والمقالات المفيدة المُؤهَّلة للانضمام للكناش هذا، غير أنّي صرفت النظر عن طول الانتظار هذا، متمثّلاً للحكمة الصينية التي أوردها «ول ديورانت» في «قصة الحضارة» فقال: ينبغي على المؤلف الذي أنهكه التعب أن يشاطر «تاي

تنج» الذي نشر في القرن الثالث عشر كتابه عن «تاريخ الكتابة الصينية» حيث قال: "لو كنت لأنتظر الكمال، لما فرغت من كتابي إلى الأبد»[1].

وفي الختام: أُصلّي وأسلّم على خير الأنام، ومصباح الظلام، سيدنا محمد – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الباحث

أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي البكري الصديقي

يوم الاثنين ٢٥ محرم ١٤٣٩ هـ – ١٥ أكتوبر ٢٠١٧ م

محافظة قنا – صعيد مصر

(١) قصة الحضارة، مقدمة الجزء الأول صـ ١٦-١٧

معنى الكُنّاش / الكُنَّاشَة

ذَكَر أهل العلم: أن الكُنّاش كلمة سُريانية – آرامية – الأصل، وتعني «المجموع أو الحاوي»، وتُجمع على: كُنّاشات و كنانيش، وقد أطلق العرب اسم «كُنّاش» على كل مكتوب يختص بالطب والعلاجات، و من ذلك كتاب علي بن العباس المجوسي الذي عنوانه: (الكناش الملكي) أو (الكناش العضدي)، وكذلك كتاب (كامل الصناعة الطبية في الطب).

ومن أشهر الكناشات: «كُناشة النوادر» للشيخ المحقق عبد السلام محمد هارون (المتوفى سنة ١٤٠٨ هـ)، وله تفصيل جيد عن هذه «الكنانيش» فيقول – رحمه الله – في مقدمة كُنّاشته: «تراثنا العربي زاخر بأنواع شتى من المعارف، بها جلاء لكثير من غوامض العلم، كما أنه مشحون بالطرائف، وغذاء الذهن والروح واللسان أيضاً.

وقد كان من سوالف الأقضية: أن أقيد تلك الشوارد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً؛ فإن الحكيم العربي كان يقول – وقوله الحق: (العلم صيد، والكتابة قيد، وإذا ضاع القيد ذهب الصيد).

وكثيراً ما يقرأ الإنسان شيئاً فيعجبه ويظن أنه قد علق بذاكرته، فإذا هو في الغد قد ضاع منه العلم، وضاع معه مفتاحه، فانتهى إلى حيرة في استعادته واسترجاعه.

والباحثون، ولاسيما في أيامنا هذه، يقيدون هذه المعارف في جذاذات يرجعون إليها عند الحاجة. ولكني سلكت طريقاً أوثق من طريق الجذاذات هو: (دفتر الفهرس) وهو الذي سميته: (كناشة النوادر).

أقيّد فيها رؤوس المسائل مرتبة علي حروف الهجاء، مقرونة بمراجعها، وقد وجدت أن هذه التسمية مع ما فيها من التوليد أو التعريب - أقرب في الدلالة وأدق في التعبير.

ففي القاموس: كُنّاشات بالضم والشد: الأصول التي تتشعب منها الفروع. وعلق صاحب تاج العروس بقوله: نقله الصاغاني عن ابن عباد. وإذن فهنا أصل عربي يولد منه كناشة الأوراق.

ويعقب عليه صاحب التاج أيضاً بقوله: قلت ومنه كناشة الأوراق: تُجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط، هكذا يستعمله المغاربة، واستعمله شيخنا - يعني ابن الطيب الفاسي اللغوي - في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً. يعني حواشي ابن الطيب على القاموس، أما الخفاجي في (شفاء الغليل) فيضبطه بلفظ (كُنَاش) بضم الكاف وتخفيف النون بزنة (غُرَاب) ويقول: إنه لفظ سرياني معناه: المجموعة والتذكرة، وقد وقع هذا اللفظ كثيراً في كلام الحكماء، وسمّوا به بعض كتبهم.

وببحثي في: (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) للقفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ وجدته يذكر الطبيب: يوسف الساهر ويقول: كان طبيباً في أيام المكتفي الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٩٥ هـ ثم يسرد من تصانيف يوسف الساهر هذا: (كتاب الكناش).

وقال إنما سُمِّي الساهر لأن سرطاناً كان في مقدم رأسه، فكان يمنعه النوم فلقب الساهر من أجل ذلك. وقول القفطي: واذا تأمل متأمل كناشه رأي فيه أشياء تدل على أنه كان به هذا المرض.

فهذا من أقدم التسميات، كما أن من أقدمها ما عثرت عليه في (كشف الظنون

من الكناش المنصوري) للطبيب المعروف محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١ هـ صاحب الحاوي والطب الملوكي، ألّف هذا الكناش للأمير منصور بن اسحاق بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٣٠٢ هـ.

وكذلك كناش أعين بن أعين الطبيب المصري المتوفى سنة ٣٨٥ هـ. وأعتقد أني بذلك قد أطلت واستطردت في تعليل تسمية مذكراتي هذه باسم: «كناشة النوادر». (انتهى قول الشيخ عبد السلام هارون).

ومما تيسر لي جمعه من أسماء التواليف المعنونة بالكُناش:

١- الكناش الكبير: لعيسى بن حكم الدمشقي الطبيب، من علماء هارون الرشيد.

٢- كناش: في الطب، ليحيى بن سرابيون بن إبراهيم الأكبر المعروف بالدمشقي، من معاصري أبو بكر زكريا الرازي.

٣- الكناش: في العلوم من النحو وغيره، للملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل بن على بن المظفر تقي الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي الشافعي، صاحب حماة، ولد سنة ٦٧٢ هـ وتوفى سنة ٧٣٢ هـ.

٤- الكناش: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المعروف بزروق الفاسي المالكي الصوفي، ولد سنة ٨٤٦ هـ وتوفي في طرابلس الغرب سنة ٨٩٩ هـ.

٥- كناش الخف: لإسحق بن حنين بن اسحق أبو يعقوب العبادي الطبيب النصراني، توفى سنة ٢٩٩ هـ.

أقول: أُلاحظ هنا أن ابن "حنين" اختار لكناشته اسم "الخف"!، ألا يُذكّرنا هذا بـ (خُفّي حنين)؟!

٦- كناش: في الطب، لأصبغ بن محمد أبو القاسم المهندس الغرناطي المعروف بابن السمح الحكيم توفى سنة ٤٢٦ هـ.

٧- كناش: ويُعرف بالذخيرة، لثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس الحراني الصابي أبو الحسن رئيس المنجمين والأطباء ببغداد، ولد سنة ٢١١ هـ وتوفي سنة ٢٨٨ هـ ببغداد.

٨- كناش المحاسني: لإسماعيل بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقيّ، خطيب الجامع الأموي وإمامه، توفي سنة ١١٠٢ م.

٩- الكناش الكبير "الكافي": وأيضاً الكناش الصغير، لجبريل بن عبيد الله بن بختيشوع بن جورجيس الطبيب، أبو عيسى المسيحي، توفي سنة ٣٩٦ هـ.

١٠- كناشة الجلال: في الطب، لخضر بن علي بن مروان بن علي بن حسام الدين القونوي الأصل المعروف بحاجي پاشا الآيديني ثم المصري الحنفي الطبيب، توفي سنة ٨٢٠ هـ.

١١- فردوس الحكمة في كناش الحضرة: لعلي بن سهل بن ربن الطبري أبو الحسن الطيب البغدادي من ندماء المعتصم بالله العباسي كان يهودياً ثم أسلم، توفي في حدود سنة ٢٦٠ هـ.

١٢- كناش المعالجات البقراطية: في الطب، لأحمد بن محمد أبو الحسن الطبري المتوفى نحو سنة ٣٦٠ هـ.

١٣- كناش: في الطب، لجرجس بن جبرئيل طبيب، سرياني الأصل. وهو أبو بختيشوع الطبيب، توفي بعد سنة ١٥٢ هـ.

١٤- كناش: في الطب، لبختيشوع بن جرجس، طبيب سرياني الأصل مستعرب، توفي نحو سنة ١٨٤ هـ.

١٥- كناش: في الطب، لجبرئيل بن بختيشوع بن جرجس، طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله، توفي سنة ٢١٣ هـ.

١٦- كناش: في الطب، لأعين بن أعين المصري المتوفى سنة ٣٨٥ هـ.

١٧- كناش الأديرة والرهبان: للمختار بن الحسين بن عبدون بن سعدون بن بطلان المسيحي البغدادي، أبو الحسن الطبيب الشهير بابن بطلان، توفي سنة ٤٦١ هـ.

١٨- كناش الدروس الفقهية: لمحمد بن العربي زويتن.

١٩- كناش الفاخر في الطب: لمحمد بن زكريا الرازي، توفي سنة ٣١٣ هـ.

٢٠- كناش: في الشعر، لخليل بن محمد بن إبراهيم بن منصور الفتال الدمشقيّ، توفي سنة ١١٨٦ هـ.

٢١- كناش: لأبي بكر يحيى بن يحيى ابن السمينة، عالم متفنن أندلسي، توفي سنة ٣١٥ هـ.

٢٢- كناش السامري: لأبي يوسف موفق الدين يعقوب بن غنائم السامري، طبيب، باحث، من أهل دمشق، توفي سنة ٦٨١ هـ.

٢٣- كناش: لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن حسين بن درويش الحسيني النقيب، توفي سنة ١١٥٣ هـ.

٢٤- كناش علم وعمل: في الطب، لسعيد بن البطريق، طبيب مؤرخ من أهل مصر، توفي سنة ٣٢٨ هـ.

٢٥- كناش: تاريخ، لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفهري الفاسي المتوفى سنة ١١٧٩ هـ.

٢٦- كناش مجمع اللطائف: لمحمد شكري المكيّ، أديب متفنن من أهل مكة، توفي بالقاهرة سنة ١٣٣٣ هـ.

٢٧- كناش: في الفقه، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القوي بن بدران المرداوي المقدسي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ.

٢٨- كناش: لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقيّ الصالحي الحنفي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ.

٢٩- كناش: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علال ابن سودة، المتوفى سنة ١٢٨٤ هـ.

٣٠- كناش الدشتة: في الرحلات والتاريخ، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد السَّقَّاف الحسيني المتوفى سنة ١١١٣ هـ.

٣١- كناش الحائك: لمحمد بن الحسن الحائك.

٣٢- كناش صهاربخت: في الطب، لصهاربخت بن ماسرجيس.

٣٣- كناش: لحسين نعليجة جلي زاده.

٣٤- كناش خليل الرومي: لخليل بن مصطفى بن أحمد الرومي المتوفى سنة ١٢٢٠ هـ.

٣٥- كناشة علمية: لأحمد بن محمد الصبيحي السلاوي المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ.

٣٦- كناش ابن سينا: في الطب، للحسين بن عبد الله بن الحسن ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ.

٣٧- كناش: لعمر بن القاسم بن محجوب التونسي المتوفى سنة ١٢٢٢ هـ.

٣٨- كناش الخولي: في الفلسفة، لأمين الخولي، من أعضاء المجمع اللغوي بمصر، توفي سنة ١٣٨٥ هـ.

٣٩- كناشة النوادر: للشيخ المحقق عبد السلام محمد هارون، المتوفى سنة ١٤٠٨هـ. انتهى.

المُشبَّهون بالرسول على مر العصور

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، النبي العربي القرشي الهاشمي صاحب الوجه المنير، والفعل الجميل. وبعد:

فقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، موسومًا بالجَمال؛ وليس في ذلك أبلغ مما قاله شاعر الرسول، حسان بن ثابت الأنصاري، رضي الله عنه، ممتدِحًا إياه قائلاً:

وأحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عَيني ... وأجملُ منكَ لم تَلِدِ النساءُ
خُلقتَ مُبرَّأً مِن كلِّ عَيبٍ ... كأنكَ قد خُلقتَ كما تَشاءُ

وقد وصفه خادمه أنس بن مالك، رضي الله عنه، قائلاً: «كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رَجِل الشَّعر، ليس بالسَّبط ولا الجعْد القطَط، أزهر، ليس بالآدَم ولا الأبيض الأمْهَق، كان رَبعة مِن القوم، ليس بالقصير ولا الطَّويل البائن، بُعث على رأس أربعين، أقام بالمدينة عشرًا، وبمكَّة عشرًا، وتوفِّي على رأس ستِّين سنة، ليس في رأسِه ولا في لحيتِه عشرون شَعرةً بيضاء». رواه مسلم.

وقد نقلت لنا كتب السير والتراجم أن رجالاً قد أنعم الله عليهم بأوصاف تشبه أوصاف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، – حتى أن هذا التشابه قد دفع المشركين في غزوة أُحُد لقتل الصحابي الجليل مُصعب بن عمير العَبدريَّ القرشي؛ ظنًّا منهم أنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لشبهِه الشديد به.

ومن هؤلاء المُشَبَّهين برسول الله – صلى الله عليه وسلم:

١– آدم عليه السلام: آدم أبو البشر، صلى الله عليه وسلم، ذكر هذا محمد

بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفَّى سنة ٩٤٢ هـ) صاحب «سبُل الهُدى والرشاد، في سيرة خير العباد» نقلاً عن صاحب «استجلاب ارتقاء الغُرَف، بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف».

٢- الخليل إبراهيم: نبي الله الكريم، وأحد أولي العزم من الرسل، كان يُشبِه سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر هذا سيدُنا رسولُ الله في حديث الإسراء والمعراج فيما رواه البخاري، حيث قال عن نفسه: «وأنا أشبهُ ولدِ إبراهيم – عليه السلام – به».

٣- الحسن السبط: هو الإمام الحسن بن الإمام عليٍّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي، رضي الله عنهما – أمه السيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها – وُلد في المدينة المنوَّرة سنة ٣ هـ وتوفي في سنة ٥٠ هـ، وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في حقه: "إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلِح به بين فئتَين عظيمتَين". رواه البخاري. وكان يُشبه رسولَ الله، صلى الله عليه وسلم، ما بين الصَّدر إلى الرأس، فقد رآه أبو بكر الصدِّيق، رضي الله عنه، يَلعب، فأخذه وحمَله على عاتقه، وأخذ يقول: «بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهًا بعلي»، وعليٌّ يضحك! رواه الإمام أحمد.

٤- الحُسَين السبط: هو الإمام الشهيد الحسين بن الإمام عليٍّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي، رضي الله عنهما – أمُّه السيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها– وهو شهيد كربلاء، ولد في شهر شعبان سنة ٤ هـ، وقُتل في يوم عاشوراء في المحرَّم من سنة ٦١ هـ.

٥- جعفر الطيَّار: هو جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبدالمطَّلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عمِّ رسول الله، وشقيق الإمام علي بن أبي طالب،

من أوائل المسلمين وأفاضلهم، كان يُلقَّب بأبي المساكين؛ لحبِّه إياهم، هاجَر للحبَشة، وقَدم على رسول الله إبَّان فتح خيبر، واستُشهد بموقعة مؤتة سنة ٨ هـ، وهو أول مَن عَرْقَبَ فرسَه في سبيل الله.

٦- عبدالله بن جعفر الطيار: هو عبدالله بن جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبدالمطَّلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أحد الأجاويد المَعدودين، وأحد أكابر رجالات بني هاشم، مَشهور بالجُود والكرم، أمه أسماء بنت عُمَيس الخثعميَّة، وُلد بالحبشة.

٧- قُثَم بن العباس: قُثَم بن العباس بن عبدالمطَّلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عمِّ رسول الله، أدرك الإسلام وهو صغير، ومرَّ به النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو يلعب، فحمَله، وَلِيَ المدينة المنوَّرة لعليٍّ بن أبي طالب، وخرَج إلى سمرقَند في أيام مُعاوية بن أبي سفيان، فاستُشهد بها، ويُروى عن العباس بن عبدالمطَّلب، رضي الله عنه، أنه قال في حقِّ ولده قُثَم بن العباس:

حِبِّي قُثَم، حِبِّي قُثَمْ ... شَبيه ذي الأنف الأشَمّْ
نَبِيِّ ربِّ ذي النِّعَمْ ... برغْم أنْفِ مَن رَغِمْ

٨- أبو سفيان بن الحارث: هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطَّلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عمِّ رسول الله، وأخوه من الرضاعة، وكان ممَّن يؤذي الرسول، صلى الله عليه وسلم، بالشِّعر ويَهجوه ويؤذي المسلمين قبل إسلامه، أسلم يوم الفتح، وشَهد حُنَينًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وكان ممن ثبَت مع رسول الله يومَها، وكان مُحبَّبًا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

٩- عبدالله بن نوفل بن الحارث: هو عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطَّلب

بن هاشم القرشي الهاشمي، وهو أول مَن وَلِيَ القَضاء بالمدينة في خلافة معاوية، رضي الله عنه.

١٠- مُسلِم بن مُعتِّب بن أبي لهب: هو مُسلِم بن مُعتِّب بن أبي لهب بن عبد المطَّلب بن هاشم القرشي الهاشمي.

١١- السائب بن عُبيد بن عبد يَزيد: هو السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلب بن عبد مناف بن قُصيٍّ بن كِلاب القرشي المُطَّلِبي، أُسر يوم بدر، وهو جدُّ الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب.

١٢- مصعب بن عُمير: هو مُصعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار بن قُصيٍّ بن كِلاب القرشي العبدري، أحد أكابر صحابة رسول الله، وهو أول سفير في الإسلام بالمعنى المعروف، قتَله ابن قمئة في غزوة أُحُد؛ حيث ظنَّ أنه رسول الله لشبهِه الشديد به.

١٣- كابِس بن رَبيعة: هو كابِس بن رَبيعة بن مالك بن عديٍّ بن الأسود بن جشم بن رَبيعة بن الحارِث بن سامَة بن لؤيٍّ، مِن بني سامة بن لؤي بن غالب بن فهْر القُرَشي، وهو بَصري، ويُروى أن أهل بلده كتبوا إلى معاوية بن أبي سفيان: إن الناس قد فُتنوا برجل يُشبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم! فكتب معاوية إلى عامله عليها، وهو عبدالله بن عامر بن كُريز أن يُوفده إليه، فأوفد كابسًا، فلما دخل إلى معاوية نزَل عن سريره ومشى إليه حتى قبَّل بين عينَيه، وأقطَعه المرغاب؛ إكرامًا له لشبهِه برسول الله - صلى الله عليه وسلم.

١٤- عليٌّ بن نِجاد اليَشكُري: هو علي بن علي بن نجاد بن رِفاعة الرِّفاعي اليَشكُري، أبو إسماعيل البَصري، مِن بني بكر بن وائل، مِن رواة الحديث الشريف.

١٥- يحيى الشَّبيه: هو يحيى الشبيه بن القاسم بن محمد الديباج - ويُلقَّب أيضًا بالمأمون - بن جعفر الصادِق بن محمد الباقِر بن علي زين العابِدين بن الحُسَين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي الحُسَيني، مِن آل بيت النبوة، رضي الله عنهم - لُقِّب السيد يحيى بالشبيه؛ لأنه كان يُشبِه جدَّه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويُلقَّب أحفادُه اليوم ببني الشبيه أو الشبيهيِّين.

١٦- الشبيه الزَّيدي الحُسَيني: توجَد أسرة مِن بني زيد الشهيد بن علي زين العابدين بن الحُسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم - تُدعى ببني الشبيه، والشَّبيه لقَب أحد أجدادِهم؛ لأنه كان يُشبِه جدَّه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويَتكرَّر لقب الشبيه في ألقاب رجالات أهل البيت النبويِّ الشريف، وهذا نظنُّه لوجود كثير مِن أحفاد الرسول ممن قد وَرِثوا شبه جدِّهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

١٧- الشبيه الإدريسيُّ الحسَني: توجد أسرة مِن السادة الجوطيِّين الأدارِسة مِن بني الحسَن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم - تُدعى ببني الشبيه أو الشبيهيِّين، والشبيه لقب أحد أجدادِهم، وهو الشريف مولاي أحمد بن عبد الواحد، ولقِّب بالشبيه لوجود العلامة بكتفِه الأيمن كما كانت عند جدِّه سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

١٨- المهدي خليفة آخِر الزمان: هو محمَّد بن عبد الله القرشي الهاشمي الحسَني، الملقَّب بالمهدي، خليفة آخِر الزمان، وهو يُشبِه رسول الله - فعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال - وأشار إلى ولده الحسن بن علي -: «إن ابني هذا سيد - كما سماه النبي، صلى الله عليه وسلم، وسيخرج مِن صُلبه رجل يُسمَّى باسم نبيِّكم، يُشبِهه في الخُلُق، ولا يُشبِهه في الخَلْق، يملأ الأرض عدلاً»؛ أخرجه أبو داود في سننه.

وقد نفى بعضُ العُلماء أن يكون المهديُّ شبيهًا لرسول الله؛ لقولهم: إن الحديث السابق يقول: إنه يُشبِهه في الخُلُق - بضم الخاء واللام - ولا يُشبِهه في الخَلْق بفتح الخاء؛ أي: إنه يُشبهه في السيرة، ولا يُشبِهه في الصورة.

وهنا نقول: ترى هل لبشر أن تكون سيرته كسيرة سيدنا رسول الله، الذي امتدحَه ربُّ العزة فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)؟! ثم إن الإمام الألباني قد ضعَّف هذا الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، وكذلك هناك أحاديث أخرى تَذكُر صفات وملامح المهدي، وهي مُتطابِقة مع ملامح ووصف رسول الله، مثل أنه أجلى الجبهة، وأقنى الأنف، والله أعلم بالصواب.

وقد أحصى الإمام العلامة شيخ الإقراء بدمشق في زمانه، وإمام جامعها أبو العباس أحمد شهاب الدين الرَّملي ثم الدِّمَشقي الشافعي، بعض أسماء مَن كانوا يُشبِهون رسول الله، فقال:

بالمُصطفى شُبِّه بعضُ الناسِ فاحفظهمُ ولا تكن بالناسي
فاطمةُ الزهراء وابناها الحسَنْ ثم حُسينٌ وكلاهما حسَنْ
وابنُ رسول الله إبراهيمُ ونوفلُ بنُ الحارثِ العظيمُ
وابنُ ابنه انشرْ بالجميلِ ذِكرَهْ أبو محمَّد أمير البَصرَهْ
وجعفَرٌ وابناه عبدالله وعَونًا اذْكرْ لا تكنْ باللاهي
وابنا عَقيل وهما محمَّدُ ومُسلمٌ والسائب المُمجَّدُ
ابن يَزيد وهْو جدُّ الشافعي إمامنا الأعظم نجْلِ شافِعِ
والحَبرُ عبدالله ذا ابن عامرِ ابن كُريز العَبشميّ الفاخرِ
وكابِس والِدُه رَبيعَهْ ابن عدي نِسبةٌ رَفيعَهْ
كذا عليٌّ بن عليّ بن نجادْ ابن رِفاعةَ الرِّفاعيّ الجوادْ
اليَشكُري وعُدَّ بعد اليَشكُري يَحيى هو ابن القاسم بن جعفَرِ
ابن محمدٍ ومولانا علِي ابن حسين بن عليٍّ الولي
وولد العباس وهْو قُثَمُ وابن مُعتِّب المسمى مُسلِمُ

والقاسم الثَّبْت ابن عبدالله | بن محمد عظيم الجاه
فجدُّه عقيلٌ الكريمُ | كذا ابنُ عبدالله إبراهيمُ
وجدُّه فالحسن بنُ الحسنِ | ابن عليٍّ يا لهُ من مُحسنِ
والسيدُ المهدي الَّذي سيَظهرُ | قُبَيل عيسى وبهِ يُبشَّرُ
وابن أبي طلحةَ عبدالله | وذاك خَولاني بلا اشتباهِ
وابنُ عُوانةَ الشريفُ المَغربي | أحمدُ لُقِّبَ الشبيهَ بالنبي
قد جاء في تاسعِ قرنٍ قد مضَى | ووجْهُه على البُدور قد أَضَا
وقد رأيتُه لطيفَ الذاتِ | مُمدَّحًا بأحسنِ الصِّفاتِ
وذكَروا عُثمانَ في التشبيه | بالُمصطَفى وليسَ بالوَجيه
وأثَرٌ فيه أتى موضُوعُ | مُختلَقٌ في شبهِه مَصنوعُ
وهْو جَميلُ الذِّكْرِ عالي الدرَجهْ | وبابنتَيه المُصطفى قد زوَّجَهْ
صلَّى عليه ربُّنا وسلَّما | والآلِ والصَّحبِ الكِرام العُظَمَا

فاللهم صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبِه وسلِّم.

المصادر والمراجع

١. معرفة الصحابة؛ لأبي نعيم (٢: ٦٦٢).

٢. تاريخ الإسلام؛ للذهبي ط: التوفيقية (١٠: ٢٠٣).

٣. الإصابة في تمييز الصحابة (٧: ١٥١).

٤. دلائل النبوة؛ للبيهقي (١: ٢٠٣).

٥. ذخائر العُقبَى في مناقب ذوي القُربى؛ لمحب الدِّين الطبري (١: ٢٤٢، ٢٤٥)

٦. سبل الهدى والرشاد؛ لمحمد بن يوسف الشامي (١١: ١٣٦، ٤٥١)، و(٢: ١١٨)

٧. السيرة النبوية؛ للدكتور الصلابي (١: ٧١٠).

٨. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة؛ للسخاوي (١: ٢٨١).

٩. الأعلام؛ للزِّركلي (٥: ١٩٠).

١٠. إكمال تهذيب الكمال (٣: ٢٢٢).

١١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥: ١٦٤، ٢٢٥، ٢٨٣)

١٢. تاريخ ابن خلدون (٢: ٣٩٣)

١٣. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١: ٤٠٧)

١٤. جمهرة أنساب العرب؛ لابن الكلبي (١: ٢٨).

١٥. العباب الزاخر واللباب الفاخر (١: ١٧٩).

١٦. زاد المعاد في هدي خير العباد (٣: ٢٩٩).

١٧. المحبر؛ لابن حبيب (١: ٤٦، ٤٧).

١٨. عقد الدرر في أخبار المنتظر؛ ليوسف بن يحيى المقدسي (١: ٨٢، ٩٤).

١٩. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة؛ لحمود التويجري (٢: ٢٧٨).

٢٠. الاحتجاج بالأثر على مَن أنكر المهدي المُنتظَر؛ لحمود التويجري (١: ٧١).

٢١. الفخري في أنساب الطالبيِّين؛ للمروزي.

٢٢. المجدي في أنساب الطالبيين؛ لعلي بن محمد العلوي العمري.

٢٣. الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهيَّة؛ لمحمد عبدالكريم الشبيهي.

نسج الخيال ومُنتهى الجمال
(فـى صفـة وحِليــة المشاهير)

تالله ما أنصف من المُحبين إلا قليل! وكيف يكون الإنصاف ومرآة المُحب عمياء كما قال الأولون؟! يُحب الإنسان، فيبالغ في وصف معشوقه حال رؤيته، فيشبهه بالقمر وبالشمس والنجوم، بل ويشبهه بما لم تره عينه كالحور العين! هذا حاله في وصف معشوقه الذي رآه وأبصره، فما بالنا بوصفه لمعشوق له لم يره؟!

قد أحب كل قوم أنبياءهم وعظماءهم وحكماءهم، ومدحوهم بكل قول حسن، وبكل فعل بديع، فرسموا صورهم في بطون الكتب بالقلم والمداد، وصوّروهم على الجدران والأحجار والأخشاب والصلبان، وبالغوا في وصفهم، فتلك شيمتهم، لا تتغير.

أَحَبَ النصارى المسيح ابن مريم الناصري، وهو رجل – مع كونه بلا أب – من بني إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم، إخوة العرب بنو إسماعيل بن إبراهيم، وبنو عمومة الأراميين والكلدانيين والأشوريين وغيرهم من أمم بلاد الهلال الخصيب وشمالي جزيرة العرب، وهم كما هم اليوم في أشكالهم وأبدانهم: لم يتغيروا، إذ لم يتغير مناخ بلادهم عمّا كان عليه منذ ثلاثة آلاف عام.

ومع ذلك فعندما قام نصارى الروم ومن شايعهم برسم صورة المسيح وأمّه رسموهما كأجمل ما يكون الرجل والمرأة: شعرٌ أشقر، وعينٌ خضراء أو زرقاء، وأنفٌ دقيق، وبشرةٌ بيضاء مشربة بحمرة، وكأن المسيح قد وُلِد فوق رُبى سيبيريا أو في سهول جبال الألب؟!

وعلى النقيض: قام الأحباش والزنوج في قارتهم السمراء برسم صورة المسيح بهيئاتهم وألوانهم: شعرٌ أجعد ذو تلافيف، وبشرة سمراء داكنة، وشفاه غليظة، وقوام ممشوق قوي، وكأن العذراء قد ولدت وليدها في حديقة النجاشي؟!

هكذا هي الأمم دوماً، تُحب فتبالغ في وصف من تحب، كُلٌّ يصف من منظوره وزاويته وحاله، ولم يكن العرب عن هذا ببعيد، خاصة فِرق الروافض ومن على شاكلتهم، إذ بالغوا – بغضاً أو حباً – في وصف أصحاب نبينا الكريم وآل بيته الأطهار، واتّبعوا سنن من كان قبلهم، ولمّا أراد هؤلاء الروافض تصوير شكل الإمام علي بن أبي طالب، فإنهم رسموا له صورة شبيهة بأشكال أهل أوروبا! رغم أنه من غُرر وصميم العرب، ثم شبّهوه بالنبي، صلى الله عليه وسلم، مع أن حِلية الإمام علي- رضى الله عنه - في الكتب تَذكُر أنه كان اسمر اللون، شديد السمرة، ولم يكن طويلاً كما يصورونه، بل إنه كان إلى القصر أقرب،، رضي الله عنه.

بينما كان سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما وُصِف: أبيض اللون، مشرّبًا بحمرة، ولم يكن يشبهه في الخَلق إلا القليل من صحابته وقرابته، ومنهم: الحسن، والحسين، وجعفر بن أبي طالب، وقثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير،، رضي الله عنهم جميعاً.

كما أن بقية نُبهاء العرب في الجاهلية، وأعلامهم في الإسلام، لم يكونوا كما صُوّر لنا في الإعلام المرئي! فقد اعتاد القائمون على هذا الإعلام السيئ أن يصوروا أهل الجاهلية بوجوه وهيئات بشعة دميمة، ثم يُبالغون في تحلية وتجميل أوصاف وهيئات أهل الإسلام؛ نصراً للإسلام بزعمهم! وإن الحق أحق أن يُتبع، فالأمر ليس كما زعموا، وإليكم أمثلة لأوصاف بعض الأعلام في الجاهلية

والإسلام، كما نقلها لنا أصحاب السير والأخبار:

•أبو بكر الصديق[٢]: أبيض، نحيف، عاري الأشاجع "الأصابع"، خفيف العارضين، ناتئ الجبهة، غائر العينين، إحدى عينيه يختلف لونها عن الأخرى "أَخْيَف" دون داء بها[٣]، أحنى الظهر – من أعلاه – قليلاً.

• عمر بن الخطاب[٤]: طويل بائن الطول، أبيض، ثم أصابه السواد عام الرمادة، أصلع شديد الصلع.

• عثمان بن عفان[٥]: اسمر، بوجنتيه نكتات جدري، ربعة ليس بالطويل ولا القصير، كثير شعر الرأس، شعر رأسه إلى أنصاف أذنيه، ولكثرة شعر رأسه ولحيته كان أعداؤه يسمونه نعثلاً.

• علي بن أبي طالب[٦]: اسمر شديد السمرة، ربعة يميل إلى القصر، عريض الصدر، أبيض اللحية، قليل شعر الرأس، وعمّ صلعه بعد أن تقدم في العمر، ضخم البطن.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري، ط الفكر ١٠/ ٥٧، الطبقات الكبرى، ط العلمية ٣/ ١٤٠، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٣٠/ ٢٨، أسد الغابة، ط العلمية ٣/ ٣٢٤، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط العلمية ١/ ٨٣، سير أعلام النبلاء، ط الحديث ٢/ ٢٥٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ط دار صادر ٩/ ١٠١، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري،، ط العلمية ٢/ ٩٣، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ط دار الهداية ٢٣/ ٢٩٦.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري، ط الفكر (١٠/ ٣٩٤، ٤٠٤)، الطبقات الكبرى، ط العلمية ٣/ ٢٣٩، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٤٤/ ١٨، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط دار الجيل ٣/ ١١٤٦، أسد الغابة،، ط العلمية ٤/ ١٥٦.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري، ط الفكر ٥/ ٤٨٤-٤٨٥، الطبقات الكبرى، ط العلمية ٣/ ٤٢-٤٣، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط دار الجيل ٣/ ١٠٤٢، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٣٩/ ١٥، أسد الغابة، ط العلمية ٣/ ٥٧٨، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط العلمية ٣/ ٧، سير أعلام النبلاء، ط الحديث ٢/ ٤٤٩-٤٥٠

(٦) أنساب الأشراف للبلاذري، ط الفكر ٢/ ١٢٤-١٣٠، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٤٢/ ٢٠، أسد الغابة، ط العلمية ٤/ ١٠٢، تاريخ الإسلام ت بشار ٢/ ٢٥٠، تاريخ بغداد وذيوله، ط العلمية ١٣/ ٢٣٦، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، ط ابن كثير ١/ ٢٢٤، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي، ط العلمية ٢/ ٥٥٤، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ط العلمية ١١/ ٢٨٧.

• عبد الرحمن بن عوف[7]: أبيض، طويل، رقيق البشرة، مشرب بحمرة، طويل الثنيَّتين العُليَين، ربما أدمى نابهُ شفته، ضخم الكفّين والكعبين، غليظ الأصابع، وقال ابن هشام: إنه جُرح يوم أحدٍ عشرين جِراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فعرج.

• طلحة بن عبيد الله[8]: اسمر آدم - وقيل بل كان أبيضاً مشرب بحمرة - مربوعاً، إلى القصر أقرب، رحب الصدر، عريض المنكبين، إذا التفت التفت جميعاً، كثير الشعر، إذا مشى أسرع، أحد أصابع يده — التي تلي الإبهام - مشلولة "أصيبت في غزوة أحد" وقيل بل قطع ذلك الإصبع!

• بلال بن رباح[9]: اسمر آدم شديد الآدمة، طويل، نحيف، خفيف العارضين، كثير الشعر.

• عمار بن ياسر[10]: اسمر آدم، طويل، أصلع، في مقدم رأسه شعرات، وفي قفاه شعرات، مجدع الأنف، من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً، أشهل العينين، بعيد ما بين المنكبين.

---

(٧) معرفة الصحابة لأبي نعيم، ط دار الوطن ١/ ١١٨، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة للبرّي،، ط دار الرفاعي ٢/ ٣٢٩، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي، ط العلمية ٥/ ٥١، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط دار الجيل ٢/ ٨٤٧، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٣٥/ ٢٤٩، سير أعلام النبلاء، ط الحديث ٣/ ٥٢-٥٤، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ط العلمية ٤/ ٢٩٢.

(٨) الطبقات الكبرى، ط العلمية ٣/ ١٦٣-١٦٤، معرفة الصحابة لأبي نعيم، ط الوطن ١/ ٩٥-٩٦، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط الجيل ٢/ ٧٧٠، أسد الغابة، ط العلمية ٣/ ٨٤، الإصابة في تمييز الصحابة، ط العلمية ٣/ ٤٣٠، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٢٥/ ٦٣-٦٤، سير أعلام النبلاء، ط الحديث ٣/ ١٩.

(٩) معرفة الصحابة لأبي نعيم، ط الوطن ١/ ٣٧٣، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ١٠/ ٤٧٨، تاريخ الإسلام للذهبي، ط الغرب ت بشار ٢/ ١١٢، أسد الغابة، ط العلمية ١/ ٤١٥، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي، ط العلمية ١/ ٢٢١.

(١٠) أنساب الأشراف للبلاذري، ط الفكر ١/ ١٧٤، الطبقات الكبرى، ط العلمية ٣/ ١٩٤-٢٠٠، معرفة الصحابة لأبي نعيم، ط الوطن ٤/ ٢٠٧٠، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٤٣/ ٣٥٩.

• عبد الله بن الزبير[11]: آدم أطلس "اسمر"، نحيفاً، ليس بالطويل ولا القصير، بين عينيه أثر السجود، لا لحية له، ولا شعر في وجهه.

•وتروي كتب الأخبار أن ممن أصابهم العمى من الأشراف[12]: العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن حرب، وكان قبلها أعور: أصيبت عينه في إحدى المغازي.

• وممن ذهبت إحدى عينيه في الحرب أيضاً[13]: المغيرة بن شعبة الثقفي، والأشعث بن قيس الكندي، وعدي بن حاتم الطائي.

• وكان هشام بن عبد الملك الأموي أحول العين، وكذلك كان زياد بن أبيه. وكان أبان بن عثمان بن عفان أصم، أبرص، أحول، وكان أبو الأسود الدؤلي أعرج، أبخر[14].

• كما كان أبو طالب بن عبد المطلب أعرج، ومثله الصحابي عمرو بن الجموح الأنصاري، وكذلك الصحابي عبد الرحمن بن عوف كما تقدّم[15].

• وكان أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب أحمر اللون حتى دعاه قومه "أبو لهب" وقد كان أحول العين، وكذلك كان أبو جهل عمرو بن هشام أحول[16].

ومع ذلك فإن الله لا ينظر إلى الصور والأبدان والهيئات، وإنما ينظر للقلوب والأعمال والنيات، وأكرم الناس عند الله أتقاهم.

---

(١١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط الجيل ٤/ ٩٠٦، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٢٨/ ٢٤٥، تاريخ الإسلام، ط الغرب ت بشار ٢/ ٨٣٧.

(١٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر (٢٣/ ٤٦٨، ٢٦/ ٢٧٦)، البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، ط الجيل صـ ٥٦٥-٥٦٦، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ط العلمية ١/ ٥١١.

(١٣) تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر (٩/ ١١٨، ٤٠/ ٩٤، ٦٠/ ٢٢)، البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، ط الجيل صـ ٥٦٦.

(١٤) تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر (٦٧/ ٨٧، ٧٤/ ٢٤)، أنساب الأشراف للبلاذري، ط الفكر ٨/ ٣٦٧، الأذكياء لابن الجوزي، ط مكتبة الغزالي صـ ٩٢، البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، ط الجيل صـ (٩٠، ٥٦٩-٥٧٠)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ط العلمية ١/ ٥١٢.

(١٥) البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، ط الجيل صـ ٣٤، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ط العلمية ١/ ٥١٢.

(١٦) البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، ط الجيل صـ ٥٦٩، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ط العلمية ١/ ٥١٢، تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٦٧/ ١٦٦.

الأسمر المقدام (سيدنا علي الإمام) عليه السلام

ويليه: (بغية الطالب فى وصف الإمام علي بن أبي طالب)

قُلنا ولا زلنا نقول: شيمة المحب المبالغة، ونحن نحب سيدنا الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ولكن لا نبالغ، فما من مسلم إلا جُبل على حبه وحب أهل بيته - رضوان الله عليهم.

وقد كان سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كالقمر يتلألأ حسناً، أبيض مشربًا بحمرة، ربعة من القوم: ليس بالطويل ولا القصير، وكان أشبه الناس به سبطاه: الحسن والحسين، وكذلك ابناء عمه: جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب، قثم بن العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - رضوان الله عليهم جميعاً.

أما سيدنا علي الكرار: فكان هو، وأخوه عقيل بن أبي طالب، وآخرون من بني هاشم.. لا يُشبهون رسول الله -، صلى الله عليه وسلم، في الشكل والأوصاف، وإن كانوا يشبهونه في الشيم والأخلاق.

كثير من الناس يظنون أن الإمام علي شبيه برسول الله في الشكل، وتجدهم يعادون من ينقل لهم أقوال أهل السير والتراجم والحديث في صحيح حِليته الكريمة مما يخالف ظنهم، وإن كان بعضهم معذوراً لجهله، فإن هناك من يكابر على علم لاعتقاده الخبيث، كالروافض - عليهم من الله ما يستحقون - بل وصوّروه هو وولده الحسين وأهل بيته -، رضي الله عنهم - في صور مرسومة كما فعل النصارى وبعض الصابئة بالمسيح عيسى والخليل إبراهيم - عليهما السلام!

ومن هنا نسوق بعض ما قاله أهل العلم في حِلية الإمام علي بن أبي طالب –، رضي الله عنه – مما أُثبت في بطون كتب السير والحديث والتراجم والطبقات، ومع أن طالب الحق يكفيه دليل ودليلان كما قال الشيخ الألباني – رحمه الله: (طالب الحق يكفيه دليل، وصاحب الهوى لا يكفيه ألف دليل، والجاهل يُعلَّم، وصاحب الهوى ليس لنا عليه سبيل) إلا أننا سنسرد ما توافر لنا من أدلة لعل فيها فائدة:

١- عن الشعبي أنه قال: "رأيت علي بن أبي طالب يخطب على المنبر: شيخاً مربوعاً، اسمر، أبلج، أصلع، له ضفيرتان، أبيض الرأس واللحية، له لحية قد ملأت ما بين منكبيه" (معرفة الصحابة لأبي نعيم ١/ ٧٩) وكذا نقل عنه ابن عساكر صاحب (تاريخ دمشق ٤٢/ ٢,٠).

٢- عن رزام بن سعيد الضبي قال: سمعت أبي ينعت علياً، قال: كان رجلاً فوق الربعة، ضخم المنكبين طويل اللحية، وإن شئت قلت: إذا نظرت إليه، قلت: آدم، وإن تبينته من قريب قلت: أن يكون اسمر أدنى من أن يكون آدم. (أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ٤/ ١٠٢).

٣- وكان عليه السلام اسمر مربوعاً، وهو إلى القصر أقرب، عظيم البطن، دقيق الأصابع، غليظ الذراعين، حمش الساقين، في عينيه لين، عظيم اللحية، أصلع ناتئ الجبهة. (مقاتل الطالبيين ١/ ٤٢).

٤- وعن أبي جعفر الباقر قال: كان علي آدم، شديد الأدمة، ثقيل العينين، عظيمهما، وهو إلى القصر أقرب. (تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٥٠).

٥- كان آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، أقرب إلى القصر من الطول، ذا بطن. (تلقيح فهوم الأثر لابن الجوزي ١/ ٧٩).

٦- وكان رابع الخلفاء الراشدين، وكان رجلاً آدم شديد الأدمة، أشكل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب، وكان عظيم اللحية (البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٢٢).

٧- وكان علي شيخاً سميناً، أصلع، كثير الشعر، ربعة إلى القصر، عظيم البطن، عظيم اللحية جدّاً، قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن، آدم شديد الأدمة. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ١/ ١٣٠).

٨- وكان علي، رضي الله عنه، ربعة إلى القصر، أدعج العينين، حسن الوجه، آدم، ضخم البطن، عريض المنكبين، لهما مشاش كالسبع، أصلع ليس له شعر إلا من خلفه، عظيم اللحية. (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ١/ ٢٢٤).

٩- عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال: سألت أبا جعفر محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين)، قلت: ما كانت صفة علي؟ قال: رجل آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، هو إلى القصر أقرب. (تاريخ الطبري ٥/ ١٥٣).

١٠- عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر بن علي: كم كان سن علي يوم قتل؟ قال: ثلاثاً وستين سنة. قلت: ما كانت صفته؟ قال: رجل آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع؛ هو إلى القصر أقرب. (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١/ ١٤٥).

١١- وكان آدم اللون، أصلع، ربعة، أبيض الرأس واللحية. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٣٤٩).

١٢- وقال أبو عمر بن عبد البر: سُئل أبو جعفر محمد بن علي بن حسين عن

صفة علي - رحمه الله - فقال: كان رجلاً آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، ذا بطن، أصلع ربعة إلى القصر، لا يخضب. وقد روي أنه ربما خضب وصفر لحيته. (تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ٢٠/ ٤٨٠).

١٣- كان شديد الأدمة، عظيم العينين، أصلع، عظيم اللحية، كثير شعر الصدر، مائلاً إلى القصر، حسن الوجه، لا يغير شيبه، كثير التبسم. (المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ١/ ١٨١).

١٤- عن رزام الضبعي قال: نعت أبي علياً فقال: كان فوق الربعة، ضخم المنكبين طويل اللحية، إن شئت قلت إذا نظرت إليه: هو آدم، وإن تبينته من قرب قلت: هو إلى أن يكون اسمر أدنى منه أن يكون آدم.

وقال أيضاً:.. عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي فقلت: ما كانت صفة علي، فقال: "كان آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع إلى القصر أقرب". (أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ١٢٥-١٢٦).

١٥- كان آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، أقرب إلى القصر من الطول، ذا بطن، كثير الشعر، عريض اللحية، أصلع، أبيض الرأس واللحية. (تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ٢/ ٢٧٥).

(بغية الطالب في وصف الإمام علي بن أبي طالب)

كتبَ صاحبنا النسّاب، الشاعر، المهندس «فوزي صقر» – من قرية البرادعة بمحافظة القليوبية بدلتا مصر – تعقيباً على مقالتي السابقة في وصف وحِلية الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. فقال:

كعادته، جمع صاحبنا النسابة البكري أحمد الدعباسي جمعاً طيباً، استخلص فيه من أمهات الكتب المعتبرة وصفاً لأمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. وأظهر فيه كيف كذب الروافض وأمثالهم من الجهال في وصف أمير المؤمنين بزعم المحبة، محاولين في ذلك تشبيهه بالنبي، صلى الله عليه وآله وسلم، في حين أن الحقيقة غير ذلك..

فحاولنا أن ننظم هذا التجميع المبارك في عقد شعري واحد؛ ليعلم طالب الحق صفة أمير المؤمنين كما وصفه من عاينوه من الثقات، وليعلم كيف يخدع الروافض أتباعهم بالكذب، وفوق كل ذلك ليعلم أن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وأن الله لا ينظر للصور والمال وإنما ينظر للقلوب والفِعال..

جزى الله صاحبنا البكري خيراً، وتقبل الله منا ومنه صالح الأعمال، ورضي الله عن أمير المؤمنين وآل بيته، وصلى الله على النبي المختار، وآل بيته الأبرار الأطهار، وصحابته المهاجرين والأنصار..

(بغية الطالب في وصف الإمام علي بن أبي طالب)

أبـا الحَسَنَـينِ مـا سيقولُ مثلي لوَصفكَ بعدَ مـا غـالَى المُغـالي؟
مَضَـوا يُغْلُـون فيـكَ بـغيرِ حق ويَـخـتـلقـونَ وَصـفـاً مـن خيـالِ
وإنّـــك مـن مَـقـالـتـهم بـريءٌ سُقُوا في النـارِ من طينِ الخَبالِ
تَـوَلَّـوا يَـخـدعـونَ الـنـاسَ حتى يُـقـالَ هـم الأحـبـةُ والمَـوالي
وهُـم أَولَى بطعنةِ كـلِّ سَيفٍ ورَمْــي بـالحـرابِ وبالنِّبالِ
فـأنـتَ وإنْ عَـلَوتَ الـنـاسَ قَـدراً ونـلْـتَ ذُرَى الفضـائلِ والمَعـالي
فـإنّـك قـد خُـلـقْـتَ كمـا خُلقْنـا وقَــدْرُكَ بـالـغٌ حَـدَّ الـكمـالِ
ألا لُـعـنَ الـروافـضُ شـرَّ لَعْنٍ ومَـن نَـصَـبَ الـعـداءَ لخيرِ آلِ
أبـا الحَسَنَينِ حُبُّكَ بَعضُ ديني وقُــربــانٌ لـرَبِّـي ذي الجَــلالِ
ولــو أنّي رأيـتُـكَ رأيَ عَـينٍ لجئـتُـكَ خـادمـاً ومَـعـي عيـالي
ولا أعـصـيـكَ في أمــرٍ تَـراهُ ولا أعـلـو عـلـى حَـمْـلِ النِّعـالِ
وإنْ لَم تُشبـهِ المُختـارَ وَصْفـاً فـقـدْ أشْـبَـهـتَـهُ في كـلِّ حـالِ
فـأنـتَ رَبيـبُـهُ مُـذْ كنـتَ طفـلاً سـقـاكَ الـدِّيـنَ كـالمـاءِ الـزُّلالِ
وكـنـتَ لـهُ كَـهــارونٍ لمُوسـى ومَــنْ وَالاكَ كـانَ لـهُ المُـوالي
وقـدْ أهْـدَى لـكَ الـزهـراءَ زَوجـاً فـهلْ مِـن بعـدِ هـذا مِـن نـوالِ؟!
وإنَّ اللّه لَم يـنـظـرْ بـعَـينٍ إلى الأمــوالِ أو صُـوَرِ الـرجـالِ
ولـكـنْ لـلـقـلـوبِ ومــا طَـوَتْـهُ ومـا اكتسبَ ابنُ آدمَ مِن فِعالِ
أيَــا مُـتَـشَـوِّقـاً لـتَرَى عَـليـّاً كَــرَأْيِ العَـينِ فـانْـظُـرْ في مَقـالي:
تَــراه الـعَـينُ مَــرْبُـوعــاً ولـكـنْ يَميـلُ إلى القِصـارِ عن الطِّوالِ
مَـليـحُ الـوجـهِ، اسـمـرُ، ذو بهاءٍ كـسـاهُ اللّه ثـوبـاً مِــن جـلالِ

تَـــراهُ آدَمــَــاً لــو مِــن بعـيـدٍ واسمرُ حينَ يَقْرُبُ منكَ جالي
بَشُـوشُ الـوجـهِ، بَسَّـامُ المُحَيّا جَميلُ القَولِ، محمودُ الخِصالِ
إذا ضَحِكَ استنارَ إليكَ حُبّاً كـأنَّ الليلَ يَضحكُ بالهِلالِ!
عظيمُ العَينِ في ثِقَلٍ ودَعْجٍ فمَكحولاً تـراهُ بِلا اكتحالِ!
قليلُ الشَّعْرِ، لما كان كَهْلاً يضُمُّ ضفيرتينِ بلا اختيالِ
وشَابَ فصارَ ذا صَلَعٍ شديدٍ ويَخضبُ شَيّبَهُ في بعض حالِ
وجَبْهتُهُ فناتئةٌ قليلاً مُفَخَّمةٌ بناصيةِ المَجَالي
ويُرْخي لِحيةً بَيضاءَ كادتْ تُغَطّي الصَّدرَ منهُ باكتمالِ
له عُنُقٌ قَويمٌ فيه طُولٌ فأغْيَدُ بالغٌ حَدَّ الجمالِ
عظيمُ المنْكَبَينِ كمِثْلِ لَيْثٍ رَحيبُ الصّدرِ، يَزأرُ في القتالِ
ذِراعاهُ مُغَلَّظتانِ بأساً تَصُولُ بِذي الفِقَارِ بلا كَلالِ
وذو كَفَّينِ تَحْسَبُها حَديداً لِقُوَّتِها وبأسٍ واحتمالِ!
إذا قَبَضَتْ ذِراعَ فَتَىً قَوِيٍّ كأنَّ الليثَ يَفْتِكُ بالغَزالِ!
ومِثْلُ الخَيْلِ: ذو بَطْنٍ عظيمٍ وساقاهُ استَدَقَّتْ في اعتدالِ
إذا يَمْشي مَشَى في الناسِ هَوْناً بلا كِبْرٍ لَديهِ ولا اختيالِ
وفي الهَيجاءِ حَيْدَرةٌ ضَروسٌ يُرَاوِغُ في الطِّعَانِ وفي النِّزالِ

يُـهَـرولُ نَـحـوهـا كـهـجـوم سَـيْـلٍ ... ويَــــزأرُ في الـصُّـفـوفِ ولا يُـبـالي

ويَـخـتـرِقُ الـحُـصـونَ بـغـيـرِ خَـوفٍ ... وقـدْ لَـعِـبَ الـتَّـخَـوُّفُ بـالـرجـالِ

كَـذا وَصَـفُـوه مَـن قـدْ عـايـنَـوهُ ... فَـدَعْ عـنـكَ الـمُـجـافيَ والمُـغـالي

وصـلَّـى اللهُ بـالـصـلـواتِ دَومـاً ... علَى المُختـارِ أحـمدَ ذي الجمـالِ

وسـلَّـمَ ربُّـنـا أزكَـى سـلامٍ ... عـلَـى آلِ الـنـبـيِّ، وخَـيْـرُ آلِ

وأصـحـابِ الـنـبـيِّ الـنَّـاصـرِيـهِ ... ومَـن يَـقْـفُـو خُـطـاهُ ومَـن يُـوالي

سمات وصفات السادة العَلوية والبَكرية والعُمرية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: تخبرنا المصادر التاريخية وكتب تراجم الصحابة والسيرة النبوية عن سمات وصفات الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الجسدية، ومن أهمها ما توارثها أحفاده، وهي:

١- سمرة اللون وهي أغلب من البياض عند العلويين، واشتهر بهذا موسى الجون (الجون تعني شديد السمرة) بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى الحسني، وعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الحسيني.

٢- القوة الجسدية والعضلات المفتولة، وأبرز من اشتهر بها سيدنا محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية نِسبة لكون والدته من بني حنيفة من بكر بن وائل.

٣- الميل للقصر وليس الطول، مع عدم ظهور هذا جيداً إلا لمن يدقق النظر في أطوالهم؛ حيث تحسبهم من بعيد طوالاً كجدهم الكرّار عليه السلام.

٤- إسراع الصلع وذهاب الشعر عن رؤوسهم، فلم تبق برأس الإمام علي شعرة - تقريباً - عندما تجاوز الخمسين عاماً، وورث هذا كثير من ذريته.

٥- عِظَم البطن، وليس استواءها، وبذلك كان يوصف الإمام علي، رضي الله عنه.

٦- الزهد في الدنيا والورع، ومحبة الناس لهم، والتفافهم حولهم، فلهم جاذبية خاصة، وقبول تام.

٧- السعي في قضاء حوائج الناس، فالعَلوي لا تهمه نفسه فقط؛ إنما يهتم لأمر المسلمين جميعاً، بل لأمر كل إنسان ذي حاجة أو أصابته فاقة. وتلك من أعظم شيمهم.

٨- الكرم، الشجاعة، الإقدام، وعزة النفس، وتلك صفة سائدة عند كل بني هاشم.

٩- الفصاحة، البيان، والعلم؛ الكسبي واللدني الذي يهبه الله لمن يشاء من عباده. وحُسْن منطوقهم وبيانهم؛ شيباً وشبان وصبيان.

١٠- يمتاز الحسنيين خاصة بسمة الهدوء والطمأنينة، مع بلج العين، وسهولة في الخُلق.

أما السادة البكرية أولاد سيدنا أبي بكر الصديق،، رضي الله عنه، فقد ورث عنه بنوه ما يلي:

١- الطول المتوسط، فجُل آل الصديق أطوالهم متوسطة؛ ليسوا بقصار، أو شديدي طول كآل عمر بن الخطاب - وسيأتي ذكر ذلك.

٢- النحافة مع انحناء طفيف عند الكتفين، استواء البطون؛ فبطونهم مستوية ليست بالخميصة ولا البطينة.

٣- البياض، فأكثر آل الصديق بيض البشرة، مع احمرار أحياناً، وقليل منهم الاسمر شديد السمرة. وقد جاء في وصف أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر أنها كانت «حميراء» أي: بيضاء مشربة بحمرة. وقد ورث البياض الصديقي بنو بناتهم، ومنهم أحد أولاد الزبير بن العوام من زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق –، رضي الله عنهم جميعاً – الذي كان يرقصه والده بقوله: (وأبيضٌ من آل عتيق... مباركٌ من ولد الصِدّيق).

٤- روح الدعابة، وهي صفة سائدة عندهم، وقد اشتهر الصحابي محمد أبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وولده عبد الله ابن أبي عتيق بذلك.

٥- سرعة الغضب، وهي من سماتهم الموروثة عن جدهم الصديق، الذي كان يقول: «إذا رأيتموني غضبت فتجنبوني».

٦- لين الجانب وطِيب المعشر، وكان جدهم أبو بكر من أرق الناس وأحنّهم.

٧- الصدع بالحق على كل حال، ولا أدل من مواقف عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل وبعد الإسلام، وقد ورثها كثير من آل الصديق.

٨- حُب العشيرة الشديد، وصلة الرحم، وقد كان الصديق من أحب قومه لهم، وأبرّهم بهم، وأحناهم عليهم، وأوصلهم لرحمه.

٩- الكرم، الشهامة، ونجدة الملهوف؛ شأنهم في هذا شأن أشراف العرب جميعاً، فجارهم لا يُضام.

١٠- شغفهم بالعلم، والشِعر، والآداب، وحُبهم للأنساب؛ وهو الذي اتصف به جدهم الصديق، وورثته عنه ابنته الحميراء أم المؤمنين، رضي الله عنهما.

***

أما السادة العُمرية أنجال الفاروق عمر بن الخطاب،، رضي الله عنه، فقد ورثوا عنه جُل صفاته ومن أبرزها:

١- الطول المفرط، فنادرًا – أو من غير المعتاد - أن تجد عُمريًا قصير القامة، وقد كان الفاروق عُمر –، رضي الله عنه - يركب الفرس العظيمة فتخط قدماه على الأرض من فرط طوله. وعندما أعاد المسلمون بناء حائط الحجرة النبوية وجدوا رجل عمر بن الخطاب - من طولها - تمتد لخارج الحجرة الشريفة، وذلك أنه عند دفنه لم تسع الغرفة قبره الطويل، فحُفِر له أسفل حائطها.

٢- عِظَم الهامة والجسد، والقوة البدنية، مع بطن مستوية ليست خميصة؛ وإن كانت تميل للبطانة.

٣- شدة البطش، وأبرز من اشتهر بها عبيد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، وورثها جُل بني عمر بن الخطاب. وقد كانت تلك صفة سائدة عند بني عدي بن كعب عشيرة الفاروق جميعهم، ويظهر هذا في حروبهم الداخلية في الإسلام، والتي اختتمت بفاجعة مقتل زيد بن عمر بن الخطاب سبط سيدنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم.

٤- عدم سعيهم للسلطة والمناصب، ولعل مرد هذا لدعوة الفاروق لهم أن يجنبهم الله ذلك؛ وذلك عندما أراد بعض الصحابة منه أن يستخلف ولده عبد الله بن عمر، وكان بها جديراً.

٥- الكرم، الشجاعة، النخوة، وعزة النفس، فلا مداهنة عندهم، بل صدع بالحق ولو في وجه الشيطان (الشيطان الذي كان يفرّ من وجه جدهم الفاروق).

٦- الفصاحة، وحُسن البيان. فجدّهم الفاروق وعشيرته كانوا سفراء قريش ومنافريهم على القبائل، فهم أصحاب القول الفصيح، والبيان البليغ.

٧- عدم وجود خلطاء أو لصقاء - غالباً - في أنسابهم، ولعل ذلك لدعوة الفاروق لذريته «اللهم لا تُلحق بآل عمر من ليس منهم، فإن آل عمر ليس فيهم خفاء».

تم بحمد الله وفضله. وإنّي لم اعتمد في سردي هذا على آثر من كتاب، أو قول لعالم، إنما هو بالتفرّس، والمخالطة، والمصاحبة، لذراري من ذرية الصحب الكرام: أبي بكر، وعمر، وعليّ، ممن ثبت لدينا صحة انتسابهم. هذا مع اختلاف مواطنهم، وتباين أحوال معيشتهم.

فنظرت، وأمعنت التدقيق والنظر، ثم حفظت ودوّنت ذلك، ثم قارنت بين ما جمعته ووعيته؛ حتى صحّ عندي ما سطّرته بمقالتي هذه.

والله أعلم بالصواب وحقائق الأمور.

أحمد عبد النبي فرغل

"ضوء القمر في ثبوت السيادة والشرف لآل عُمر، رضي الله عنه"

(بحث تاريخي يتناول الفترة ما بين: القرن الأول - السادس الهجري)



بسم الله رب الشمس والقمر، الذي جعل خيرته من العرب: "كنانة ومُضَر"، الحمد لله الذي أخرج منهما آل فِهر وأسْكَنهم بين الرُكن والحَجَر، والصلاة والسلام على الهادي المبعوث رحمة للبشر، ثم الرضا عن رفيقيه: أبي بكر وعمر، وعن ابنتيهما وسائر الآل والصحب من مَدر وَوَبر، وبعد:

السيد والشريف، لقبان يدلّان على شرف نسب وحسب حاملهما؛ ففي كل قوم أو جماعة يوجد سادة وأشراف، وكذا في كل قبيلة وعشيرة. وقد وُصِفَت قبيلة قريش بأنها قبيلة الأشراف، مثلما وصفهم "دغفل بن حنظلة النسابة" فقال عنهم: (بخٍ بخٍ أهل الشرف والرياسة)، وكان بنو هاشم غرة قريش وذؤابتها، فهم أهل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم أصل الشرف ومنبعه لأفضليتهم؛ ولكون سيدنا رسول الله منهم، وذلك كما أخبر سيدنا رسول

الله حين قال: "إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(١٧).

وقد ثبت إطلاق لقبيّ «السيد» و«الشريف» لعموم بني هاشم وكذلك لبعض بيوت من بطون قريش، ولقبائل من بقية قبائل العرب؛ مثل بعض الأنصار. فيقول ربنا عز وجل في كتابه الكريم: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ». سورة آل عمران: ٣٣-٣٤، وقريش هم خاصة وذؤابة آل إبراهيم الخليل عليه السلام.

وعند أهل السير والتراجم والطبقات نجد مثلاً: الشريف الحسني، الشريف الحسيني، الشريف الجعفري الطياري، الشريف العَقيلي الهاشمي، الشريف العباسي، الشريف الأموي، الشريف البكري الصديقي، الشريف العمري، وغير ذلك.

وقد سبق لنا إعداد مقالة عن السادة الأشراف البكريين الصديقيين «آل أبي بكر الصديق»، وتم نشرها في كتابنا «السلالة البكرية الصديقية» فليُنظر. أما هنا فسنفرد هذه المقالة للسادة الأشراف العمريين الفاروقيين (آل عمر بن الخطاب)، رضي الله عنه وعن أبي بكر وسائر أصحاب سيدنا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن منطلق تعظيم ما عَظّمه نبينا الكريم -، صلى الله عليه وآله وسلم، - وتشريف ما شَرّفه، ومن منطلق الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي والطبراني وابن ماجه وابن حبان وغيرهم - واللفظ لأحمد من مسنده، عن

(١٧) صحيح مسلم، ط إحياء التراث ٤/ ١٧٨٢، مسند أحمد، ط الرسالة ٢٨/ ١٩٤، صحيح ابن حبان،، ط الرسالة ١٤/ ٢٤٢، المعجم الكبير للطبراني،، ط ابن تيمية ٢٢/ ٦٦.

رجل من السادة الأشراف أهل بيت النبوة: قال الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، حدثني أبي، عن أبيه، عن علي - رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي فأقبل أبو بكر، وعمر، فقال: "يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها بعد النبيين والمرسلين"، وللحديث روايات أخرى عن أنس بن مالك وعدد من الصحابة[١٨].

وفي هذا الحديث إثبات للشرافة الآخروية للشيخين: أبي بكر وعمر على كل أهل الجنة خلا النبيين والمرسلين، وذلك بعد ثبوت شرافتهما في الدنيا (في عهديّ: الجاهلية والإسلام). ومن هذا المنطلق نُفرد السطور التالية لنعت ووصف رجالات من البيت العمري الفاروقي العدوي القرشي عند أهل العلم، وفيها جاء نعتهم بالشرافة منذ قديم العهود، فإليكم ما قدرتُ على جمعه:

(القرن الأول / الثاني الهجري: المدينة المنورة).

*** عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب (١):**

تَرجم له الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) فقال عنه: (...الإمام الثبت، أبو عثمان العدوي العمري المدني، أحد علماء المدينة، وكان سيداً شريفاً، صالحاً، متعبداً، ثقة، حجة بالإجماع، واسع العلم. قال الهيثم بن عدي: مات سنة ١٤٧ هـ).

وذكره أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه (المتوفى سنة ٤٢٨هـ) فقال: (...كان من سادات أهل المدينة وأشراف قريش فضلاً وعلماً وعبادة وشرفاً وحفظاً وإتقاناً). ونقل عنه ذلك كلاً من: الذهبي في

(١٨) مسند أحمد، ط الرسالة ٢/ ٤٠، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ط الرسالة ١/ ١٥٨، سنن الترمذي، ط مصطفى البابي الحلبي ٥/ ٦١١، المعجم الأوسط للطبراني، ط الحرمين ٢/ ٩١، سنن ابن ماجه،، ط إحياء الكتب ١/ ٧١، صحيح ابن حبان،، ط الرسالة ١٥/ ٣٣٠.

«تاريخ الإسلام»، وجمال الدين يوسف أبو الحجاج بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي (المتوفى سنة ٧٤٢ هـ) في «تهذيب الكمال»، والإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين النووي (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ) في «تهذيب الأسماء «.

وذكره الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى سنة ٩٠٢ هـ) فقال: (كان سيداً شريفاً صالحاً متعبداً ثقة حجة بالإجماع واسع العلم)[(١٩)].

***(القرن الثاني الهجري: المدينة المنورة، بغداد)**

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب(٢):

نَعَتَه – وأخاه – أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني (المتوفى سنة ٢٥٩ هـ) بالشرف، وعنه نقل جمال الدين المزي فقالا: (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، العمري، أبو القاسم المدني، أخو القاسم بن عبد الله العمري، سكن بغداد. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: القاسم وعبد الرحمن العمريان منكرا الحديث جداً، وكانا شريفين. مات في صفر سنة ١٨٦ هـ)[(٢٠)].

(القرن الثالث / الرابع الهجري: حران، الهند، جرجان).

---

(١٩) تاريخ الإسلام، ط الغرب الإسلامي ٢/ ٩٢٢، رجال صحيح مسلم، ط المعرفة ٢/ ١٢-١٣، تهذيب الأسماء واللغات، ط العلمية ١/ ٣١٣، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط الرسالة ١٩/ ١٢٤-١٣٠، سير أعلام النبلاء،، ط الرسالة ٦/ ٣٠٤-٣٠٧، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،، ط العلمية ٢/ ٢٣١-٢٣٢.

(٢٠) أحوال الرجال للجوزجاني، ط حديث اكادمي «فيصل آباد – باكستان» صـ ٢٢٦-٢٢٧، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط الرسالة ١٧/ ٢٣٤-٢٣٧.

***أبو منصور زيد بن خليفة بن السليل العمري(٣):**

تَرجم له الشيخ تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصريفيني (المتوفى سنة ٦٤١ هـ) فقال (زيد بن خليفة بن السليل بن محمد بن السليل بن سعد بن عبد الودود الشريف، أبو منصور العمري، من أولاد عمر بن الخطاب القرشي العدوي الحراني القارئ، جليل، نبيل، غزا مع الأمير محمود بن سبكتكين إلى بلاد الهند وأبلى معهم بلاءً حسناً وعاد، فلما انتهى إلى جرجان في منصرفه، توفي بها سنة ٤١٨ هـ، ودفن بجنب كرز بن وبرة)[٢١].

(القرن الخامس الهجري: هراة، مرو الروز، نيسابور).

***أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر العمري الهروي(٤):**

ذكره الإمام ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بسن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ) فقال: (الشريف الفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن جعفر بن محمد بن حفص بن بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي العمري الهروي. كان حياً سنة ٤٤٩ هـ)[٢٢].

*** ناصر بن الحسين العمري المروزي(٥):**

ذكره الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى سنة ٧٧١ هـ) فقال: (ناصر بن الحسين بن محمد بن علي بن القاسم بن عمر بن يحيى بن محمد ابن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كذا ساق نسبه عبد الغافر، هو الشريف العمري أبو الفتح القرشي المروزي، أحد أئمة الدين. توفي بنيسابور في ذي القعدة سنة ٤٤٤ هـ).

(٢١) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور،، ط دار الفكر ١/ ٢٤٠ .

(٢٢) الأربعون حديثًا من المساواة مستخرجة عن ثقات الرواة، ت بو سريح صـ ١٥٩.

وذكره أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (المتوفى سنة ٥٦٥ هـ) فى «تاريخ بيهق» فقال: (الإمام الشريف أبي الفتح ناصر بن الحسين العمري).

وذكره الإمام ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ) فقال: (الشريف ناصر بن الحسين العمري المروزي).

وذكره الشيخ تقي الدين أبو إسحاق الصريفيني (المتوفى سنة ٦٤١ هـ) فقال: (ناصر بن الحسين بن محمد بن علي بن القاسم بن عمر بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، الإمام الشريف أبو الفتح العمري المروزي ثم النيسابوري، من وجوه فقهاء أصحاب الشافعي بنيسابور ومناظريهم والمنظورين منهم نسباً وفضلاً وورعاً وتواضعاً وعفة وظرفا وخفة).

وترجم له العلّامة خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى سنة ١٣٩٦ هـ) ونعته بالشريف العمري فقال: (الحسين بن محمد، أبو الفتح، ناصر الدين، المعروف بالشريف العمري، من نسل عمر بن الخطاب: فقيه شافعيّ، من أهل مرو. توفي بنيسابور له كتب).

وكذا ذكره إسماعيل بن محمد أمين البابانى البغدادي (المتوفى سنة ١٣٩٩ هـ) في «هدية العارفين» ونعته بالشرف، فقال: (أبو الفتح ناصر بن الحسين بن محمد بن على بن القاسم بن عمر بن يحيى الشريف العمري القرشي المروزي الشافعي)[٢٣].

---

(٢٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ، ط هجر ٥/ ٣٥٠، تاريخ بيهق، ، ط دار اقرأ «دمشق» صـ ٣٢٩، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ، ط الكتاب العربي صـ ٢٨٧، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ط الفكر ١/ ٥٠٤، الأعلام للزركلي، ط الملايين ٢/ ٢٥٤، هدية العارفين، ط إحياء التراث ٢/ ٤٨٧.

*** نصر بن ناصر العمري المروزي(٦):**

ترجم له الشيخ تقي الدين أبو إسحاق الصريفيني (المتوفى سنة ٦٤١ هـ) ونعته بابن الإمام الشريف، فقال: (نصر بن ناصر بن الحسين بن محمد بن علي أبو المظفر ابن الإمام الشريف ناصر العمري المروزي. وكان مولده سنة ٤١٧ هـ، وتوفي يوم الجمعة في جمادى الآخرة سنة ٤٧٧ هـ).

وذكره أيضاً الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى سنة ٧٧١ هـ) فقال: (نصر بن ناصر بن الحسين العمري أبو المظفر بن الإمام الشريف)[٢٤].

(القرن السادس الهجري: هراة).

*** أبو عاصم عبد الله العمري الهروي(٧):**

ترجم له الإمام عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى سنة ٥٦٢ هـ) فقال: (أبو عاصم عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن جعفر بن محمد بن حفص بن بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي العمري من أهل هراة. كان شريفاً، صالحاً، عالماً من أهل الحديث. ووفاته بهراة يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شوال سنة ٥٠٩هـ)[٢٥].

*** أبو القاسم عبد الملك العمري الهروي(٨):**

ترجم له الإمام السمعاني فقال: (أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن جعفر بن محمد بن حفص بن بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري الهروي،

(٢٤) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ط الفكر ١/ ٥١١، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ط الهجر ٥/ ٣٥٤.

(٢٥) التحبير في المعجم الكبير، ط رئاسة ديوان الأوقاف ببغداد ١/ ٣٧٣-٣٧٤، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ط عالم الكتب ١/ ٩٤٦.

من أهل هراة، سكن أزجاه بليدة بخابران. كان شريفاً فاضلاً عالماً، حسن السيرة، مليح الأخلاق، متواضعاً، وكان يعظ ويحفظ الحكايات وأيام الناس. وتوفي بالدانقان متوجهاً إلى خاوران بعد أن عوقب في وقعة الغز في شعبان سنة ٥٤٨ هـ) وعنه نقل الإمام الذهبي في «تاريخ الإسلام».

وذكره الإمام ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ) وَنَعَتَه بالشرف، فقال: (الشريف أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن جعفر بن محمد بن حفص بن بكير ابن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري الهروي الواعظ)[٢٦].

انتهى بعون الله وتوفيقه، والحمد لله رب العالمين.

---

(٢٦) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ط عالم الكتب ١/ ١١٢٣، تاريخ الإسلام، ط الغرب ١١/ ٩٣٣، الأربعون البلدانية لابن عساكر، ط مكتبة القرآن ١/ ٦٢-٦٤.

المصـــادر والمـراجـع:

١. أحوال الرجال، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق (المتوفى: ٢٥٩هـ)، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البَستوي، دار حديث اكادمي - فيصل آباد، باكستان.

٢. الأربعون البلدانية = أربعون حديثا لأربعين شيخا من أربعين بلدة، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن — القاهرة.

٣. الأربعون حديثا من المساواة مستخرجة عن ثقات الرواة، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: أبو علي طه بو سريح، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٤. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢ م.

٥. الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م.

٦. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

٧. تاريخ بيهق، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (المتوفى: ٥٦٥هـ)، دار اقرأ – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

٨. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٩. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.
١٠. التحبير في المعجم الكبير، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١١. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٢. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
١٤. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٥. رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه (المتوفى: ٤٢٨هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

١٦. سنن ابن ماجه، ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

١٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

١٩. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٢٠. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله أسماء مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي - د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

٢٢. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٤. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

٢٥. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٦. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصريفيني (المتوفى: ٦٤١هـ)، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع سنة ١٤١٤ هـ.

٢٧. المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، دراسة وتحقيق:

موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٨. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٩. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

«الإصابة فى أنساب بعض البَكريين ببلاد العَرَابَة : أولاد دُنقل بعَرَابـة أبو كـريشـة».

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد: العَرَابَة – بالفتح، واسمها القديم «العرابا». لم نقف على مصدر قوي يوضّح أصل هذا المُسمّى، إلاّ أنه جاء بكتاب «الدرر الذهبية صـ ٣٢٢» أن أصل التسمية هو «العرايا» بالياء، والعرايا هو اسم إحدى بطون هوارة التاريخية؛ التي ذكرها القلقشندي «ت ٨٢١ هـ» في نهاية الأرب، ثم أُبدِلت الياء باء. وأضاف صاحب «الدرر» أن بلاد العرابات – جمع عرابة – كانت في عِداد البطون الهوارية في القرون المتقدمة، إلا أنها أصبحت الآن تمثل قبيلة عظيمة من القبائل الهوارية العربية بمصر لأنها تشتمل على بلاد عدة بمحافظة سوهاج.

٣٢٢

(١٦) العرابات

واصل اسمها العرايا أضيفت لها تاء التأنيث بلهجة العوام كما حدث لكثير من القبائل. ذكرها القلقشندي في نهاية الأرب العرايا (بالياء) ولعلها صُحّفت في الكتابة بمخطوطه المذكور والصحيح العرابا (بالباء) كما هو معروف بالوقت الحاضر.

والعرابات إن كانت في تعداد البطون الهوارية في القرون المتقدمة، إلا أنها اصبحت الآن تمثل قبيلة عظيمة من القبائل الهوارية العربية بمصر لأنها تشتمل على بلاد عدة بمحافظة سوهاج، وها هي نبذة من بلادهم مع ذكر مشاهيرهم.

بلدة «أولاد سلامة» وبها عائلة «أبو عميرة» منها الأستاذ شيخ العرب عيسى عوض أبو عميرة المحامي، وشيخ العرب السيد وحسن والجارحي أولاد فاضل أبوعميرة، والأستاذ محفوظ رشوان أبو عميرة المحامي.

تتكون بلاد العرابة من ثلاث عرابات كبرى، تتبعهم عدة قرى ونجوع، وهم:

١- عرابة أبو كريشة: وهي العرابة الوسطى، واسمها القديم (عرابة بني محمد بن مطاوع)، نسبة لبطن من العرب القرشيين من أولاد أبي بكر الصديق،، رضي الله عنه، وبعد ذلك سُميت بعرابة "أبو دنقل" نسبة لإحدى أسرها، أما الاسم الأخير – الحالي – لها فهو عرابة أبو كريشة.

تقع هذه العرابة بمركز المنشأة بمحافظة سوهاج، وتنقسم لعدد من القرى والنجوع، تسكنها بطون عدة من العرب وغيرهم، ومن هذه القرى: "قرية الدناقلة، وقرية أولاد سلامة" وبهاتين القريتين التَجمُّع الأكبر للبكريين بتلك العرابة، بالإضافة لانتشارهم بنجوع وقرى أخرى داخل عرابة أبي كريشة.

٢-عرابة أبو دهب: وهي العرابة الشمالية، وتتبع مركز سوهاج بمحافظة سوهاج، وبها بطون عدة مختلفة، من بينهم بطن بكري النسب اسمه "المناصير"، ولهم أبناء عمومة بالعرابة المدفونة يحملون نفس الاسم.

٣- العرابة المدفونة: وهي العرابة الجنوبية، وتقع بمركز البلينا بمحافظة سوهاج، وبدورها تنقسم لثلاث قرى كبيرة (بني منصور، عرابة أبيدوس، الغابات)، وبهذه البلدة قبائل وبطون عدة من العرب وغيرهم، من بينهم بطن بكري قرشي اسمه "المناصير". وقد عُرفت باسم العرابة المدفونة سنة ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٥ م وذلك تمييزاً لها عن بقية العرابات: أبو كريشة وأبو دهب (انظر: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية – القسم الثاني ٤/ ٩٨).

العَرَابَة المَدفُونَة

هى من المدن القديمة ، ذكرها جونيه فى قاموسه فقال : إن اسمها المصرى Abdou ، والرومى Abydos .

وقد كانت من توابع ناحية الحرجة ، ثم فصلت عنها فى تاريخ سنة ١٢٣١ هـ ، باسم العرابا ، وفى تاريخ سنة ١٢٧٢ هـ ، العرابا المدفونة، وهو إسمها الحالى فى القسم المالى، تميزا لها من العرابا بسوهاج، التى بمركز سوهاج، وفى الخطط التوفيقية العرابات المدفونة ، ويقال لها عرابة أبو كريشة، من مشايخ عرب الهوارة .

الدناقلة (أولاد دنقل): قرية عريقة ينتسب أهلها لطائفة "مشايخ العرب – البكريين"، هم وبني عمومتهم بقرية أولاد سلامة وأولاد علي وغيرهما، وتربطهم صلة نسب، وقرابة عَصب ببني عمومتهم البكريين بمحافظتي: قنا والأقصر، من قبيلة قصاص أولاد محمد بن مطاوع البكري، بقرى: عرب المطاعنة بمركز إسنا، والرزيقات بمركز أرمنت، وقرى البعيرات، والقرنة، والقبلي قمولا – الأقصر، وعرب الأوسط قمولا، وعرب دنفيق، والزوايدة بمركز نقادة، وعرب البلاص بمركز قنا، وعرب المراشدة بمركز الوقف – محافظة قنا.

وممن ذكر هذه الصلة والقرابة، السيد علي عيسى الطنبشاوي "كان حياً سنة ١٩٥٠ م" بكتابه "صفحات ذات معنى في الكلام عن المطاعنة صـ ٥"، حيث يقول عن المطاعنة: (أما محافظة سوهاج ففيها أصولهم، ويقيمون في نواحي جرجا، والعرابة المدفونة، وعرابة أبو كريشة، وعرابة أبو دهب) اهـ.

– ٤ –

تحت سيطرة الملك السابق وتفتيش جلال (باشا)، ولم يكن لأهلها سوى مساحات متناثرة من فاسد الأرض ورديئها.

وتغيرت الأحوال.. وعادت المياه إلى مجاريها، ونعم الزراع، فأصبحوا ملاكا.

والمطاعنة يتحدون لفظا ومعنى، فهم أسرة واحدة، ينتمون لأصل واحد، ويكونون أكبر وأقوى عصبية في محافظة قنا تمتد فروعها بمحافظة أسوان وترتبط بأصولها المقيمة بمحافظة سوهاج، ولكنها عصبية بناءة تحب السلام لها ولمن حولها، وتنفر كالبرق في القضاء على الشر عندما يجنح للحياة.

وبهذا تعد من مفاخر الصعيد المتوثب في هـذا العهد الجديد للسلام مع محافظته على وشائجه وروابطه.

كما أنها قدوة حية اتخذت التقوى شعاراً، ومكارم الأخلاق دثاراً، فدلت على أصلها العريق وحسبها العريض.

وقد فصل الخطاب فيما جاء بالكتاب: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، فشرف النسب لا يتضح إلا بعمل طيب وسلوك حسن.

من عصبيات المطاعنة في قنا البلاد الآتية:

– ٥ –

الرزيقات والريانية	في مركز أرمنت
البعيرات والقبلي قمولا	« « الأقصر
دنفيق	« « قوص
المراشدة	« « دشنا

أما محافظة سوهاج ففيها أصولهم، ويقيمون في نواحي جرجا والعرابة المدفونة، وعرابة أبو كريشة، وعرابة أبو دهب.

ومن المطاعنة نزحت أسر كاملة استطاعت أن تنشىء بلاداً بنواحي كوم امبو التابعة لأسوان في البلاد الآتية:

(١) السيل غرب (٢) الرغامة غرب (٣) نمرة ٦

ومن أبناء عمومة المطاعنة بمحافظة [illegible] الناجرة ويقيمون بنواحي أدفو وقد هاجروا إليها من جرجا منذ أربعمائة سنة أو أكثر كما يوجد أبناء عمومة لهم ببلدة الحنادي التابعة لمركز إسنا بمحافظة قنا.

ومما يجدر ذكره أنهم ضربوا الرقم القياسي في عدد عمدهم بقنا:

١ – السيد محمد النوبي علي عامر	عمدة أصفون
٢ – « محمود عثمان خالد	« طفنيس
٣ – « محمد توفيق خالد	« الكيمان
٤ – « أبو المجد محمد مصطفى كراع	« القرية

وكما جاء ذلك بأحد المخطوطات الأهلية التي فصّلت فروع قبيلة قصاص، وذكرت منها: (دنجل "دنقل"، وعلي كريشة، وسلامة) بعرابة أبو كريشة، و(منصور) بالعرابة المدفونة وعرابة أبو دهب، بالإضافة لبقية الفروع بمحافظتيّ: قنا والأقصر – وقد مضى ذكرهم.

العرابات الثلاث: يتوارث مشايخ عرب العرابات الثلاثة الانتساب إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق،، رضي الله عنه، بين قائل منهم أنهم من ولده: محمد، وبين قائل أنهم من ولده: عبد الرحمن عن طريق حفيده "طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق"، وقد أشار لهذا صاحب "البلدان السوهاجية صـ ٨٥".

والذي لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه أنهم أرومة بكرية قرشية عريقة، ذات تاريخ مجيد. ذَكَرَهم علي باشا مبارك (ت ١٣١١ هـ/١٨٩٣ م) في الخطط، وحكى عن بعض أعيانهم ومآثرهم ووَصَف بلدانهم.

ومشايخ عرب العرابة هم أهل البأس والنجدة، ولا تزال حربهم التي دامت عدد سنين "حرب العسيرات والعرابة" مشهورة، يناقل أخبارها الرواة والمؤرخين، وقد كانوا هم قادتها وأبطالها. (للمزيد: الخطط التوفيقية ١٤/ ٣٨).

٣٨

آلاف متر وستمائة وبها جامع بمنارة ومعامل لاستخراج النيلة وبدائرها حدائق ونخيل كثير (عرابة أبي كريشة) هي عبارة عن عدة نجوع من قسم المنشأة بمديرية جرجا واقعة في وسط الحوض بين البحر والجبل في غربي العسيرات وجرجا الى ناحية الشمال ولا يصل اليها زمن زيادة النيل الا في المراكب وبها نخيل وبستان أنشأه المرحوم عليوة أغا أبو كريشة وعليوة أغا المذكور ابن أحمد أغا أبي كريشة الشهير كانت والدته جارية سوداء ولذلك كان أسود كالعبد وولي نظارة قسم جرجا وبرديس في زمن العزيز محمد علي وفي زمن المرحوم عباس باشا وكان والده ناظر قسم قبله في أول جعل نظار الاقسام من أولاد العرب سنة تسع وأربعين ومائتين وألف وكان له شهرة في الكرم وكان اذا ركب يركب خلفه كثير من عبيده وبلغت زراعته نحو ستة عشر ألف فدان ومثله في الشهرة بل أشهر منه عبد الله أبو فواز بناحية العسيرات وفي تلك المديرية أيضا قرية تسمى عرابة أبي ذهب وهي مثل عرابة أبي كريشة وأصل أهلهما واحد وعوائدهم متحدة (العرابة المدفونة) هذه المدينة كانت قديما من أعظم مدن الاقاليم القبلية فكانت تلي في العظم مدينة طيبة التي بقيت دهرا طويلا تختا للديار المصرية وكانت تسمى في الازمان السابقة ابيدوس وذكر استرابون انه كان بها سراية ممنون مثل التي كانت له في مدينة طيبة وكانت موضوعة على اعوجاج في النيل بعيدة عنه في داخل الارض آخر أرض الزراعة تحت جبل ليبيا والمارين الى اليهامن فرع كان منه في الصعيد الاعلى وكان سيره تحت الجبل الغربي ومنه كان فم البحر اليوسفي الداخل في بلاد الفيوم وقد انعدم هذا الفرع الآن بسبب علو الارض وانتقل فم البحر اليوسفي في الازمان السابقة أيضا الى النيل ومن آثار هذا الفرع ما يدعى عند أهالي الاقاليم الوسطى ومديرية الجيزة بالليبي ثم انه لم يستمر على ما كان عليه في الازمان القديمة بل صار [illegible]

وقد ذكر صاحب "السلالة البكرية" – كاتب هذه السطور ومن أهل هذا النسب المذكور – لُمَحٍ من أنساب البكريين مشايخ عرب العرابات الثلاث، وخصص لهم بضع صفحات بجوار إخوانهم من فروع قبيلتهم البكرية بصعيد مصر. (للمزيد: كتاب السلالة البكرية الصديقية ١/ ٣١٨-٣٢٠).

السلالة البكرية الصديقية... (٣١٩) التاريخ والأنساب والمشاهير...

- عرابة أبو كريشة بمركز المنشاة محافظة سوهاج: وكانت تسمى قديما "عرابة بني محمد" وهي العرابة الوسطى[١].
- عرابة أبو الدهب بمركز سوهاج محافظة سوهاج[٢].
- عرابة أبو عزيز بمركز المراغة محافظة سوهاج[٣].

والعلاقات بين قرى العرابات المتعددة هذه قوية منذ القدم، رغم بُعد المسافات نسبياً بينهم. وكذلك تجد وحدة في أصول نسب قبائل وعائلات أغلب قرى العرابات هذه، كما أن تراثهم القبلي والشعبي واحد تقريباً، مع وحدة المسمى " العرابا " لكافة قراهم، وهذا يعتبر بمثابة شاهد على وحدة غالبية أصول السكان الأصليين لقرى العرابات الثلاث تلك.

هناك من القبائل والعائلات البكرية الصديقية المتواجدة بالعرابات من تعود أصولهم لقبيلة "قصاص". فتوجد عائلات يعود نسبها إلى قبيلة "الحجاج" من قرية المراشدة[٤]. وكذلك هناك عائلات يعود نسبها إلى "دنفيق"[٥] وإلى قبائلها البكرية "قبيلة أولاد محمد" و"قبيلة أولاد منصور". وهناك عائلات يعود نسبها إلى "المطاعنة"[٦]، وإلى قبائلها البكرية "قبيلة السلمانية" و"قبيلة المساعيد". وكل هؤلاء من ذرية طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويسكنون بجوار إخوانهم من القبائل والعائلات التي يعود نسبهم إلى قبيلة "بني محمد" ذرية محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قرى العرابات. والعلاقات

ادعاء أن دنقل عرابة أبو كريشة ودنقل قلعة قفط شخص واحد:

رَوّج بضعة أفراد في الآونة الأخيرة دون سند أو بيِّنة أن «دنقل البكري» (جد الدناقلة بعرابة أبو كريشة) أنه نفسه «دنقل حسين» المنتسب لقبيلة الأمارة بقلعة قفط بمحافظة قنا، وهذا قول باطل لا ريب في ذلك.

ومن أدلة بطلانه:

١- الاختلاف الزماني: فدنقل جد الدناقلة هذا أقدم زمناً من «دنقل حسين» بعشرات السنين، لأن دنقل حسين هو الجد الثاني لحفيده المعاصر (العمدة/ عبد الفتاح حسن أحمد دنقل حسين)، أي أنه – دنقل – كان حياً منذ ١٣٠ عاماً فقط على التقريب، أي حدود سنة ١٣٠٢ هـ/١٨٨٥ م.

٢- بينما قرية الدناقلة كانت معروفة بهذا الاسم سنة ١٢٣١ هـ/١٨١٦ م، أي كانت تُعرف بهذا الاسم قبل مولد «دنقل حسين» بأكثر من ٧٠ عاماً، وذلك طبقاً لما جاء في «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية – القسم الثاني ٤/ ١١٦».

— ١١٦ — مركز جرجا

الدَّنَاقـلة

أصلها من توابع أولاد جبارة ، ثم فصلت عنها فى تاريع سنة ١٢٣١ هـ .

الدوَيرَات

أصلها من توابع المنشاة ، ثم فصلت عنها فى تاريع سنة ١٢٣١ هـ .

الرَّشَـايدة

وفي الغالب لا تُسمّى البلاد باسم رجل من الأحياء!، وعليه يكون دنقل جد الدناقلة بعرابة أبو كريشة أقدم زمناً من ذلك التاريخ بكثير، وهو ما يقطع بأن الشخصين مختلفين تماماً.

٣- الاختلاف المكاني: دنقل عرابة أبو كريشة من أهالي مركز المنشأة بمحافظة سوهاج، ودنقل القلعة من أهالي مركز قفط بمحافظة قنا.

٤- فقدان الشهرة بالنسب المُدَّعى به: لا يعرف الدناقلة بعرابة أبي كريشة لهم نسباً إلا النسب البكري الصديقي القرشي، يعرف هذا خاصتهم وعامتهم، ويشهد لهم به إخوتهم ببقية قرى عرابة أبي كريشة "أولاد سلامة وأولاد علي وغيرهما"، ويشهد لهم به بنو عمومتهم الأدنون بالعرابة المدفونة وعرابة أبي دهب، ويشهد لهم به بقية بني عمومتهم بمحافظة قنا ومحافظة الأقصر. ولم يتوارثوا لقب "الأمير" ولا الانتساب لقبيلة "الأمارة" الشهيرة بصعيد مصر.

وعليه لا يوجد ثمة دليل على كون المذكورين رجل واحد؛ فـ "دنقل العرابة" أقدم زمناً من "دنقل القلعة".

تم بفضل الله وعونه..

يوم الأربعاء التاسع من جمادى الثاني

سنة ١٤٣٨ هـ / الثامن من مارس سنة ٢٠١٧ م.

المـراجـع والمصــادر

١- الدرر الذهبية فى أصول أبناء الأمة العربية: الأشراف والهوارة والعرب، محمد أحمد عيد الهاشمي، دار التعاون للطبع والنشر - ١٩٩٨ م.

٢- القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ هـ، محمد رمزي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٩٤ م.

٣- صفحات ذات معنى في الكلام عن المطاعنة، علي عيسى الطنبشاوي (كان حيّاً سنة ١٩٥٠ م).

٤- البلدان السوهاجية، عبد الله أحمد عثمان، وزارة الثقافة المصرية ٢٠١٣ م.

٥- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، علي باشا مبارك (المتوفى سنة ١٣١١ هـ/١٨٩٣م)، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٥ هـ.

٥- السلالة البكرية الصديقية – التاريخ والأنساب والمشاهير، أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي البكري، دار الأمة العربية – ٢٠١٤ م.

الجوهر النفيس في أنساب مشايخ عرب برديس

الحمد لله الذي خلق الخلق فاختار منهم العرب، واختصّهم بأن جعلهم قبائل وشُعَبا، وميّزهم بأن رفع بهم منارة الأدب، فحازوا قَصَب السبق في مضمار الفخار بأعلى الرُتب، فمنهم النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم أول الخلفاء الراشدين المهديين، ثاني اثنين عبد الله العتيق؛ أبو بكر الصديق، رضي الله عنه.

وبعد: هذه رسالة في معرفة أنساب مشايخ عرب برديس، القرية الواقعة بالبر الغربي لنهر النيل المبارك بصعيد مصر، بنواحي جرجا، والتي تتبع حالياً مركز البلينا بمحافظة سوهاج.

القرية التي ذكرها ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان» وقال إنها من توابع قوص، فقد كانت ولاية قوص في تلك الأزمان متسعة غاية الاتساع. وكذا ذكرها تقي الدين المقريزي (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ) في «الخطط المقريزية»، فأشار إلى كونها أول قرى الصعيد الأعلى بالضفة الغربية لنهر النيل، وأن أرض برديس متصلة بأرض جرجا.

يتشكل - بل يتشابه - النسيج القَبَلي لبرديس بغيره من النسيج القبلي للبلدان الصعيدية، من مزيج من قبائل العرب، والهوارة، والفلاحين، وما إلى ذلك.

حديثنا هنا يختص بأرومة من أعرق بيوتات العرب قاطبة، أرومة من بني أبي بكر الصديق،، رضي الله عنه، سكنت ببرديس، وأسست ما يُعرف اليوم بـ «نجع العرب» به، سكنته بعديد بطونها، وبمن معها من بني عمومتها من قريش،

حتى اتسعت جغرافيته واعتدلت أحواله، فحرص كثير من الناس على السكنى فيه بجوار ذراري الصديق أبي بكر.

يَتَّحِد مشايخ عرب نجع العرب اسماً ونسباً وأصلاً، فيجمعهم اسم واحد «العرب»، ونسب واحد «النسب البكري القرشي»، وأصول واحدة جنوبية. إذ تعود أنسابهم إلى قبيلة عرب قصاص من بني قَصّة من ذرية طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق،، رضي الله عنه، ذات الديار المترامية بمحافظتي: قنا والأقصر، التي تبدأ من الجنوب بعرب المطاعنة بمركز إسنا بجنوبي محافظة الأقصر، مروراً بقرية الرزيقات بمركز أرمنت، والبعيرات والقرنة بغربي الأقصر، والقامولات وعرب دنفيق بمركز نقادة، وعرب البلاص بمركز قنا، وانتهاء بعرب المراشدة بمركز الوقف بشمالي محافظة قنا.

ترتبط أصول أكثر عائلات نجع العرب ببرديس بأبناء عمومتهم مشايخ عرب (الغرب الكبير) وهو المسمى التاريخي الإسلامي والعِرقي لديار آل أبي بكر الصديق بالجانب الجنوبي الغربي من محافظة قنا، فيما يعرف اليوم بمركز نقادة.

فنجد أن الكثير من عائلات نجع العرب ببرديس تعود في أصولها إلى: عرب دنفيق بمركز نقادة بمحافظة قنا. وإلى عرب الهدايات بمركز نقادة بمحافظة قنا، وإلى عرب البلاص بقرية المحروسة بمركز قنا.

وقد أشار السيد «علي عيسى الطنبشاوي» في كتابه «صفحات ذات معنى في الكلام عن المطاعنة» إلى تواجد أسر بكرية صديقية قرشية بنواحي جرجا، ترتبط في أنسابها بأنساب عرب المطاعنة وعرب دنفيق وعرب المراشدة وبقية بطون قبيلة عرب قصاص البكرية.



- ٤ -

تحت سيطرة الملك السابق وتفتيش جلال (باشا)، ولم يكن لأهلها
سوى مساحات متناثرة من فاسد الأرض ورديئها.

وتغيرت الأحوال.. وعادت المياه إلى مجاريها، ونعم الزراع،
فأصبحوا ملاكا.

والمطاعنة يتحدون لفظا ومعنى، فهم أسرة واحدة، ينتمون
لأصل واحد، ويكونون أكبر وأقوى عصبية في محافظة قنا تمتد
فروعها بمحافظة أسوان وترتبط بأصولها المقيمة بمحافظة سوهاج،
ولكنها عصبية بناءة تحب السلام لها ولمن حولها، وتنفر كالبرق
في القضاء على الشر عندما يجنح للحياة.

وبهذا تعد من مفاخر الصعيد المغوث في هـــذا العهد الجديد
للسلام مع محافظاته على وشائجه وروابطه.

كما أنها قدوة حية اتخذت التقوى شعاراً، ومكارم الأخلاق
دثاراً، فدلت على أصلها العريق وحسبها العريض.

ولله فصل الخطاب فيما جاء بالكتاب: «يا أيها الناس إنا
خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن
أكرمكم عند الله أتقاكم، فشرف النسب لا يتضح إلا بعمل طيب
وسلوك حسن.

فمن عصبيات المطاعنة في قنا البلاد الآتية:

- ٥ -

الرزيقات والريانية	في مركز أرمنت
البعيرات والقبلى قولا	« « الأقصر
دنفـــيق	« « قوص
المراشـــدة	« « دشنا

أما محافظة سوهاج ففيها أصولهم، ويقيمون في نواحي جرجا
والعرابة المدفونة، وعرابة أبو كريشة، وعرابة أبو دهب.

ومن المطاعنة نزحت أسر كاملة استطاعت أن تنشيء بلاداً
بنواحي كوم امبو التابعة لأسوان في البلاد الآتية:

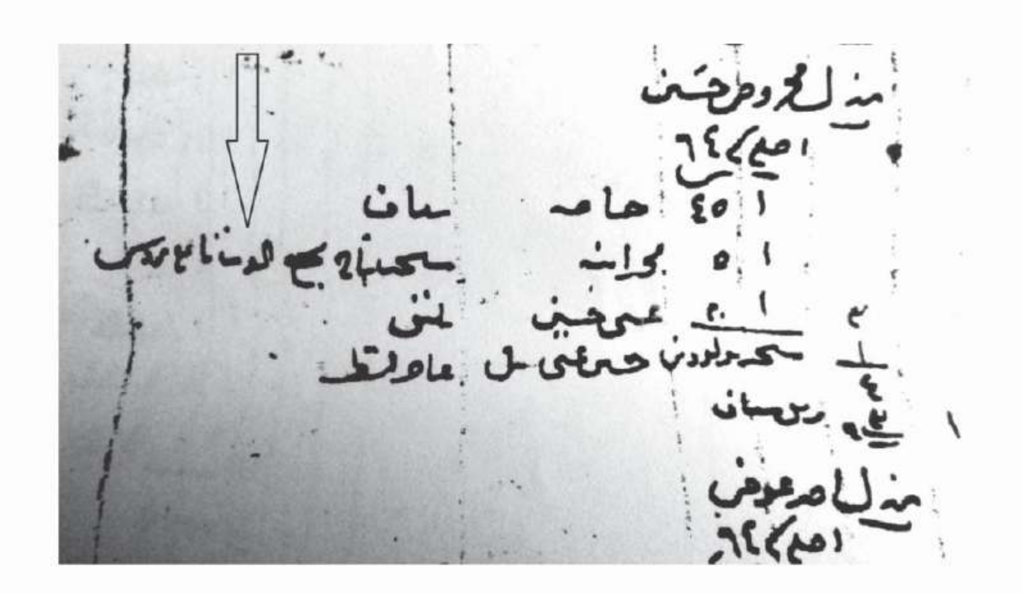
(١) السيل غرب (٢) الرغامة غرب (٣) نمرة ٦

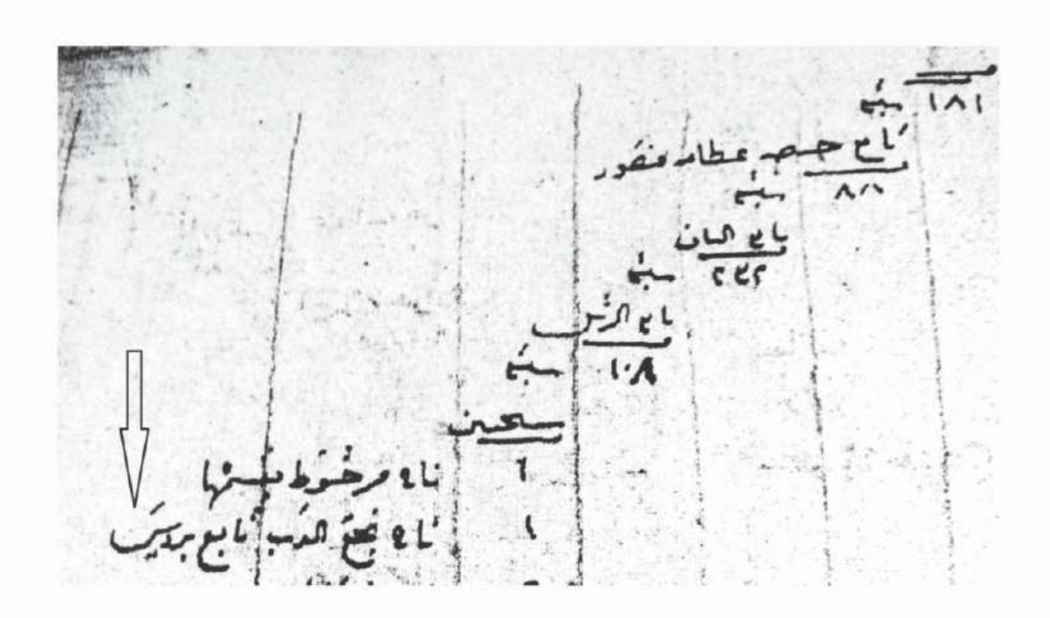
ومن أبناء عمومة المطاعنة بمحافظة أسوان الناجرة ويقيمون
بنواحي أدفو وقد هاجروا إليها من جرجا منذ أربعمائة سنة أو أكثر
كما يوجد أبناء عمومة لهم ببلدة الهنادي التابعة لمركز إسنا بمحافظة قنا.

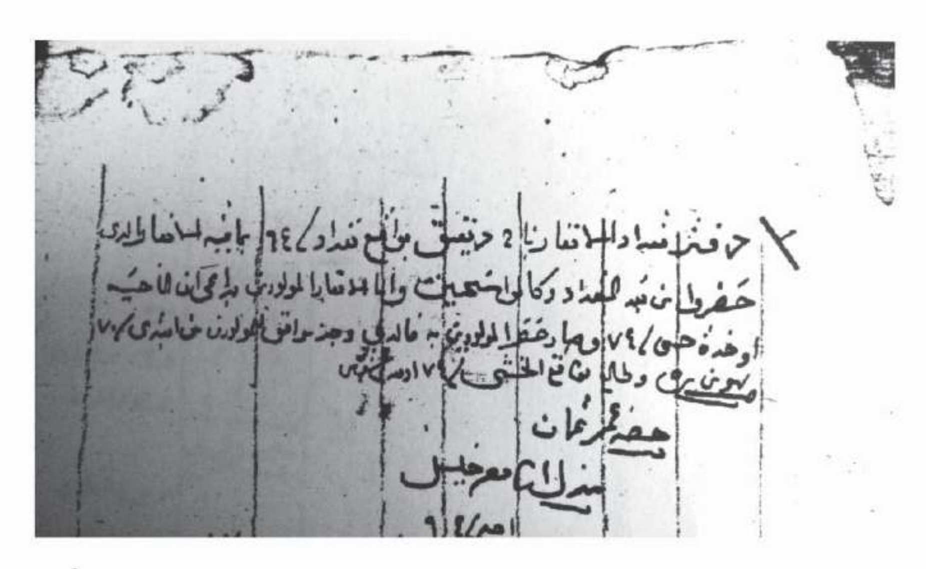
ومما يجدر ذكره أنهم ضربوا الرقم القياسي في عدد عمدهم
فمنهم بقنا:

١ – السيد محمد النوبي على عامر	عمدة أصفون
٢ – « محمود عثمان خالد	« طفنيس
٣ – « محمد توفيق خالد	« الكيمان
٤ – « أبو المجد محمد مصطفى كراع	« الغريرة

كما تُخبرنا دفاتر تعداد النفوس لقرية دنفيق بمديرية قنا المحفوظة بدار الوثائق القومية المصرية، لسنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م وسنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م – والتي استخرجها الباحث كاتب هذه السطور – عن علاقات وطيدة بين مشايخ عرب دنفيق وبني عمومتهم مشايخ عرب نجع العرب ببرديس، وأن الهجرات من قرية دنفيق إلى نجع العرب ببرديس لم تتوقف حتى تاريخه (أي منذ أكثر من ١٧٠ عاماً).







ويظهر في الصور المعروضة من دفتر تعداد نفوس ناحية دنفيق، أن السيد (محمد بن محروص بن حسين) قد اتجه إلى نجع العرب ببرديس بمديرية جرجا، وأسرة السيد المذكور تنتهي نسباً إلى قبيلة أولاد محمد البكري بدنفيق، وما زالت تقيم حتى اليوم بناحية "حاجر دنفيق" بمركز نقادة بمحافظة قنا، ولا زالت مترابطة ومتواصلة مع بني عمومتها بنجع العرب ببرديس بمركز البلينا بمحافظة سوهاج.

أما عن أسماء عائلات العرب البكريين بنجع العرب ببرديس فهم كالتالي: آل محمد عبد الرحيم، آل بدران، آل رضوان، آل سعيد، آل جابر، آل فراج، آل ماضي، آل عيسى، آل قناوي.

فهنيئاً لمشايخ العرب أهل الكرم والجود والشجاعة والإقدام ارتباطهم بهذا اللقب، فهم عرب ليسوا كأي عرب؟ إنهم "تاج العرب"، وفي ذلك يقول شاعرهم وابن عمهم الشيخ محمد بن عبد الجليل أبو حليبي حفيد شيخ العرب أحمد عبد الله شيخ عربان قصاص المطاعنة:

إحنا عرب جد لم فينا لومة إقصاص

نُسمّى المطاعنة ولينا في البلاد إقصاص

التمر نهديه للناس الكويسة ونعطي للعذول إقصاص

إحنا عرب جد وندبح للبوادي بكر

ونجود بالروح ولا نعمل حسايب بكر

ولا نكِن من ضيف ولو حلبي أتانا بكر

إحنا لأبي بكر.. من تاج العروبة إقصاص

الألقـاب والبلـدان: نظـرة سريعـة!

من خلال مطالعتي للعديد من المؤلفات والبحوث المختصة بعلم الأنساب، خلصت إلى هذه النتيجة "التقريبية" وهي:

١- عندما تجد (با فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد حضرموت، مثال: با علوي، باعشن، با وزير.

٢- عندما تجد (بوفلان) فاعلم أن الحديث عن المغرب العربي، مثال: بومدين، بوشيخي.

٣- عندما تجد (البوفلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد الرافدين، مثال: البوناصر.

٤- عندما تجد (ذو/ذوي فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد الحجاز، مثال: ذو عون، ذوي حراز.

٥- عندما تجد (ضنا فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد الحرمين، مثال: ضنا علي، ضنا بشر.

٦- عندما تجد (ولد فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد شنقيط، مثال: ولد نافع.

٧- عندما تجد (وَد فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد السودان، مثال: ود مدني، ود جاد الله.

٨- عندما تجد (عد فلان) فاعلم أن الحديث عن إرتريا، مثال: عد محمود.

٩- عندما تجد (أو فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد الصومال، مثال: أوقطب.

١٠- عندما تجد (امحمد) – بالهمزة المكسورة - فاعلم أن الحديث عن المغرب أو السودان.

١١- عندما تجد (امهنض/امغر) فاعلم أن الحديث عن بلاد شنقيط.

١٢- عندما تجد (فلان آب) فاعلم أن الحديث عن السودان وبلاد النوبة وبعض صعيد مصر الأعلى، مثال: مريوماب، حسناب.

١٣- عندما تجد (فلان+وه/ده) فاعلم أن الحديث عن الأردن، مثال: رواشده، بحاروه.

١٤- عندما تجد (مخدوم فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد الهند والسند "باكستان".

١٥- عندما تجد (مولاي فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد المغرب العربي.

١٦- عندما تجد (سيدي فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد المغرب العربي.

١٧- عندما تجد (فلان خان) فاعلم أن الحديث عن بلاد الترك ووسط آسيا.

١٨- عندما تجد (ملا أو ميرزا فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد فارس وما حولها.

١٩- عندما تجد (آغا فلان) فاعلم أن الحديث عن بلاد الشام أو العراق.

٢٠- أما (بني فلان) و (بيت فلان) و (آل فلان) و (أولاد فلان) و (عيال فلان) فهي موجودة في كل البلدان تقريباً.

إطلالة على لهجات العرب في مصر والصعيد

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف: ٢)، فالحمد لله أن أنعم علينا بالإسلام، وأن أكرم ألسنتنا بأن نطقت بالعربية «لغة القرآن الكريم»، والحمد لله أن شرّف نسبنا فجعلنا من الأمة العربية، أمة وقوم النبي محمد خير الآنام؛ صلى الله عليه وآله وسلم.

إن أول من تحدث باللغة العربية المبينة جد العرب: الذبيح، إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما السلام، فقد قال النبي الله صلى الله عليه وسلم: "أوّلُ من فُتِقَ لسانُه بالعربيّةِ المُبينَةِ إسماعيل وهوَ ابنُ أربعَ عشرةَ سنةً". من "الجامع الصغير للسيوطي».

تحدثت الأمة العربية باللغة العربية، بلهجات شتى، حتى قيّض الله لقريش أن جمعها "قصي بن كلاب" وهو الجد الرابع للنبي وأسكنها أبطح مكة، فمكّنها تجاورها من الحرم أن تطّلع على كافة لهجات قبائل العرب، وتنتقي من كلامهم أحسنه، وأجمله، حتى أضحت (لهجة قريش) هي أفضل وأفصح وأجمل وأبهى لهجات العرب قاطبة، وبها نزل القرآن الكريم.

وقد قيل عن فصاحة قريش إنها: ارتفعت في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع – أو تضجيع – قيس، وعجرفية ضبّة، وتلتلة بهراء.

قدمت لمصر قبائل عربية كثيرة، من اليمن، ومن الحجاز. من نجد، ومن العراق. من الشام، ومن المغرب. في هجرات متتالية؛ وعلى فترات. ونقلت كل قبيلة معها لهجتها، والتي ربما تكون تغيّرت قبل وصولها لمصر عمّا كانت عليه

إبان عصور الجاهلية. فتداخلت اللهجات مع تداخل القبائل، وشكّلت منظومة جميلة ورائعة للغة العربية؛ ومن شتى اللهجات العربية، فحقاً مصر هي بوتقة العرب والعروبة.

فإليكم قائمة بأشهر اللهجات العربية في مصر وغيرها، لتمام الفائدة:

١- طمطمانية حمير[٢٧]: وهي العجمة في الكلام، مثل قول قوم حمير حينما قدموا على رسول الله -، صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: هل من امبر امصيام في ام سفر؟ ويعنون: هل من البر الصيام في السفر ؟. فردّ عليهم رسول الله بمثل قولهم: "ليس منَ امبِرِّ امصيامُ في امسفَرِ".

وقد علّق الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) في «الكفاية في علم الرواية» على هذا فقال: وهذا لغة الأشعريين، يقلبون اللام ميماً، فيقولون: رأينا أولئك امرجال، يريدون الرجال، ومررنا بامقوم، أي بالقوم، وهى لغة مستفيضة إلى الآن باليمن، وفي الحديث أن أبا هريرة، قال: يوم الدار - يقصد يوم حصار عثمان بن عفان - طاب امضرب، يريد طاب الضرب.

وحكى الأصمعي أن معاوية بن أبي سفيان -، رضي الله عنهما - قال يوماً في مجلسه: من أفصحُ الناس؟ فقامَ رجل فقال: قوم تَيامَنُوا عن طُمْطُمانِيَّةِ حِمْيَر، وتَياسَروا عن كَسْكَسَةِ بكر، وليس فيهم غَمْغَمة قُضاعة. وفي رواية: قال: هم قوم تباعدوا عَن عنعنة تَميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعَة، وكسكسة بكر، لَيْسَ فيهم غمغمة قضاعة وَلَا طمطمانية حمير.

---

(٢٧) الكفاية في علم الرواية، ط المكتبة العلمية صـ ١٨٢، مسند الشافعي، ط العلمية صـ ١٥٧، تهذيب اللغة، ط إحياء التراث ١٥/ ٤٤٨، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٣٣/ ٤٧٢، تاريخ آداب العرب للرافعي، ط الكتاب العربي ١/ ٩٦، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي، ط الرسالة ٨/ ٦٤، الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ط الفكر العربي ٢/ ١٦٥، العقد الفريد لابن عبد ربه، ط العلمية ٣/ ٢٧٤، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، ط الأعلمي ٥/ ٢٢٥، درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ط مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت صـ ٢٢٤، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢١٠.

فقال معاوية: من هم؟ قال: قومُك قريش. قال: صدقت، فممَّن أنت؟ قال: من جَرْم. قال: جَرْمٌ أفصحُ الناس.

ومن أمثلة لهجة طمطمانية حمير اليوم في مصر، كلمة: امبارح = البارحة، امبابة = الباب.

والطمطمانية منتشرة في بعض الأشعريين وبعض طيء.

٢- عنعنة تميم وأسد، وبعض قيس وقضاعة[٢٨]: وهي إبدال الألف عين، مثل أن نقول: عنك = أنك، عسلم = أسلم، عحبك = أحبك. ويقولون: (أشهد عنك رسول الله) أي: أشهد أنك رسول الله.

٣- فحفحة هذيل[٢٩]: والفحفحة هي قلب الهاء عين، مثل قراءة سيدنا عبد الله بن مسعود الهذلي لآية (حتى حين) هكذا (عتى حين). و عان الموعد = حان الموعد، و عال العول = حال الحول.

٤- عجعجة قضاعة وتميم[٣٠]: وهي إلحاق الجيم بآخر الكلمة، مثل: التميمج = التميمي، كوفج = كوفي. وأيضاً هي إبدال الياء المتطرفة بعد عين جيماً، نحو: الساعج خرج معج.

وقد قال شاعر من بني تميم:

ولا أكُولُ لِكدرِ الكَوم قَدْ نضجت   ولا أكولُ لبابِ الدَّار مَكْفولُ

(٢٨) المزهر في علوم اللغة للسيوطي، ط العلمية ١/ ١٧٦، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ١/ ٢٢، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٠٨-٢٠٩، ، تاريخ آداب العرب للرافعي، ط الكتاب العربي ١/ ٩٥.

(٢٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٥٢، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٧/ ١١، تاريخ آداب العرب للرافعي، ط الكتاب العربي ١/ ١٠٦.

(٣٠) الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس القزويني الرازي، ط محمد علي بيضون صـ ٣٠، قصة الأدب في الحجاز لعبد الجبار وخفاجي، ط مكتبة الكليات الأزهرية صـ ١٩١.

٥- استنطاء هذيل وسعد بن بكر والأنصار[٣١]: وهي جعل العين نوناً إذا جاورت طاء، مثل: أنطيناك = أعطيناك، أنطيتك = أعطيتك.

وروى أحد الناطقين بهذه اللهجة حديث رسول الله هكذا: (اللهم لا مانع لما أنطيت، ولا منطي لما منعت).

٦- تلتلة بهراء[٣٢]: فإنها تقول: تِعلمون، وتِفعلون، وتِصنعون، بكسر أوائل الحروف.

٧- وَتم أهل اليمن وقضاعة أو تمتمة تميم[٣٣]: والوتم هو قلب السين تاء وكذلك التمتمة، مثل قولهم: النات = الناس، أكيات = أكياس.

وقيل: الوتم في لغة اليمن هو جعل الكاف شيناً مطلقاً، كلبيش اللهم لبيش.

ومنه قراءتهم للقرآن: (قل أعوذ برب النات). وكذلك قول الشاعر "علباء بن أرقم":

أَلاَ لَحَى اللَّه بَنِي السَّعْلاَةِ... عَمْرِو بنِ يَرْبُوعَ لِئَامَ النَّاتِ

ليسوا أعِفَّاء ولا أكيات

٨- كشكشة قيس وربيعة وتميم وأسد[٣٤]: هي إضافة حرف الشين لحرف الكاف، مثل

قولهم: ياكش = إياك، مررت بكش = مررت بك، منش = منك.

(٣١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٠٧، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ط المكتبة العلمية ٥/ ٧٦، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٤٠/ ١٠٦.

(٣٢) سر صناعة الإعراب لابن جنى الموصلي، ط العلمية ١/ ٢٤٢، درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ط مؤسسة الكتب الثقافية صـ ٢٢٤، المزهر في علوم اللغة للسيوطي، ط العلمية ١/ ١٦٧، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، ط الخانجي ١١/ ٢٣٦.

(٣٣) تفسير القرطبي، ط دار الكتب المصرية ١/ ٤٥، إمتاع الأسماع للمقريزي، ط العلمية ٤/ ٢٦٤، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٠٥، تاريخ آداب العرب للرافعي، ط الكتاب العربي ١/ ٩٥.

(٣٤) تفسير القرطبي، ط دار الكتب المصرية ١/ ٤٥، ، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ط المكتبة العلمية ٤/ ١٧٦، لسان العرب لابن منظور، ط صادر ٦/ ٣٤٢، سر صناعة الإعراب لابن جنى الموصلي، ط العلمية ١/ ٢٤٢، درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ط مؤسسة الكتب الثقافية صـ ٢٢٤-٢٢٥، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٦٤.

ومن هذه اللهجة أيضاً قرآتهم لهذه الاية: (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) (مريم:٢٤)، هكذا: (قد جعل ربش تحتش سريا).

٩- كسكسة بني بكر بن وائل وهوازن[٣٥]: وهي إضافة حرف السين لحرف الكاف، مثل قولهم: أقولكس = أقولك، أعطيتكس = أعطيتك، منكس = منك، عنكس = عنك.

١٠- قطيعة — أو قطعة - طيء[٣٦]: وهي بتر آخر حرف من الكلمة، مثل: يا أبا الحكا = يا أبا الحكم، محم = محمد، أحم = أحمد، ونجد هذه اللهجة موجودة بالإسكندرية خاصة.

١١- وهم "كلب"[٣٧]: وهو كسر الهاء، مثل: منهِم = منهم، عنهِم = عنهم.

١٢- شنشنة تغلب وأهل اليمن[٣٨]: وهي إبدال الكاف شين، مثل قولهم: لبيش اللهم لبيش = لبيك اللهم لبيك.

١٣- عجرفية ضبة[٣٩]: والعجرفة هي الجفوة في الكلام، والخرق في العمل، والسرعة في المشي.

قال ابن سيده: وعجرفية ضبة: أراها تقعرهم في الكلام. وأصل العَجْرَفة رُكُوبُك الأمرَ من غير رَوِيَّة.

---

(٣٥) سر صناعة الإعراب لابن جنى الموصلي، ط العلمية ١/ ٢٤٢، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ط العلمية ٦/ ٦٤١، لسان العرب لابن منظور، ط صادر ٦/ ١٩٦، الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ط الفكر ٢/ ١٦٦، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، ط الخانجي ١١/ ٢٣٧.

(٣٦) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٣٧) قصة الأدب في الحجاز لعبد الجبار وخفاجي، ط مكتبة الكليات الأزهرية صـ ١٩٢.

(٣٨) العقد الفريد لابن عبد ربه، ط العلمية ٢/ ٣٠٥، دراسات في فقه اللغة، ط الملايين صـ ٦٩.

(٣٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٦٤، لسان العرب لابن منظور، ط صادر ٩/ ٢٣٤، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٢٤/ ١٢٢، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ط العلمية ٢/ ٤٣٣، المخصص لابن سيده، ط إحياء التراث ٢/ ١٩٧.

١٤- غمغمة قضاعة[٤٠]: الغمغمة هو الكلام غير المفهوم، وكانت بعض قبائل قضاعة تشتهر بهذا. ومازال أهل مصر يقولون لمن لم يتضح كلامه: (ما هذه الغمغمة؟).

(٤٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ط دار الساقي ١٦/ ٢٠٧، درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ط مؤسسة الكتب الثقافية صـ ٢٢٥، النهاية في غريب الحديث والآثر لابن الأثير، ط المكتبة العلمية ٣/ ٣٨٨، لسان العرب لابن منظور، ط صادر ١٢/ ٤٤٤، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ط دار الهداية ٣٣/ ١٨.

الإثنيات العرقية والتقسيمات القبلية فى صعيد مصر

صعيد مصر، تلك الجنة الأرضية، والتحفة المصرية، والروضة النيلية، هذا الصعيد الصاعد السامي، الصعيد الأخضر الذي يشق صحراء مصر الجرداء، فُيحيي به الله مواتها، الصعيد الذي يشقه نيل مصر العظيم، هذا الصعيد الذي كان مسكناً ومأوىً لأكثر أجناس الأرض!!، فقد سكنه المصريون القدماء بعديد أسرهم، والنوبة، والأقباط ورثة الفراعنة، والهكسوس، وبني إسرائيل، والفرس، واليونان، والإغريق، والرومان، والألبان، والترك، والعرب، والجركس، والصقالبة، والأوزبك، والكرد، والحبش، والزنج، والبربر، والغجر، وربما أجناس أخرى.

فاليوم صعيد مصر عبارة عن طبق حلوى، به كل الألوان والأشكال، أجناس شتى يجمعها دار واحد، ومصر واحد، ودين واحد – أغلبهم – فالحمد لله الواحد، مُجمِّع وموفق الخلائق.

كنت قد ترددت كثيراً قبل أن أسطر هذه السطور، لِما لهذا الموضوع من حساسية شديدة في المجتمع الصعيدي الذي أنتمي إليه. ولكن ها قد توجب البيان؛ عن أعراق وإثنيات الصعيد، الذين اجتمعوا في القرن الأخير تحت هذه المسميات: (السادة الأشراف، العرب، مشايخ العرب، البدو، الهوارة، الفلاحين، البرابرة، الأتراك، الألبان، المماليك، العبيد، النوبة، البجاة، الجراكسة، الغجر، الحلب، النّور، المساليب، الغوازي، الجمسة، السقاقوة، الأقباط).

فهلم نتعرف على هذه العرقيات والإثنيات والقبليات المصرية الصعيدية:

١– السادة الأشراف: كل من ساد وشرف في قومه دُعي بالسيد، والشريف، ففي

كل قوم يوجد شرفاء وسادة، وإن كان بعد ظهور الإسلام ومرور القرون، أصبح مفهوم «السادة الأشراف» مقيداً على أشرف قبيلة في العرب والعجم؛ بنو هاشم «أهل البيت» قوم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل من ينتسب إلى «هاشم بن عبد مناف القرشي» فهو من السادة الأشراف حسب ما هو متعارف عليه في قرننا الأخير هذا.

٢- العرب: أحفاد الذبيح إسماعيل عليه السلام، وهم – كما ورد في الحديث الشريف – صفوة بني أدم، حيث إن الله اصطفى بني إسماعيل الذبيح من بني أدم، واصطفى «كنانة» من بني إسماعيل واصطفى «قريش» من كنانة، واصطفى «بني هاشم» من قريش. فالعرب ينقسمون إلى جذمين كبيرين هما «عدنان وقحطان»، وكل من ينتسب إليهما فهو عربي. وإن كان هذا المفهوم قد اختلف كثيراً في القرون الأخيرة، إذ أضحى كل من نطق لسانه باللغة العربية عربياً!، ولعل لهذا الأمر شاهد، حيث رُوي أن العربية ليست نسباً؛ ولكن هي لسان.

يُطلق اليوم على أبناء الشعب العربي لقب «العَرب» وأحياناً «العُربان»، والاختلاف بينهما طفيف، حيث إن العربان تعني العرب الذين مازالوا على حالة البداوة أو قريب منها، مثل أعراب البوادي ومن على شاكلتهم، ومن تميزت طباعهم وأخلاقهم من غزو وكر وفر وغيره من هذه الأمور، ومن أمثلة قبائل العرب في الصعيد نذكر «قبيلة جهينة – حضر وبادية»، و«قبيلة الجعافرة - حضر»، و«قبيلة الحويطات – حضر وبادية».

٣- مشايخ العرب: كان – وحتى زمن قريب - لكل قبيلة عربية أو غير عربية شيخاً جامعاً لها، يُسمى بشيخ العرب أو شيخ العربان، ويُلقّب أهل بيته

وذريته بلقب «مشايخ العرب»، وما أكثر الأسر والعائلات المُسماة بهذا الاسم في الصعيد، لكون أحد أجدادهم كان شيخاً لقبيلته كلها.

وهناك مشايخ للعرب جامعين لعدة قبائل وليس لقبيلة واحدة فقط، ففي المصادر التاريخية قد تجد: فلان بن فلان «شيخ مشايخ عربان إقليم كذا» أو «شيخ مشايخ قبائل كذا» أو «شيخ شمل قبائل بني فلان».. وهكذا.

٤- الأقباط: وهم كما قيل ذرية قبط بن مصرييم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وهم أصحاب مصر الأصليين – الأقدمين – ومن سميت مصر باسمهم، وأغلب أقباط مصر اليوم قد صاروا مسلمين وجُهلت أنسابهم وبقاياهم، وعُدت أغلب – وربما جميع – بقاياهم ضمن طائفة «الفلاحين» التي سيأتي تفصيلها لاحقاً.

وينتشر بقايا الأقباط الذين لم يدخلوا في الإسلام وظلوا على دينهم في شمالي صعيد مصر، وبعض نواحي الدلتا والإسكندرية خاصة، غير أن الإسكندرية – وكان بها نصف سكان مصر – كانت مُستوطنة أجنبية منذ قديم الزمن، فأغلب ساكنيها كانوا من بقايا اليونان، والمقدونيين، والإغريق، والبطالمة، والرومان، وبعض اليهود، وبالإضافة لذلك فبها مقر البابوية الكنسية للأقباط.

ومما هو جدير بالملاحظة أن الأقباط «المصريون» القدماء؛ كانت أشكالهم أقرب إلى الشكل الأفريقي – أصحاب الشعر الأجعد والبشرة السمراء – وربما للشكل العربي منها إلى الشكل الأوروبي، وإن صور ونقوش المعابد القديمة توضح ملامحهم جيداً وهي أقرب لملامح النوبيين وبعض العرب. ولكن اليوم إن نظرنا إلى أشكال وملامح أقباط مصر «النصارى»؛ سنجد أن

ملامحهم هي نفسها ملامح الأوروبيين!، من بياض وحمرة في البشرة، ولين في الخَلق وغيره، مما يُشير إلى أصولهم الأوروبية القديمة!

بينما بعض أقباط الصعيد – أو أكثرهم – لا يزالون يحتفظون بالبشرة السمراء «القبطية المصرية» الأصلية.

٥- الفلاحين: وهو مُسمّى يختلف معناه تبعاً لاختلاف المكان والزمان، فهذا اللقب مُشتق من «الفلاحة» وهي الزراعة. فمن كان يقوم بها فهو «فلاح» أي «مزارع». وقد عثرت في كتب التراث ما يفيد بهذا، حيث وُصِف من يقومون بالزراعة بلقب «الفلح» أي الفلاحين، وهم نقيض «العربان» أصحاب البداوة «الذين لا يمتهنون الزراعة».

وهناك قول آخر لتفسير لقب الفلاحين، ولكن نراه ضعيفاً، وهو: أنه كان يُطلَق على المصري النصراني الذي يدخل في دين الإسلام لقب «فلح»، وهي تعنى أنه أفلح في دخوله دين الإسلام، فأصبح يُلقب كل الذين أسلموا بهذا الاسم «الفلاحين»!

وكان العربان الذين مازالوا على حالة البداوة يُطلقون لقب «الفلاحين» على من سواهم من أهل القرى والأرياف، وإن كان أحياناً يدخل ضمنهم كثير من أبناء القبائل العربية التي اشتغلت بالفلاحة وسكنت القرى والأرياف وتركت البداوة والذين قد يكونون من بني عمومة هؤلاء العربان البدو!

وعند بعض القبائل العربية التي نزلت من البادية واستوطنت الريف، يكون «الفلاحين»: هم أصحاب البلد الأصليين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة في زمن مجئ هؤلاء العربان إلى الريف، فيُطلقون عليهم لقب «الفلاحين»، ولا يُفارقهم هذا اللقب أبداً حتى لو حدث أن اشتغل العربان هؤلاء بمهنة الفلاحة أيضاً بعد

نزولهم الريف وأصبحوا مثلهم!

وفي بعض البلاد يُطلِق القوي لقب «الفلاح» على الضعيف، وعليه يكون هذا التقسيم «الفلاحين» ليس تقسيماً عِرقياً بالأساس، وإنما مردّه لظروف معيشية أو سياسية غالباً.

وعادة فإن «العربان البدو» أو «العرب الحضر» لا يزوجون نسائهم لطائفة «الفلاحين»؛ حيث يرونهم ليسوا بأكفاء لهم في النسب. بينما يتزوج العربي من «الفلاحين» كيفما شاء، وقد اختلف الفقهاء في مسألة وجوب الكفاءة في النسب كشرط لتمام الزواج، وإن كانت كثير من آراء الفقهاء أثبتت وجوب الكفاءة في النسب كشرط لصحة النكاح، ولكن لم يمنعوه ولم يُجرّموه حال حدوثه، إنما قد يفسخون عقد النكاح إن كان سيؤدي ذلك النكاح – بين غير الأكفاء نسباً – لمفسدة كبيرة!

٦- الهوارة: هي قبيلة بربرية أمازيغية الأصل، من بلاد المغرب وليبيا، هاجرت بطون عديدة منها لمصر، قديماً، برفقة جيوش الدولة العبيدية «الفاطمية»، وسكنت بادئ الأمر إقليم البحيرة بغربي دلتا مصر، ثم انتقلت إلى الصعيد بعد ذلك في العصر المملوكي، بعد وقعة بدر بن سلام الشهيرة بالبحيرة.

وقد دخلت في الهوارة كثير من بطون وعشائر العرب عن طريق الحلف «التحالف»، حتى صارت «هوارة» عبارة عن خليط أو مزيج من القبائل العربية والبربرية الأمازيغية، تشترك كل هذه البطون والقبائل في لقب (الهواري)، وتتباين في أنسابها.

يشتهر الهوارة باسم شعبي «محلي» آخر، وهو «الهواوير» أو «الهواورة»، خاصة في أقصى جنوب مصر بمقربة من حدود دولة السودان. وقد كانت للهوارة إمارة عظيمة ذات نفوذ كبير، مكّنها لتكون ما يشبه الدولة في الصعيد،

تمتد حدود هذه الدولة ما بين جنوب الجيزة بالقرب من القاهرة؛ حتى أقصى بلاد الصعيد، وذلك زمن أمير بلاد الصعيد شيخ العرب والسادة وشيخ مشايخ الهوارة همام بن يوسف الهواري.

٧- النوبة: وهم شعب عظيم له تاريخ قديم منذ عصور الفراعنة أو ما قبل ذلك، وله لغة خاصة به، لغة منطوقة، غير مدوّنة كما هو شائع؛ إلّا أن هناك من الباحثين من يرى بأن للغة النوبية تدوينات قديمة، ومنهم الباحث د. مختار خليل كبارة؛ الذي أفْرَد كتاباً اسمه «اللغة النوبية: كيف نكتبها؟» به تفاصيل كثيرة وأدلة على كونها لغة مدوّنة.

وللنوبة ديار كبيرة شاسعة بأقصى جنوب مصر (ديارهم الأصلية تقبع الآن أسفل مياه بحيرة السد العالي)، ثم بعد بناء السد العالي بأسوان تم نقل كافة قراهم الواقعة خلف السد إلى قرى جديدة بُنيت لهم بمحافظات جنوب الصعيد: أسوان، والأقصر، وقنا، وحملت قراهم الجديدة هذه أسماء قراهم الأصلية المغمورة تحت مياه بحيرة السد. وهذا يُظهر مدى تمسك أهل النوبة بتاريخهم وتراثهم الخاص، بالإضافة للغتهم الخاصة التي لم يتخلوا عنها حتى يومنا هذا.

واليوم يوجد أهالي النوبة بجنوبي مصر وشمالي السودان، وأشهرهم بمصر فريقان: الفاجوك والكنوز، أما الكنوز فهم قبائل عربية من بني ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، خالطت النوبة فصاروا في عدادهم واكتسبوا البشرة السوداء من كثرة تزاوجهم معهم. ولكل من الفاجوك والكنوز لغته المحلية «لهجته النوبيّة» الخاصة به.

وقد كانت للنوبة شوكة كبيرة وقوة عظيمة في سالف العصر، فلم يستطع

العرب المسلمون فتح بلادهم إلا بعد قرون طويلة وعناء شديد. وكانت ديانتهم «المسيحية» فيما مضى، وقد دخلوا في الإسلام متأخراً عن أهل مصر.

والنوبيون أهل كرم وضيافة، وأدب وأمانة، فتشتهر نسائهم بالعفة، ورجالهم بالأمانة، وكلاهما بمحاسن الأخلاق.

وقد كانت للرحالة الأوروبي الشهير «بوركهارت» شهادة في حق نساء النوبة، سجّلها في كتابه عن رحلته لبلاد النوبة، آثرت نقلها لُحسن ما جاء فيها من محاسن القوم. يقول بوركهارت: (أما النساء فلهن قامات بديعة، ووجوه طلقة حلوة، وإن لم تكن جميلة، وطباع لطيفة غاية اللطف، بل إنني رأيت بينهن حِساناً بارعات الجمال، ولست أشك في أن دينون قد غمطهن حقهن. ولكن العمل الشاق الذي يقمن به منذ طفولتهن يضنينهن، فشئون البيت كلها موكولة إليهن، أما الرجال فمنقطعون للزراعة. ونساء النوبة أعف نساء الشرق قاطبة، وعفتهن أجدر بالإشادة لِما كان ينتظر من تأثرهن بجيرة صعيد مصر الذي يشتد فيه تأثير الغريزة الجنسية. وفي أثناء مكثي «بإسنا» كان الفتيات يأتين إلى مسكني كل صباح ليبعنني اللبن، فكانت المصريات منهن تقتحمن فناء الدار في جرأة وتسفرن عن وجوههن، وهو مسلك يفهم منه هنا أنهن يعرضن أنفسهن، أما النوبيات – وكثيرات منهم يقمن مع أسرهن في إسنا – فكن يقفن بعتبة البيت متأدبات لا يتجاوزنها بحال من الأحوال، ويأخذن ثمن ما بعن من لبن وهن مقنعات) اهـ.

وقال بوركهارت عن رجال بلاد النوبة: (ولولا طغيان الحكومة – المصرية – واستبدادها لكان النوبيون جيران خطرين على مصر، فهم يمتازون عن المصريين بالجرأة وحب الاستقلال وشدة التعلق بأرضهم، ويفد على القاهرة

منهم كثيرون كل عام، فيشتغل معظمهم بوابين، وهم في ذلك مفضلون على المصريين لأمانتهم، وبعد أن يقيموا بها ست سنوات أو ثمانية يعودون إلى مسقط رءوسهم بما أصابوا من مال قليل، مع علمهم بأنهم لن يظفروا في وطنهم بغير خبز الذرة وجلباب الكتان عوضاً عما ينعمون به من أطايب القاهرة) اهـ.

ويقول أيضاً: (وقد رأيت في معظم النوبيين رقة ولطفاً وعزوفاً عن السرقة، وهي رذيلة معروفة في مصر، أو على الأقل في الأقاليم الواقعة إلى الشمال من أسيوط. والحق أن السرقة تكاد تكون معدومة بينهم، فإذا ثبت أن منهم من اقترف هذا الجرم طرد من قريته بالإجماع، ولم يضع في أثناء رحلتي في النوبة شيء مما أحمل مهما تفه، مع أنني كنت أنام في العراء أمام البيت الذي أحط عنده، وفي النوبيين عموماً كرم وحسن ضيافة للطارق) اهـ.

٨- البرابرة: وهو لقب مشتق من كلمة «البربر»، كنسب أو كصفة. فالنسب هو «البربر الأمازيغ» سكان بلاد المغرب العربي والواحات الغربية لمصر.

ولكن لكلمة «البرابرة» هذه مدلول خاص جدا بالصعيد؛ مدلول قد لا يعلمه كثير من الناس من سوى أهل الصعيد، فكلمة البرابرة تعني «شعب النوبة»، وهم أصحاب لهجة شبيهة بكلام ولهجة «البربر». فأصبح يُطلق على أهل النوبة لقب «البرابرة».

وعن ذلك يقول الرحالة الأوروبي بوركهارت في رحلاته لبلاد النوبة: (يُطلق المصريون على سكان وادي النوبة ووادي الكنوز حتى دنقلة اسم «البرابرة»، ولكن هذا اللفظ قلما يستعمله الوطنيون أنفسهم حين يتكلمون عن أمتهم. ولعل اللفظ مشتق من اسم إقليم «بربر» الواقع في اتجاه «القوز» التي ذكرها الرحالة بروس. ويعتبر أهل «بربر» أحياناً نوبيين) اهـ.

وأقول: إن أهل النوبة ينفرون أشد النفور من هذا الاسم أو هذا اللقب!، وحالياً لم يعد هناك من يستخدم هذا المصطلح سوى كبار السن من أهل الصعيد، وما ذكرته هاهنا إلا للضرورة البحثية التي تستدعي التدوين لمجريات وأحداث التاريخ.

٩- البِجاة أو البِجا «البِجة»: هم شعب قديم يسكن الصحراء الشرقية بشكل أساس، وهو أحد مكونات سكان الصحراء الشرقية الحاليّة، التي تتكون من مزيج من القبائل، منهم: قبائل البجاة، والحداربة، والكواهلة، والبشارية، والعبابدة، والهدندوة، وغير ذلك.

والبجاة فصيل مستقل مثله مثل النوبة، فله لهجته الخاصة، ودياره الخاصة. وهم ذو تاريخ قديم، ومآثر كريمة، اختلطوا بالعرب من بني ربيعة وغيرهم، وتزاوج معهم بنو ربيعة وأدخلوا الكثير منهم في الإسلام؛ فقد كان أغلب البجاة هؤلاء من الوثنيين – وهم بخلاف النوبيين المسيحيين. وكان لديهم نظام توريث الملك لابن الأخت، فاستغل ذلك العرب من بني ربيعة وأكثروا التزاوج معهم حتى انتقلت إليهم زعامة البجاة، وزادت عصبيتهم بعد ذلك. ويشترك مع البجاة في الديار بنو ربيعة هؤلاء، وبطون من قبيلة جهينة العريقة، وقد آثرت هذه القبائل السكنى مع البجاة نظراً لوجود معادن الذهب بوفرة داخل ديار البجاة، وللبجاة امتداد كبير في الصحراء الشرقية لدولة السودان حتى حدود بلاد الحبشة.

١٠- الأتراك: وهُم الجنس التركي على عمومه، حيث إن الترك شعب كبير يسكن رقعة كبيرة من قارة آسيا، منه بقايا في الصين، ومنه أيضاً شعب التتار والمغول. قديماً كان يُطلَق على سكان بلاد وسط آسيا وجبال القوقاز لقب الأتراك، وخاصة شعوب «التركمان، والشراكسة أو الجراكسة، والتتر، والغزّ،

وغيرهم من شعوب تلك المنطقة»، وقد جاء أن الأتراك هم قبيلة من قبائل يأجوج ومأجوج كانوا في سفر أثناء مقدم ذي القرنين وبناءه للسد – الردم – فتُرِكوا وراء السد، فلقّبوا بالترك، وهو تفسير غريب وإن كان يُشير لصلة القرابة بين تلك الأمم والأجناس سالفة الذكر، والله أعلم.

أما كلمة «الأتراك» في الصعيد؛ فتعني بشكل أساسي «المماليك بيض البشرة»، وذلك لكون المماليك بيض البشرة كان أكثرهم من الجنس التركي «شراكسة أو تركمان أو تتر أو غُز»، ومازالت بقايا المماليك البيض يُسمّون إلى اليوم بالأتراك، وإن كان منذ عهد قريب نسبياً شاركهم في هذا اللقب بعض من الأتراك الذين قدموا من «دولة تركيا» في عصر محمد علي باشا، ولكنهم قلة بالنسبة إلى الأتراك المماليك الأقدمين.

١١- المماليك: وهم العبيد الذين تقلّدوا حكم مصر بعد عصر الدولة الأيوبية، وهم جنسان، مماليك بيض ومماليك سود، فالمماليك البيض يُطلق على أغلبهم اسم «الأتراك»، أما المماليك السود فهم الذين ترجع أصولهم إلى بلاد الحبشة والسودان وبلاد التكرور «التكارنة أو الدكارنة»، وأغلب بقاياهم – أعني المماليك سود البشرة – يُحسبون ضمن طائفة «العبيد»، ولا أعلم أن هناك منهم من يحتفظ بلقب «المملوكي».

١٢- الجراكسة: أو الشراكسة، وهم من شعوب بلاد القوقاز بين البحر الأسود وبحيرة قزوين، من الجنس التركي. وهم يمثلون طائفة كبيرة من المماليك الذين حكموا مصر. واليوم هناك بصعيد مصر العديد من الأسر التي ما زالت تحتفظ بلقب «الشركسي أو الجركسي»، وأغلب بقاياهم اليوم يُعدّون ضمن طائفة «الفلاحين»، ومازال أكثر بقايا الجراكسة يحتفظون بالملامح التركية الواضحة، المتصفة بالجمال التُركي المعروف.

١٣- العبيد: وهم الرقيق الذين مسّهم الرق، وذراريهم.

توجد أسر وعائلات كثيرة بالصعيد مازالت تُلقب بهذا اللقب، بعضهم من أحفاد العبيد الذين تم عتقهم على مدار التاريخ، وبعضهم من أحفاد عبيد المماليك، وهم، إن صح التعبير «عبيد العبيد»، حيث إن المماليك – العبيد الأصل – كان لهم عبيد وموالي يقومون بخدمتهم، وقد كان عددهم كثيرًا جداً في العصر المملوكي، وما زالت لهم بقايا في الصعيد، وأغلبهم يتوارث البشرة والملامح السوداء.

١٤- الغَجَر: وهم أمة كبيرة، تعود أصولها إلى المناطق الواقعة على حدود الهند والباكستان. تنتشر هذه الأمة في أكثر بقاع العالم الآن، ويمتازون بصفات مذمومة عند كثير من الشعوب، مثل: السرقة، عدم الغيرة والحمية، وممارستهم لمهن تراها كثير من الأمم أنها مهن وضيعة! وهذا الشعب الغجري يُضرب به المثل في الرذالة ورداءة الأخلاق، فيُقال لمن فعل أمراً مذموماً «يا غجري» كسُبة له، وعلى النقيض فإن من يفعل فعِلًا حسنًا يُقال له «يا شيخ العرب»، وهو من قبيل المدح. وهؤلاء الغجر لا يزوّجهم أكثر أهل الصعيد وخاصة العربان والبدو.

استوطن الغجر ببلاد الشام بادئ أمرهم، فأطلق عليهم أهل الشام لقب «النّور»، ولا أعلم معنى هذا اللقب! فسكنت طائفة كبيرة منهم مدينة «حلب» بالشام زمن طويل. ثم اتجهت جموع منهم للهجرة إلى مصر، قيل كانت الهجرة طلباً للرزق، وقيل بسبب مجاعات زمن الحروب الصليبية التي أصابت بلاد الشام.

١٥- الحَلَبْ: وهم من طوائف الشعب الغجري، قدموا من مدينة حلب الشامية

وسكنوا صعيد مصر، فأطلق عليهم أهل الصعيد لقب الحَلَب، نِسبة إلى البلد التي قدموا منها. والحلب يمتهنون مهنًا يعتبرها كثير من أهل الصعيد مهنًا وضيعة، والحلب كنظام شبيه بالقبيلة؛ حيث للحلب عُمدة وهو بمثابة شيخ القبيلة لهم، وهم منقسمون إلى فئات وطبقات، نعرف منها طائفة «المساليب» وسيأتي الحديث عنها.

١٦- النّـوَر: وهم من الشعب الغجري؛ الذي قدم من الشام إلى مصر، ولكنه احتفظ باللقب الذي أطلقه الشوام على الأمة الغجرية «النّور»، بخلاف إخوانهم «غجر حلب» الذين تخلّوا عن لقب «النَّوَر» وغلب عليهم لقب «الحلبي» نسبة لسكناهم تلك المدينة الشامية الكبيرة.

يقيم أغلب «النّور» هؤلاء في شمالي مصر؛ فليس منهم بالصعيد عدد يُذكر، وهم يمتهنون مثل إخوانهم «الحلب» المهن الوضيعة، ويشتهرون خاصة باللصوصية، وكذلك بالرقص والغناء، وألعاب السيرك وما شابه ذلك.

١٧- المَسَالِيب: وهم من طوائف الحَلَب؛ وهم بدورهم أحد طوائف الشعب الغجري. يوجد أكثر المساليب هؤلاء بالصعيد. وهم مثل سابقيهم؛ يمتهنون مهنهم «الوضيعة». فاشتهر بين كثير منهم مهنة «الشحاذة»، و امتهنوا مهنًا مرتبطة بالزراعة، مثل مهنة «المِقَرقِر» وهو المختص بالغلال والحبوب، وأيضاً منهم طوائف كثيرة اشتغلت بمهنة «المزمار»، وأيضاً «الحدادة».

١٨- الغَوَازي: وهم على قولين، الأول: أنهم من قبائل «الغز التركمان» الذين كانت لهم حروب شهيرة في الصعيد، والآخر: نِسبة إلى مهنة الرقص؛ حيث تُسمّى الراقصة في الصعيد بـ «الغَزيّة»، ولكن النسبة الأولى هي

الأرجح، وهم قبائل الغز التركمان، وهم من صنوف المماليك، والله أعلم.

١٩- الجَمَسَة: وهؤلاء اشتهر عنهم أنهم بقايا قبائل عربية، جاءت متأخرة عن القبائل الأخرى التي حشدت للحرب، فصادف مقدمها وقت المساء. وعند صباح اليوم التالي رأتهم القبائلِ الأخرى فسألوا عنهم، فقيل لهم «هؤلاء إخوانكم الذين جاءوا مساء» فأُطلق عليهم لقب «الجمسة» المشتقة من «جاءوا مساء»، وهذا قول غريب ولكنه مشهور!

ولعلي أرى أن سبب تسميتهم بالجمسة كان مَرَدَّه لإرتباطهم بتربية حيوانات «الجاموس»، فقيل لهم «جَمَسَة»، مثل القبائل المُسمّاة: بـ الأبّالة، البقّارة، الكبابيش، والغنّامة. وذلك نِسبة لتربية حيوانات: الإبل، البقر، الكِباش، والأغنام.

وقد امتهن بعض من هؤلاء الجمسة مهنة «السقاية»، المهنة التي يراها كثير من قبائل العرب مهنة مذمومة. وهؤلاء الجمسة يقولون أنهم من بني هلال، ويشتهرون بلقب «الهلايل». كما أنهم ينفرون من هذا اللقب «الجمسي».

٢٠- السَقَاقْوة: وهي مهنة وليست نسب، وهي من المهن المبغوضة من جانب العرب أيضاً، وقد انقرضت هذه المهنة تماماً منذ عهد قريب، وكان أكثر من امتهنوها ينتمون لطوائف الجمسة، والغجر؛ بأنواعهم من حَلَبْ، ونَوَر، ومَسَاليب.

جلاء الظنون عن حقيقة الأمير غانم دفين أصفون

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد: قُلنا، ولا زلنا نقول إن (آفة العوام: التعلق بمشاهير الآنام)، حينما يتفشّى الجهل، ويَفتي من شاء بما يشاء، فينظر الناس هنا وهناك؛ فيتعلّقون بأول ما يجدونه!

قرية أصفون المطاعنة بمركز إسنا بمحافظة الأقصر بصعيد مصر؛ قرية كغيرها من قرى الصعيد، ولكنها ليست كغيرها في نفس الآن!، إذ امتازت عنهم بكونها قرية كالمدينة، جامعة، مكتنفة لكل نعمة وفضيلة، لا يشبهها في هذا سوى عدد ضئيل من القرى بصعيد مصر. قرى اهتمت بالعلم حتى أضحت قبلة لكل عالم، ومحط رحل لكل عظيم كريم.

يُقام بهذه القرية في النصف من شهر شعبان المكرم، مَولد سنوي اسمه (نصف الأمير)، أي احتفالية بذكرى مولد «الأمير» الذي يقام في ليلة النصف من شعبان، وفي الصعيد (أنصاف شعبانية) أخرى، منها مثلاً: «نصف العَزَب» وهو مولد الشيخ أحمد العزب اليافعي الحسيني بقرية نجع البركة بالغربي قمولا بمحافظة الأقصر. يُحيي تلك الليالي أهالي البلدة، ومريدي الشيخ «صاحب النصف» وأتباع بعض الطرق الصوفية، ويُقرون الضيوف، ويُجرون الخيول في «مِرْماح» طويل، ويلعبون «التحطيب» بالعصي والشوم، ويحتفل ويلهو فيه الأطفال ويشترون ما لذ وطاب.. في ليلة يصفها الكثير من أهل العلم الشرعي بأن ما يحدث فيها إنما هو احتفال مبتدع مذموم ممتلئ بالمخالفات الشرعية الواضحة، نسأل الله صلاح الحال، وحفظ البلاد والعباد من البلايا والآفات.

نعود إلى الأمير، صاحب النصف، وصاحب المقام والضريح ببلدة أصفون، الذي يعرفه أهل بلدته بهذا الاسم وهذا اللقب وهذا النسب (الأمير غانم بن عياض الأشعري)، كأمر بديهي توارثوه عن الآباء والأجداد، وإن كان هذا الأمير لم يرد ذكره في أي مصدر تاريخي قط!، وإن سألتهم عن شخصه وحياته؟ قالوا إنّه: الصحابي الجليل غانم بن عياض الأشعري، فاتح مصر والشام الذي ذكره الواقدي في مغازيه!

عُدنا إلى المظان التاريخية، وكتب التراجم، والسير، والمغازي، ولا سيما كتب المغازي لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، الواقدي (المتوفى سنة ٢٠٧ هـ)، وخاصة كتابه «فتوح الشام» فوجدنا فيه الآتي مختصراً: (الأمير عياض بن غانم الأشعري، المشارك في فتح البهنسا زمن الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه)، ثم أن الواقدي روى له شعراً قاله يوم معركة البهنساء، منه:

إني إذا انتسب الفوارس أشعري ... قـرم همـام في المعامع عنتري

بحمـاة أبطـال الاعادي نزدري ... وبراحتـي مـن القـواضب أبتري

يـوم التلاطم للفـوارس مسكر ... وأحـوم حومات الغزال الجؤذري

فـلأقتلن فـوارساً وعـوابسـاً ... وأذيقهـم مني العـذاب الأكبـر

وهنا يبدوا جلياً أن اسمه (الأمير عياض بن غانم) وليس (الأمير غانم بن عياض)، وقد بحثت في العديد من المصادر التاريخية الأخرى عن ذكر له فلم أجد! فهو ليس صحابياً، كما أنه ليس من التابعين أيضاً، فلم أجد ذكره في تراجم الصحابة ولا تراجم التابعين!، إنما فقط هناك (عياض بن غنم بن شداد الفهري) صاحب فتوحات الجزيرة الفراتية!، وهنا نجد أن المصدر الوحيد الذي

ذكر فيه شخص باسم (الأمير عياض بن غانم الأشعري) هو كتاب «فتوحات الشام» للواقدي، الذي تُعد سيره ومغازيه من جملة فنون الأساطير والخرافات؛ لِما فيها من مبالغات وأغاليط لا حصر لها، وعلى كل الأحوال، فهو يتحدث عن شخص باسم «عياض بن غانم» وليس «غانم بن عياض»، وهذا الرجل من أهل القرن الهجري الأول، وشهد فتح البهنسا، ودفن في «البرلس» بمحافظة كفر الشيخ حالياً بشمالي دلتا مصر، وليس بقرية أصفون بصعيد مصر!

وعندما رجعت أيضاً إلى المرجع الصعيدي الأول في تاريخ وأعلام الصعيد (كتاب الطالع السعيد الجامع تراجم أعيان وعلماء الصعيد) للإمام كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب الإدفوي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) بحثتُ فيه عن ذِكر للأمير غانم بأصفون، ولكني لم أجد!

وعند عِلمنا أن الإدفوي كان يستقصي كل أخبار وآثار ومعالم جنوب الصعيد، فإننا عندها نكاد نجزم أنه لم يكن هناك ثمة ضريح أو شخص بذلك الاسم (الأمير غانم) في عصر الإمام الإدفوي «القرن الثامن الهجري» وما قبله، وبهذا يكون قطعاً الأمير غانم الأصفوني شخص آخر غير الأمير عياض بن غانم الأشعري – المدفون بالبرلس – لأن الأمير عياض بن غانم كان من أهل القرن الأول الهجري، بينما الأمير غانم الأصفوني ثبت – بما أورده الإدفوي – أنه لم يكن قد وُلد بعد في القرن الثامن الهجري، وإنما ولد بعده بقرن على الأقل، ويكون الفاصل الزمني بينه وبين الأمير عياض بن غانم دفين البرلس قرابة ٨٥٠ عامًا!

بعد هذا نظرت في جرائد ومشجرات الأنساب الأهلية لعلّي أجد شيئًا عنه، فوجدت أنه بالفعل هناك شخص باسم (الأمير غانم) نزل بمنطقة اسمها «خور

البرعام» بأصفون المطاعنة بمركز إسنا، وكان بصحبته جملة من العربان؛ من قبائل الأنصار، وأنه كان أميراً عليهم «أمير قبيلة»، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع الهجري، أي بعد وفاة «الأمير عياض بن غانم الأشعري دفين البرلس» بأكثر من ٨٥٠ عامًا كما أسلفنا!

من مخطوط البراطيم في أنساب الأشراف والعربان والأنصار: وفيه (نذكر بيوت الأنصار، ومنهم الأمير غانم الأشعري بأصفون).

وفي مشجر أهلي ثاني ورد أنه قرشي النسب، وبمشجر آخر ورد أنه هاشمي جعفري النسب، ولكن الأرجح أنه من الأنصار، لقوة المشجر المُصّرح فيه بذلك النسب عن بقية المشجرات الأخرى الوارد فيها خلافه.

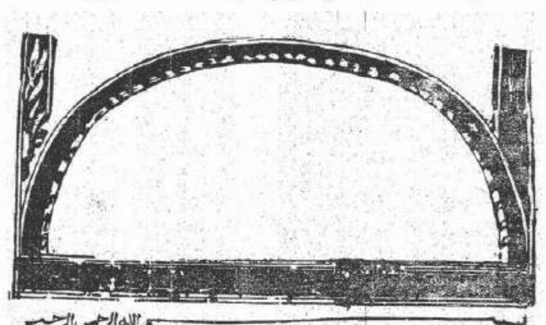
من مشجر أهلي خاص بأنساب الأشراف والعربان، به كثير من الأغاليط، ومنها أن الأمير غانم هو ابن محمد بن مطاوع القصاصي، من أجداد عرب المطاعنة، وهو أمر غير صحيح، تدحضه أدلة أخرى كثيرة لا مجال هنا لذكرها.

واليوم: لا نجد في قرية أصفون المطاعنة من ينتسب إلى الأمير غانم، بينما الأمير عياض بن غانم الأشعري دفين البرلس له ذرية كثيرة، يحفظون أنسابهم إليه ويفتخرون بها، وقد وردت أنسابهم في أكثر من مرجع، ومنها:

أهله السادة الكرام فمنهم القاضي عياض بن موسى بن عياض الاشعري رضي الله عنه ومنهم
سيدي ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه امام التحقيق وعين اعيان الطريق ومنهم سيدي
ابو علي الفضيل بن عياض رضي الله عنه المرشد الى الله والى حضرته والداعي الى
جناب الله وجنته ومنهم سيدي مزروع بن عياض الاشعري رضي الله عنه قتل بالبهنسا
ودفن بها ومنهم ولده سيدي محمد الخشوعي بالبرلس رضي الله عنه ومنهم الامير جبير بمحلة
الامير رضي الله عنه ومنهم الامير عباس بن مرجاش السلمي بمدينة صلجر رضي الله عنه
ومنهم سيدي محمد بن العوبي ساكن باب المعلى رضي الله عنه ومنهم سيدي علي الجرتي بمصر
وولده سيدي سالم رضي الله عنهما ومنهم سيدي عبادة بن الصامت بمدينة انصنا
رضي الله عنه ومن ذريته سيدي علي بن خضر بديبي رضي الله عنه ومنهم سيدي غانم
بمحلة بشر رضي الله عنه ومنهم سيدي محمد ابو الريش بناحية رشيد رضي الله عنه ومنهم
سيدي علي ابو ازبيده بالبرلس الان مجاور بسكن اولاد الامير غانم رضي الله عنهم فهذا

جزء من مدونة الأمير غانم ويبدو منه أسماء بلاد البحيرة التي سكنها أولاده

من كتاب إقليم البحيرة، للكاتب المعاصر: محمد محمود زيتون: وعُرض فيه (مخطوط نسب لذرية الأمير عياض بن غانم الأشعري دفين البرلس، وبيان بمواطن سكنى أحفاده بمحافظة البحيرة بدلتا مصر).



بسم الله الرحمن الرحيم
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم هذه مدونة العارف بربه سيدي الامير
غانم ابن عياض الاشعري ونسبته الشريفة المالك مقامه بارض البرلس
نفع الله تعالى به امين نقلت من كتاب الانساب للامام الاوحد
الشيخ الأشعري وتاريخ ابن خلكان وطبقات الصحابه رضي الله تعالى
عنهم اجمعين ونفعنا بعلومهم ومددهم في الدنيا والاخرة امين
لا اله الا الله محمد رسول الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

صورة من أصل مشجر نسب الأمير غانم "مدونة الأمير غانم"، ويظهر فيها اسمه (الأمير غانم بن عياض الأشعري) مع مخالفة هذا لقول الواقدي من أنه (عياض بن غانم)، ومع قيام هذا المشجر بنقل قول الواقدي في مشاركة الأمير في فتح البهنساء الغراء.. وهو تناقض واضح!

ولا يفوتني التنويه عن وجود العديد من الأسر في مصر؛ تنتسب لأجداد لهم باسم (الأمير غانم)، ولكل منهم نسب مختلف عن الآخر، ولكن الجامع المشترك بينهم جميعاً هو تشابه الاسم، مع تفشّي رواية واحدة بين عوام تلك الأسر تقول بأن جدهم ذاك هو نفسه الأمير (عياض بن غانم الأشعري) المذكور في مغازي الواقدي، رغم كونه من أهل القرن الأول الهجري، بينما أجداد أغلب تلك الأسر من قرون متأخره عنه، ولذا وجب البيان من أن الأمير غانم دفين أصفون هو أحد هؤلاء الأمراء المشهورين باسم (غانم)، والذين ظن وتوهم أحفادهم وغير أحفادهم أنه الأمير عياض بن غانم الأشعري دفين البرلس، وظنوا أنه من الصحابة أو التابعين، وهو لم يكن كذلك.

وأما نسب الأمير غانم "الأصفوني" المشهور منذ ثلاثة قرون بـ (الأمير غانم بن عياض الأشعري) فأقوى الأدلة تشير إلى كونه من الأنصار من نسل (الإمام مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة) طبقاً لما جاء في بعض المشجرات، وإن كان الإمام مالك مدنياً وليس أنصارياً، فهو من ذي أصبح إحدى قبائل حمير باليمن، انتقل جده إلى المدينة المنورة وسكن بها فأصبح من جملة (المدنيين)، وكالعادة حدث الوهم نتيجة الجهل، وقيل إنه من الأنصار لأنه كان يسكن مدينة النبي، صلى الله عليه وسلم! فليس كل مَدني أنصاري، بينما كل أنصاري مدني.

«التدقيق المُفيد لبعض ما جاء برسالة أمراء الصعيد:

من أمراء بني عُمر وبعض المماليك وآخرين»

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: فهذه مقالة نُسجّل فيها فوائد تاريخية عن أمراء الصعيد المصري، في الفترة الممتدة ما بين (سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م، وسنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٤ م)، وهي مدة تقارب الـ ١٨٠ سنة، تبدأ من أواخر عهد دولة المماليك الجراكسة زمن ولاية السلطان قنصوه الغوري، وتنتهي زمن خلافة السلطان العثماني أحمد الثاني بن إبراهيم الأول بن أحمد الأول بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني بن السلطان سليمان القانوني، وذلك قبل ولادة أمير الصعيد الشهير شيخ العرب همام بن يوسف الهواري ببضع عشرة سنة.

يؤرخ تلك الوقائع ويُدونها أحد شهود ذلك العصر، وهو مُصنِّف هذه الرسالة موضع الدراسة، وهو – كما وصف نفسه: «أفقر الورى إلى رحمة ربه القدير.. محمد بن عبد الله الأمير، المالكي مذهباً»، وكتب رسالته تلك برسم «مولانا الأوحدي العريقي مولانا القاضي أحمد بن المرحوم مولانا القاضي عبد الكريم الأنصاري». وكان الفراغ منها يوم الثلاثاء ١١ صفر الخير سنة ١١٣١ هـ (الموافق سنة ١٧١٨ م).


وكان الفراغ من هذا الكتاب
المبارك في يوم الثلاث المبارك حادي
عشر صفر الخير من شهور عام سنة ١١٣١
من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام على يد أفقر
الورى إلى رحمة ربه القدير
محمد بن عبد الله الأمير
المالكي مذهبا
غفر الله له ولوالديه
وجميع المسلمين
آمين

رسالة فيمن تولى
الصعيد من الأمرا

ومن المُلاحظ هنا أن اسم المؤلف ينتهي بلقب "الأمير"، ولا أدري أكان أحد من أجداد المؤلف أميراً على الصعيد؟! وإن كنت أُضعِّف هذا؛ فالمؤلف دقيق في سرده، ولعله لو كان الأمر كذلك لأشار إليه، والمؤلف لم أقف له على ترجمة – يرحمه الله والمسلمين.

المخطوط من ٩ صفحات، مكتوبة بخط يد المؤلف "مثلما يظهر من نعته لنفسه بالفقير إلى الله، وعادة لا يكتب مثل هذا إلا المُصنِّف نفسه"، مع وضوح ضعف اللغة عنده في غير موضع من المخطوط. ومع ملاحظة دقة المعلومات والتفاصيل الواردة بالمخطوط، وأقوى مثال على ذلك: تحديده مدة ولاية الأمير علي بيك الفقاري بـ إحدى وعشرين سنة إلا أربعين يوماً، وإشارته أنها أطول مدة تولّاها أمير في إمارة الصعيد، وذلك يعكس دقة ضبطه للتواريخ، وإلمامه بأسماء وأعمار وسني ولايات أمراء الصعيد السابقين زمناً له، ومعرفته بأسباب

عزلهم وإعادتهم؛ وملابسات وفاتهم وغير ذلك من التفاصيل المهمة.

والمخطوط نسخته محفوظة ضمن المخطوطات الأزهرية، ضمن مجموعة "تاريخ أباظة"، وعلى المخطوط ختم بيضاوي عليه تاريخ سنة ١٣١٦ هـ، به إفادة بكون النسخة تلك: وقف لورثة "المغفور له سليمان باشا أباظة بالجامع الأزهر"، وقد أفادنا بهذه النسخة: السيد الدكتور/ عمرو عبد العظيم الديب – بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فجزاه الله خيراً.

الفوائد:

١- منذ أواخر العصر المملوكي أصبحت ولاية دجرجا «جرجا» مركزاً إدارياً كبيراً، يكون لواليها إمرة عربان الصعيد، واستمر هذا الأمر طوال الفترة العثمانية بعد دخول السلطان سليم العثماني لمصر، وحتى ما بعد عهد الأمير همام بن يوسف الهواري المتوفى سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م.

٢- تتابُع بني عمر بن عبد العزيز البنداري الهواري على إمرة الصعيد، بداية من عصر المماليك الجراكسة وحتى العصر العثماني.

٣- دحض مزاعم من يقول بتولي إمارة الصعيد في تلك الحقبة موضع الرسالة التاريخية التي بين أيدينا من قِبَل أناس لم تذكرهم أي من المراجع التاريخية، بل إن بعضهم أقدم زمناً من هذه الحقبة الزمنية التي تناولها المُصنِّف.

ونجد أن هذه الرسالة حافلة بأسماء وتواريخ ولايات سائر أمراء الصعيد بتلك الفترة المَعنِّية، وكان أكثر هؤلاء الأمراء من بني عمر بن عبد العزيز المُتولّين بجرجا مثلما جاء بالمخطوط، ومن أبرز هؤلاء الأمراء العُمريين البنداريين الهوارة: الأمير داود، وكانت ولايته سنة ٩٢٩ هـ، الأمير محمد بن داود تولّى سنة ٩٦١ هـ، الأمير حمد بن محمد بن داود تولّى سنة ٩٧٨ هـ، الأمير يونس بن ريان تولّى سنة ٩٨٢ هـ، الأمير عيسى بن حمد تولّى سنة ١٠١١ هـ،

واستمرت ولايته حتى سنة ١٠١٥ هـ ويكون بذلك آخر أمراء أولاد عمر مثلما ذكرهم مُصنِّف الرسالة.

وقد ذكرت الدكتورة «ليلى عبد اللطيف» أن الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري هو والد (بني عمر) أمراء الصعيد، وأنه أول من وُلِّي منهم، وقد توفي سنة ٧٩٩ هـ/١٣٩٦ م، وأن ذريته حملوا لقب الأمير، وقد أوردت دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلعة أسماء الكثيرين من أولاد عمر مسبوقة بلقب الأمارة.

وقد وُلّي إمرة الصعيد الأمير محمد بن عمر وهو المعروف بأبي السنون بعد والده، ولمّا مات أبو السنون وُلّي بعده أخوه يوسف بن عمر، ومن أمرائهم الآخرين: الأمير داود بن أحمد الناصر بن الأمير إسماعيل (توفي سنة ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م) بن الأمير عمر، والأمير ريان (توفي سنة ٨٨٩ هـ/١٤٨٤ م) بن أحمد بن الأمير شرف الدين عيسى (توفي سنة ٨٦٣ هـ/ ١٤٥٨ م)، والأمير داود بن سليمان بن عيسى، وغيرهم.

وكانت سيطرة بني عمر هؤلاء تمتد من الأشمونيين «بمحافظة المنيا» إلى أسوان، وكانت منازلهم بجرجا ومنشأة أخميم. (انظر: الصعيد في عهد شيخ العرب همام صـ ٢٩-٣٢).

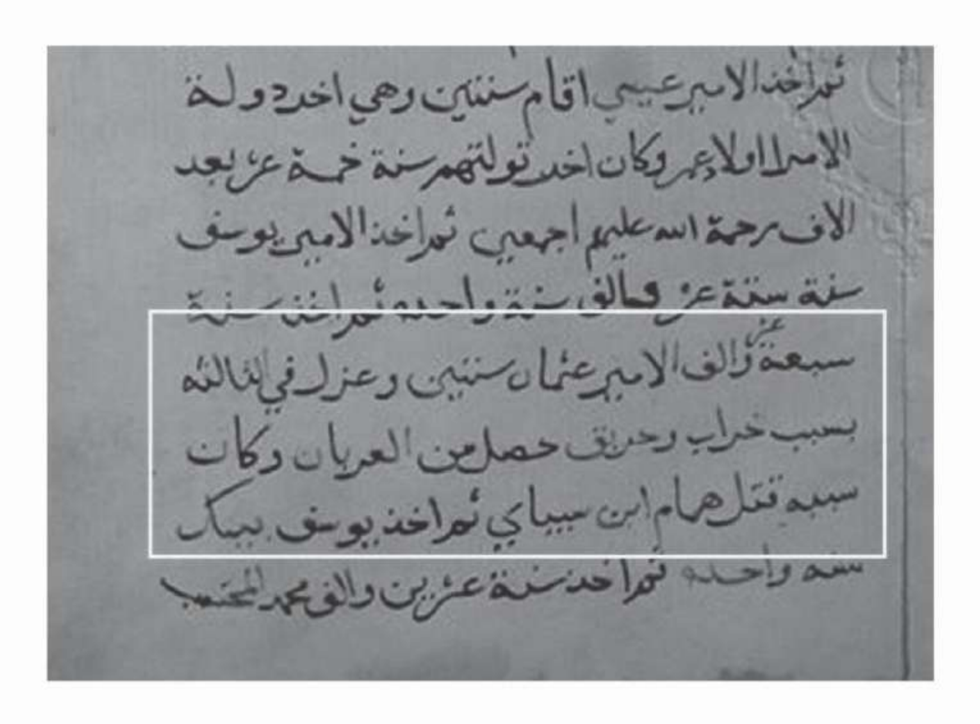
والفرع الذى يهمنا هنا هو الفــرع الأول أى بنو عمر لأن الشيخ همام من فرعهم وكان بنو عمر بطنــا كبيرا من بطون الهوارة بالصعيد وعمر جد الأمراء كلهم ومن أولاده محمد أبو السنون ويوسف اللذان توليــا امارة الصعيد بالتوالى ثم تولاها اسماعيل بن يوسف واشتهر بحسن السيرة وتوفى سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م واشتهر من أحفاده الأمير شرف الدين عيسى الذى عرف بحبه للفقهــاء وميله للبر والاحســان واتصافه بالتقوى وتوفى سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م ومن أولاده الأمير ريان بن أحمد بن عيسى جد الريايئــة توفى ســنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م داود بن سليمان بن عيسى وعبد العزيز وعلى ابنا عيسى بن يوســف ٠ وقد ألف السيد مرتضى الزبيدى رسالة عن نسب الهوارة وامرائهــم بالصعيد سماها :

من كتاب/ الصعيد في عهد شيخ العرب همام صـ ٣١

رفع الستارة عن نسب الهوارة (١)

وبالرغــم من أن المماليك هم الذين أنزلوا الهوارة الى الصعيد

٤-تحديد سنة وتداعيات مقتل "همام ابن سيباي"، حيث أفادت الرسالة أن بعد مقتله حدث خراب وحريق بسبب العربان سنة ١٠١٧ هـ، على إثره عُزِلَ الأمير عثمان في السنة الثالثة من ولايته، وقد كان أميراً للصعيد وقتذاك. ويظهر فيها عدم نعت "همام" المذكور بالأمير، وكذلك فقد قُتِل في زمن ولاية الأمير عثمان المذكور آنفاً، وهمام ابن سيباي هو الجد الأكبر للأمير همام بن يوسف بن أحمد محمد همام بن صبيح بن همام بن سيبيه (سيباي)، وقد مضى ذكره.



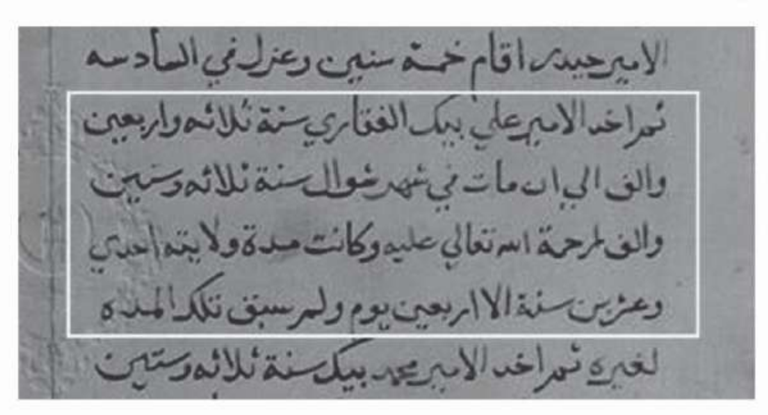
ثم اخذ الامير عيسى اقام سنتين وهي اخر دولة
الامرا اولاد عمر وكان اخر تولتهم سنة خمسة عشر بعد
الالف رحمة الله عليهم اجمعين ثم اخذ الامير يوسف
سنة ستة عشر والف سنة واحدة ثم اخذ سنة
سبعة عشر والف الامير عثمان سنتين وعزل في الثالثة
بسبب خراب وحريق حصل من العربان وكان
سببه قتل همام ابن سيباي ثم اخذ يوسف بيك
سنة واحدة ثم اخذ سنة عشرين والف محمد المحتسب

غير أن المستشرق الفرنسي المؤرخ "جان كلود جارسان" ذكر في كتابه "ازدهار وانهيار حاضرة مصرية: قوص صـ ٣٥٢" أن مقتل همام كان بعد التاريخ السابق بعامين، أي: سنة ١٠١٩ هـ، بيد أنه – جارسان – لم يذكر أيّة تفاصيل متعلقة بحادثة القتل. (للمزيد يُنظر: كتاب السلالة البكرية الصديقية – الجزء الأول).

٥- أن مُصنّف الرسالة لم يقطع بأن "همام ابن سيباي" ليس من بني عمر عندما أفاد بأن آخر ولاة بني عمر كان الأمير عيسى بن حمد المنتهية ولايته سنة ١٠١٥ هـ "قبل مقتل همام ابن سيباي بعامين"، وذلك لأن النص يُفهم منه أنه لم يتولَ أحد من بني عمر إمرة الصعيد بعد سنة ١٠١٥ هـ وحتى وقت كتابة هذه الرسالة "سنة ١١٣١ هـ".

ويَظهر من هذا الأمر أن همام ابن سيباي لم يكن يلقب بالأمير، ولم يكن أميراً وقت مقتله سنة ١٠١٧ هـ، وكذلك فالمُصنِّف لم يدرك زمن الأمير همام بن يوسف الهواري، ولا زمن بعض آبائه "أحفاد همام ابن سيباي" الذين تولوا إمرة الصعيد، إذ ينسبهم البعض لبني عمر بن عبد العزيز هؤلاء. (للمزيد انظر: كتاب الصعيد في عهد شيخ العرب همام صـ ٣١-٣٢).

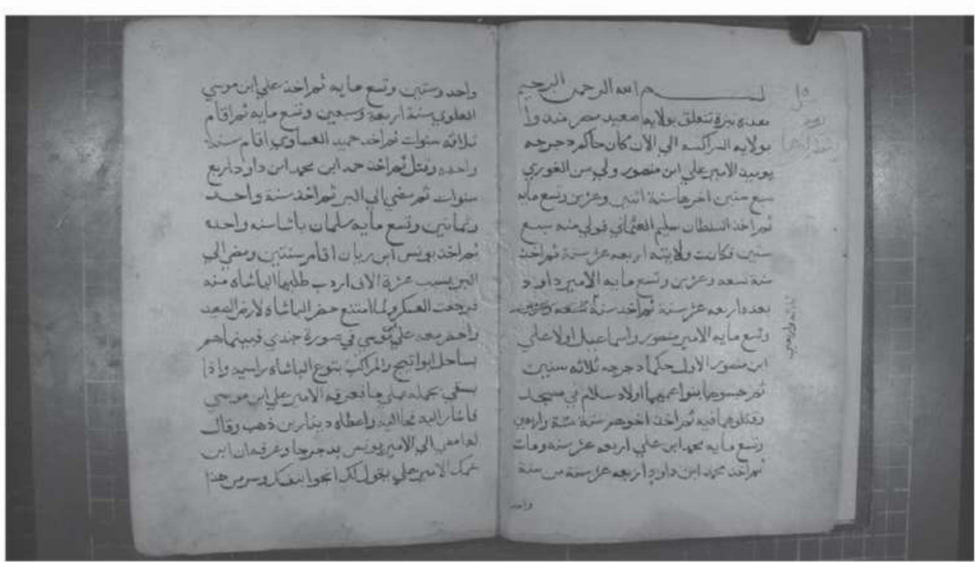
٦- ذِكر تولي أحد أمراء بقايا المماليك لإمرة الصعيد، وهو الأمير علي بيك الفقاري الذي تولّى سنة ١٠٤٣ هـ، وهو من طائفة المماليك الفقارية - خصوم القاسمية - زمن الدولة العثمانية، وقد استمرت ولايته مدة إحدى وعشرين سنة إلا أربعين يوماً، وأشار المُصنِّف أنه لم يسبق لأحد غيره أن تولى كل هذه المدة.

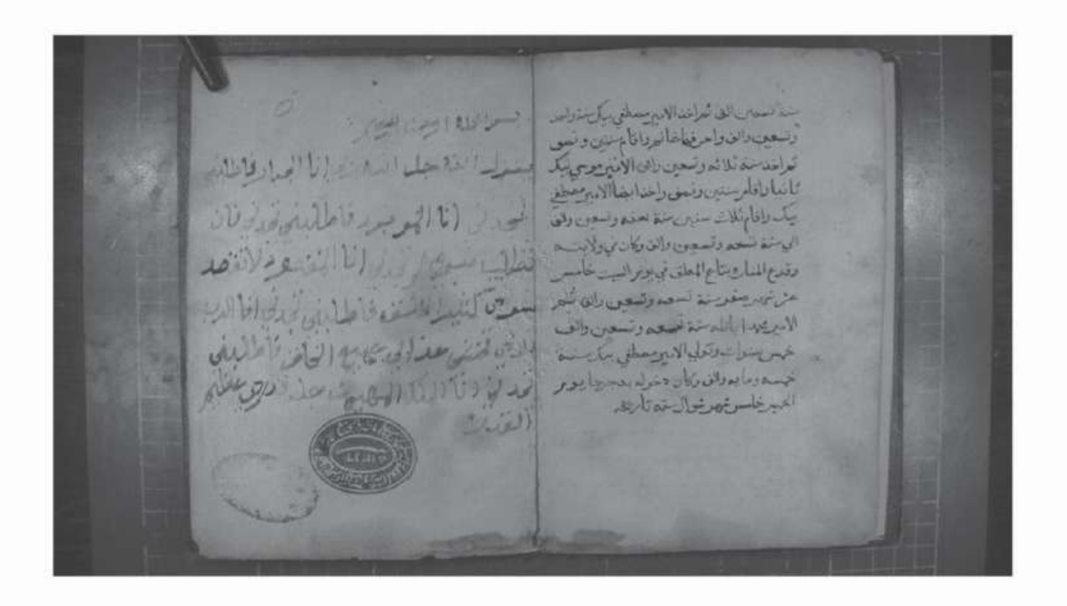

الامير حيدر اقام خمسة سنين وعزل في السادسه
ثم اخذ الامير علي بيك الفقاري سنة ثلاثه واربعين
والف الي ان مات في شهر شوال سنة ثلاثه وستين
والف لرحمة الله تعالي عليه وكانت مدة ولايته احدي
وعشرين سنة الا اربعين يوم ولم يسبق تلك المده
لغيره ثم اخذ الامير محمد بيك سنة ثلاثه وستين

تم بفضل الله وعونه.

صفحات من مخطوط رسالة أمراء الصعيد







مـراجـع:

١- كتاب: ازدهار وإنهيار حاضرة مصرية: قوص، المستشرق الفرنسي: جان كلود جارسان، ترجمة: بشير السباعي، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م، دار سينا للنشر – القاهرة.

٢- كتاب: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، د. ليلى عبد اللطيف أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٨٧ م.

٣- كتاب: السلالة البكرية الصديقية: التاريخ والأنساب والمشاهير، أحمد عبد النبي فرغل الدعباسي البكري، دار الأمة العربية - سنة ٢٠١٤ م.

٤- موقع إلكتروني: الموسوعة الحرة ويكيبديا - قائمة سلاطين الدولة العثمانية.

طبائع الخلائق بين الاكتساب والتوارث

عن أبي موسى الأشعري، عبد الله بن قيس، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قال: "إنّ اللّه تعالى خلقَ آدمَ من قبضَة قبضَها منَ أديم الأرضِ فجاءَ منهمُ الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ من ذلك والسَّهلُ والحَزْنُ والخبيثُ والطّيبُ"، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، والبزّار في الأحكام الشرعية الكبرى.

فالخلق متباينون في الخلقة والأخلاق، منهم الأبيض والأصفر والأحمر والأسود، ومنهم الحسن سهل الطباع، والشرس، والأخرق، والأحمق، وغير ذلك. فكذلك خلقهم ربهم، سبحانه (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (الأنبياء: ٢٣).

يرثُ الإنسان من أبيه وأمه النسب والشكل والصفات، والأغلب أنه يرث كامل صفات أبيه؛ وقليل من صفات أمه، ولكن ربما ورث من أمه صفات كثيرة أيضاً. تروي أم المؤمنين عائشة عن رسول الله أنه قال: "اطلُبوا مَواضِعَ الأَكْفاءِ لِنُطَفِكمْ فَإنّ الرّجُلَ رُبّما أشبَهَ أخوالَهُ". رواه السخاوي في المقاصد الحسنة.

وإن الوراثة والتربية لمن أبرز العوامل التي تُشكل أخلاق وطباع الإنسان، فالطيب لا يُخرج إلا طيباً مثله، والأفعى لا تلد إلا الأفاعي، وهذا مصداق لقول المولى عز وجل في القرآن الكريم: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) (الأعراف: ٥٨).

اختص الله سبحانه وتعالى بعض الخلائق بمزايا، فاختص بني آدم بالعقل وبحمل الأمانة. ثم اختص كل أمة من البشر بصفة، فاختص أهل البادية والأعراب بالخشونة في الطباع، وأهل الحضر والأرياف بالرقة. وإن

لهذه الصفات لتأثير على عقيدة الإنسان، مثلما قال الله تعالى عن الأعراب: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٩٧)، ولقد رغّب الحق تبارك وتعالى في سكنى الحضر، بعيداً عن حياة البداوة لما للبداوة من آثار سيئة على الطباع البشرية، وإن كانت لها فوائد لا تخفى، ولكن ضررها أكبر من نفعها، فقد ذكر المولى - تبارك وتعالى - على لسان نبيه يوسف عليه السلام: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) (يوسف: ١٠٠)، فكانت مِنن الله تعالى على بني إسرائيل كثيرة، ومن أعظم المنن التي منّها الله عليهم أن أخرجهم من حياة البداوة لحياة الحضارة.

سُئل الشيخ محمد أبيض الوجه البكري الصديقي المصري (ت ٩٩٤ هـ) مرة: لما كان في أهل مكة قسوة القلب، وفي أهل المدينة لينها ؟، فقال: لأن أهل مكة جاوروا الحجر، وأهل المدينة جاوروا البشر. يقصد بالحجر: الكعبة، وبالبشر: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولليوم نجد أن أهل المدينة أرق قلوباً من أهل مكة، رغم تغيّر التركيبة السكانية لكليهما، فتقريباً لم يتبق بمكة والمدينة من أهلها الأصليين القدماء (قريش والأنصار) إلا أقل القليل، وأكثر ساكنيها اليوم من أعراق شتى، ولكن برغم ذلك نجد أن من سَكَن المدينة غلب عليه اللين والرقة في الطبع، بخلاف أهل مكة، وخلاف أهل الطائف.

سَجَّل المؤرخون والإخباريون القدماء صفات بعض الأمم في مُدوّناتهم وصحفهم، ومنها ما لخصه "كبريت" (ت ١٠٧٠ هـ) في كتابه "رحلة الشتاء والصيف"، فقال: (حكى الصفدي في تذكرته عن الشيخ تاج الدين الفزاري

أنه كان يقول: إن الحكماء وأهل التجارب يزعمون أن من أقام ببغداد سنة وجد في عمله زيادة، ومن أقام بالموصل سنة وجد في عقله زيادة، ومن أقام بحلب سنة وجد في نفسه شحّاً، ومن أقام في دمشق سنة وجد في طباعه غلظاً، ومن أقام بمصر سنة وجد في أخلاقه رقة. والذي يظهر أن ذلك بحسب الخلطة مع مساعدة البقعة والاستعداد، فقد رأيت من أقام بمصر فظهر بالتجبّر وآخر بالمذلة).

ومما يُروى: أنّ الله تعالى عندما خلق الأشياء، قال القتل: أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة وأنا معك. وقال الخصب: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك. وقال الشقاء: أنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: وأنا معك. وقال الإيمان: أنا لاحق باليمن، فقال الحياء: وأنا معك. وقال الكبر: أنا لاحق بالعراق، فقال النفاق: وأنا معك.

ورُوِيَ أن الله تعالى جعل البركة عشرة أجزاء، تسعة منها في قريش وواحد في سائر الناس، وجعل المكر عشرة أجزاء فتسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس، وجعل النجابة عشرة أجزاء، تسعة منها في الروم وواحد في سائر الناس.

وحُكيَ أن الحجّاج سأل ابن القرية عن طباع أهل الأرض، فقال: أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة وأعجزهم عنها، رجالها حفاة، ونساؤها عراة. وأهل اليمن أهل سمع وطاعة، ولزوم جماعة. وأهل البحرين قبط استعربوا. وأهل اليمامة أهل حق وائتلاف. وأهل فارس أهل بأس شديد، وعزٍّ عتيد. وأهل العراق أبحث الناس عن الصغيرة، وأضيعهم للكبيرة. وأهل الشام أطوع الناس للمخلوق، وأعصاهم للخالق. وأهل مصر عبيد لمن غلب.

دع الأتـــراك والـــعربا   وكن فى حزب من غلبا

قال الجاحظ في كتاب الأمصار: الصناعة بالبصرة، والفصاحة بالكوفة، والحسن بهراة، والمروءة ببلخ، والبخل بمرو، والعجائب بمصر. قلت: وكلّ ذلك في كلّ أحد غاية ما في الباب، أن ذلك في هند أظهر منه في دعد، ومن أكثر من شيء نُسب إليه). انتهى قول كبريت.

وخلاصة ما نستنتجه مما مضى وغيره: أن المكان، والطعام، والجيران هم الذين يكتسب منهم الإنسان طبائعه بشكل رئيس، بالإضافة إلى الميراث الجيني من الآباء والأخوال. فنجد أنه يغلب على أهل البادية القسوة والغلظة مع فصاحة وحُسن بيان، ونجد أن الرجل تتغير طباعه بتغير موطنه "المكان"، أو بتغير طعامه "الطعام"، وكذلك نجد أن إقليم أو مدينة ما تغلب عليها طبائع معينة (الجيران)، حتى وإن كانت تحوي مزيجًا من صنوف البشر من شتى الأعراق والقبائل، وهذه الطباع قد يكتسبها آخرون ممن يأتون للسكنى بتلك الأماكن.

فهناك من يقول إن أهم سبب في تكوين طباع الإنسان هو الميراث الجيني من الآباء والأجداد والأخوال، ولكنني أرى أن الأصل في ذلك هو المجتمع والبيئة التي يعيش فيها الفرد؛ بالإضافة لطبيعة المكان الجغرافية، ونوعية طعامه، فهم الذين يكسبونه طباعهم "طباعه"، وهذا لا يمنع أن يكون للتوارث الجيني نصيب كبير من التأثير على طبائع الإنسان أيضاً، والله أعلم.

أحمد عبد النبي فرغل

الثأر في الصعيد (الإرث القديم والحاضر الأليم)

يُحدّثنا «المعجم المحيط» أن الثأر أو الذَّحْل أو الوِتْر هو: الدم، والمطالبة به. ويُعرَّف القاتل بأنه «الواتِر»، والمقتول - أو أهله - بأنه «الموتور». وقد انتشرت هذه الظاهرة أو العادة عند الأمة العربية بكثرة؛ حتى تأصّلت وتجذّرت في تراثهم ونفوسهم! وإن كان لها وجود أيضاً عند كثير من الأمم الأخرى، ولكن كان للعرب فيها النصيب الأوفر، حتى أنهم جعلوا الثأر شِعاراً لهم لإعلان وبدء الحروب، فعندما يصيحون (يا لثارات فلان) تقوم المعارك وتتطاير الجماجم.

والعرب لا يصبرون على الثأر ولا ينامون عنه، حتى أن الثأر وحده لم يكن يكفيهم، وإنما كان (الثأر المُنيم) هو الكافي لهم، والثأر المُنيم هو الثأر الذي يُرضي أصحابه ويقر عيونهم ويجعلهم ينامون ويكفّون عن المطالبة بمزيد من الدماء، وهذا في حال كان القاتل ليس من أكفاء القتيل، فحينها يتحتم على أهل القتيل أخذ الثأر من رجل كفء من أقارب القاتل، ويظهر هذا الأمر جلياً في الحرب التي عُرفت باسم «الفِجار» والتي شهد النبي، صلى الله عليه وسلم، بعض أيامها، وكان مبدؤها أن رجلاً منبوذاً مطروداً من قبيلة (كنانة) قتل «عروة الرحال» سيد بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قبيلة (هوازن) ولم يكن كفءً له، وحينها أصرّت (هوازن) كلها على الثأر وقتل أحد سادة (كنانة) لتتحقق الكفاءة، فكانت هذه الحرب الطاحنة.

وكثيراً ما ثارت الحروب لأسباب تافهة، منها مثلاً: قيام الناقة «سراب» بتدمير عش «يمامة» كانت تنعم بالحياة في حِمى «كليب بن ربيعة التغلبي» سيد العرب في زمانه، فقام كليب بقتلها، رغم أن «سعداً» صاحب هذه الناقة كان جاراً

للبسوس بنت منقذ «خالة» جساس بن مرة الشيباني، وهو صهر وابن عم كليب، فقام جساس بقتل كليب انتقاماً لناقة جار خالته النازلة في جواره! فنشبت حرب ضروس سُميّت بالبسوس، استمرت أربعين عاماً، وأتت على الأخضر واليابس.

وحرب أخرى: قامت بسبب سباق بين حصان «داحس» وفرس «الغبراء» فنشبت الحرب الطاحنة التي عُرفت بحرب (داحس والغبراء) بين بيني عبس وذبيان ابني بغيض من غطفان من قيس عيلان. والتي تشاءم منها الناس وضربوا بها الأمثال؛ فقالوا: (إنه يوم أغبر) و(إنه يوم مدوحس).

وقد ترسّخت هذه العادة «الثأر» في نفوس قبائل العرب من قحطان وعدنان ومن تَخلّق بأخلاقهم من الناس، وانتقلت معهم حيثما ساروا وأناخوا، وكان نصيب صعيد مصر كبيراً من هجرات القبائل العربية إليه، وبطبيعة الحال كان نصيبه كبيرًا «ومريرًا» من حوادث الثأر والقتل والدماء!، حتى أن به قرية اسمها «حمرادوم» بمحافظة قنا بالصعيد الأعلى، يقول الناس إنها سُمّيت بذلك لكثرة ما يُراق على أرضها من دماء، فهي (حمراء الأرض دوماً من كثرة الدماء)!

حمل العرب إلى صعيد مصر عادة الثأر التي لم تكن مترسّخة عند عموم أهل مصر، كما حملوا عادات وأعرافاً مُتعلقة بهذه العادة ومرتبطة بها، ومنها عادة قديمة قد زالت مع مرور الزمان، وهي عدم القتال في الأشهر الحُرم. وعادات أخرى لا زالت موجودة حتى يومنا هذا، وعادات غيرها تم ابتداعها، ومن تلك العادات جميعاً: أن حق الطلب بالثأر لا يسقط بالتقادم، وفيه قالوا: «تعجّلت يا من أخذت ثأرك قبل أربعين عاماً». ومنها أن من يتولى الأخذ بالثأر هم أبناء القتيل، ثم إخوته الأشقاء، ثم إخوته غير الأشقاء، ثم أبناء العمومة الأقرب نسباً إليه، وهكذا، أما الأخوال فلم يكن لهم في هذا الأمر ناقة ولا جمل

«غالباً»! وقد يقوم بعض الناس باستئجار من يأخذ لهم بثأرهم ويدفعون له أموالاً كثيرة، ويُعد هذا الفعل من النقائص التي يُعاب بها فاعلها.

وفي كل الأحوال عندما يتم الأخذ بالثأر فإن أهل القتيل الأول، الذي تم الأخذ بثأره، يقومون بأخذ العزاء في قتيلهم، وذبح الذبائح؛ ابتهاجاً وإعلاناً إدراكهم ثأرهم، حيث إن من يُقتل لا يتم أخذ العزاء فيه إلا بعد أخذ الثأر له.

غير أن بعض القبائل لا زالت تلتزم برأي الشرع الكريم في معاقبة القاتل فقط، وعدم قتل أحد بجريرة غيره، والبعض الآخر لا يلتزم بذلك، فيقتلون أحد أكابر أسرة القاتل، بل قد لا يكتفون بشخص واحد! وهناك من يقبل بأخذ الديّة «في حالات القتل الخطأ وغير المقصود خاصة»، وهناك من يرفضها، وهناك من يرضى بحَمل أو قبول «القودة»؛ والقودة هي أن يقوم القاتل بحمل كفنه على يده، ويذهب حافياً غير ناعل ولا معتم بعمامة، ومطأطئ الرأس خانعاً، إلى أهل القتيل، طالباً الصفح منهم، وفي الغالب يكون الصفح والعفو، إلّا أن بعض القبائل بصعيد مصر تُفضّل الموت على أن يحمل أحد رجالها «القودة»؛ ويرون ذلك عاراً كبيراً. ورغم ذلك فإن هذا الأمر «القودة» أسهم بدرجة كبيرة في الحد من إراقة مزيد من الدماء في أرض مصر.

ومن الأعراف المتوارثة أيضاً عدم التعرُّض للقاتل إن كانت بصحبته نساء أو أطفال أو ضيف غريب، ويُوصم من ينتهك هذا العُرف «بالعيب الأسود»، وأكثر البلاد حِفاظاً على هذا العُرف هو اليمن السعيد وبعض بلاد الصعيد.

ومن أدبيات الثأر، إن صحّ التعبير، في المجتمع الصعيدي: عدم المساس بالقاتل إن جاء إلى بيت القتيل بصحبة ضيف غريب، في حال كان يُرشده إلى منزل أهل القتيل، أو لأي سبب آخر، وهي أخلاق حميدة. وعند بعض المجتمعات

والقبائل الصعيدية يسقط دم القاتل في حال مات في السجن، أو هرب ومات بعيداً، فيكفيه ما لحق به من عار وفضيحة الهروب والجُبن.

أما دين الإسلام، فإنه لا يعرف إلا القصاص العادل بين الناس، فالجميع سواء، لا فرق بين هذا وذاك، فيقول الحق تبارك وتعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة: ١٧٨)، وأيضاً (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٩).

ومما يؤسَف له تباطؤ وربما تعطيل حد القصاص من قِبَل الحكومات، مما يجعل القاتل يُفلت بجرمه دونما عقاب عادل رادع، وهذا ما يجعل أهل القتيل يثأرون بأنفسهم من القاتل، فيخْتل بذلك النظام والأمن في المجتمع، إذ إن الصحيح أن يتولّى ولي الأمر «الحكومة» مهمة القصاص؛ وليس أهل القتيل.

وكذلك كان لانتشار الأسلحة في الآونة الأخيرة دور كبير، وخطير في تزايد جرائم الثأر والقتل في صعيد مصر، فمما يُعد كارثة من الكوارث وصول السلاح – بهذه الكثرة – إلى أيدي أقوام هم أبناء الحرب كابراً عن كابر؛ قوم كان أجدادهم وأسلافهم يقولون: (إنّا لنؤثر السلاح على اللقاح، والجياد على الأولاد)!

فحريٌّ بأولي الأمر منع انتشار وتهريب الأسلحة وبيعها بهذه الصورة الكبيرة، والارتقاء بالوعي الثقافي والديني، لما لهما من دور فعّال في تحجيم هذه العادة القديمة المترسّخة في النفوس.

وقبل الختام تحضرني هنا قصة الرجل الذي أدرك ثأره وهو ميت!، لا

تتعجبوا فهذا أمر قد وقع بالفعل! وذلك الرجل هو الفارس العربي الجاهلي الشهير الشاعر (الشنفرى الأزدي) صاحب «لامية العرب» القصيدة الشهيرة، وهو العدّاء الشهير الذي كان يسبق الخيل، وأحد مشاهير الشعراء الصعاليك. فقد نذر «الشنفرى» أن يقتل مائة رجل من قبيلة «بني سلامان» ثأراً لوالده الذي قتلوه.

فبدأ الشنفرى في اقتناص ضحاياه واحداً تلو الآخر، حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً خلال سنين، ثم أدركه بنو سلامان بعدها وقتلوه، وبعد مُضيّ زمن تحلل جسد الشنفرى ولم يتبق منه سوى عظامه، وحينها للمصادفة – أو للأقدار – قام رجل من بني سلامان بالوقوف فوق ما تبقى من عظام جسد الشنفرى، وركل جمجمة الشنفرى بقدمه، فانغرست في رِجله إحدى عظام الجمجمة، فتسببت له بجرح وورم كبير، انفجر في النهاية ومات هذا الرجل من جراحته تلك، وحينها قالت العرب: (قد أدرك الشنفرى ثأره، وأوفى نذره، وأتم الـ ١٠٠ رجل!).

وكما ذكرنا اليمن بلد الأعراف والتقاليد، فإننا نختم بحكاية جرت فيه، حيث تم قتل مُعلم مصري كان يُقوم بتدريس أبناء أحد قبائل اليمن، وعندما قُتل أصرّت القبيلة التي كان يُعلّم المصري أبناءها أن تثأر له، ولكن بطريقتها هي! إذ عزمت على قتل «مُعلّم آخر» كان يقوم بتدريس أبناء القبيلة الأخرى «المعتدية» وقالوا: (لابد أن نقتل مُعلّمهم كما قتلوا مُعلّمنا). نسأل الله اللطف والسلامة لمصر والصعيد واليمن السعيد، وسائر بلاد المسلمين، وأن يحقن دماءهم ولا يجعل بأسهم بينهم.

التقويم القبطي: وآثاره الحَسَنة عند المصريين

تَذكر لنا معاجم اللغة أن «التقويم» هو حساب الزمن بالسنين والشهور والأيام، وقد عرفت شعوب الأرض عدداً من التقاويم المختلفة، أولها في زماننا هذا التقويم الميلادي الذي يبتدئ - فيما زعموا - بيوم ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وقد اختلفت الكنائس المسيحية «خاصة الأرثوذكس والكاثوليك» في تحديد يوم الميلاد، وهذا التقويم تقويم شمسي يعتمد على مواقع الشمس.

والتقويم الثاني من حيث الاستخدام في بلاد العرب والإسلام، هو التقويم الهجري، الذي جعلوا حادث الهجرة بداية له، واتفقوا أن يكون مبدؤه في غُرة شهر المحرم، والحساب فيه بالشهور العربية التي كانت معروفة آنذاك، وهو تقويم قمري يعتمد على منازل القمر.

والتقويم الثالث هو التقويم المعروف بالتقويم القبطي، أي تقويم أهل مصر من لدن المصريين القدماء «الفراعنة» وحتى يومنا هذا. و «القبط» هم المصريون زمن الفتح الإسلامي لمصر، سواء من دخل منهم في الإسلام أو من بقي على دينه.

ينقسم العام إلى اثني عشر شهراً، وأخبرنا المولى عز وجل عن هذا في القرآن الكريم، حيث جاء في سورة التوبة (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (التوبة: ٣٦).

تتعاقب الفصول بين شتاء وصيف، وحر وبرد، وجفاف وخِصب، فتتنوع تقسيمات الفصول بين تقويم كل بلد وآخر، فتم اعتماد تقسيم الفصول عند «أهل مصر» على أهم ظواهرها الطبيعية والمناخية، ألا وهو «فيضان النيل» أو ما

يُعرف بفصل «الدَميرة» حيث تأتي المياه مُحمّلة بالطمي فتُدمِّر البلاد تدميراً، ويكون في هذا الشر «الظاهر» خير «باطن» كثير، فسبحان مولانا القدير الخبير.

ويُخبرنا أبو الحسن المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) في «التنبيه والإشراف» عن كون شهر «توت» أول شهور السنة القبطية، وأن أول أيامه هو يوم «النوروز القبطي».

قلت: «النوروز» كلمة فارسية تعني «اليوم الجديد»، وتم تعريبها فصارت «النيروز».

ويُتابع المسعودي سرده فيقول: ثم يأتي من بعده شهر بابه، ثم هاتور، ثم كيهك، ثم طوبه، ثم أمشير، ثم برمهات، ثم برموده، ثم بشنس، ثم بؤونه، ثم أبيب، ثم مسرى، وفي آخر مسرى تكون الأيام الخمسة «الكبيسة».

وقد نَظَم الشاعر «ابن حبيب الحلبي» – ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» – أسماء تلك الشهور القبطية في قالب شِعري، فقال:

برمهات برمودة وبشنس	وبؤون أبيب مسرى الحرور
ثم توت وبابة وهتور	وكيهك وطوبة أمشير

امتاز هذا التقويم باعتماده على التغيّرات المناخية وأنواع المزروعات الصيفية والشتوية، فكان بحق (تقويماً قويماً)، وقد نَقَل الحسن الصفدي (ت ٧١٧ هـ) في «نزهة المالك والمملوك» عن أحد العلماء أنه قال: (طفت البلاد، ودرت الأقاليم بأسرها، فما رأيت مثل رطب توت، ورمّان بابه، وموز هتور، وسمك كيهك، وماء طوبه، وخروف أمشير، ولبن برمهات، وورد برموده، ونبق بشنس، وتين بؤونه، وعسل أبيب، وعنب مسرى) اهـ. وكذا نقله بنصّه المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) في «الخطط المقريزية».

وجاء أيضاً بصيغة مقاربة في «حُسن المحاضرة» لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) أن بعض من سكن مصر قال: (لولا ماء طوبة، وخروف أمشير، ولبن برمهات، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بؤونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى، ورطب توت، ورمان بابة، وموز هاتور، وسمك كيهك، ما أقمت بمصر) اهـ. وقد سَبَق ابن يعقوب الكندي المصري – من أهل القرن الرابع الهجري – جلال الدين السيوطي بتلك الرواية «بنَصِّها» إذ ذكرها في «فضائل مصر المحروسة»، ولعل الأخير نقلها عنه!

ومما يُنسب إلى المصريين القدماء، وتردد كثيراً على ألسنة المصريين، قولهم: (من يشَتّي على قَصَب، ويدمّر على بَلَح، ويصيف على عنب.. منين ياجيه المرض؟). والقصب من المزروعات الشتوية، والبلح ينضج في موسم الفيضان «الدميرة»، والعنب من فاكهة الصيف.

وبعد هذا السرد: ننتقل لنتعرف معاً على «حكاية» كل شهر من شهور السنة القبطية، ولنبدأ بما بدأ به القبط تقويمهم:

١- توت: شهر الرطب، يبدأ من (١١ سبتمبر: ١٠ أكتوبر) وفيه يكون جَني زراعات الصيف.

٢- بابه: شهر الرمان، يبدأ من (١١ أكتوبر: ١٠ نوفمبر) وفيه تتم زراعة الفول والحِلبة والبرسيم، ويُسمّى هذا الفعل – بَذْر الحبوب بعد انحسار مياه الفيضان – بـ (اللوِّيق).

٣- هاتور: شهر الموز، يبدأ من (١١ نوفمبر: ٩ ديسمبر) وقيل فيه (هاتور فيه القمح المنتور) أي: فيه يُزرع القمح بنثر بذوره في الأرض. وفيه أيضاً تتم زراعة الشعير، العدس، والحُمّص.

٤- كيهك أو كياهك أو كياح: وهو شهر السمك، يبدأ من (١٠ ديسمبر: ٨ يناير)، وفيه يقل نباح الكلاب من شدة البرد لأنه يأتى فى قلب الشتاء، وفى ذلك قيل: (كياح ينوّم الكلب النبّاح).

٥- طوبه: شهر الماء البارد والرطوبة، يبدأ من (٩ يناير: ٧ فبراير) وفيه يحذرُ الإنسان من كثرة ملامسة الماء لشدة برودته، وفى ذلك قيل: (طوبة ما بلّت لنا عرقوبه). بلّت: من البلل بالماء. والعرقوب: هو وتر غليظ فوق العقب «كعب القدم».

٦- أمشير: المقترن ذكره بحيوان الخروف، يبدأ من (٨ فبراير: ٩ مارس) وفيه تبدأُ الزراعاتُ فى الإيناعِ والإنضاج والإثمار، وهو الشهر المفضل لإجراء عملية شتل الأشجار. وفى الأيام الأوائل العشرةَ منه تكون شدةُ البرد، والرياحُ، والزعابيب. وفى ذلك قيل «للماعز»: (سيأتيكِ عشرةٌ من أمشير، يطلّع جلدَكِ نَسير نَسير)، أي يُمزق جلدَكِ وينثر أشلائه ها هنا وهناك؛ أيتها الماعز المتمردة.

٧- برمهات أو برهمات: وهو شهر اللبن، يبدأ من (١٠ مارس: ٨ أبريل)، وفيه يتمُ جني محاصيل: (الفول، والعدس) وهما من من الأكلات الرئيسة لأهل مصر، وفى هذا الشهر قيل: (فى برمهات، روح الغيط وهات) كناية عن وفرة المحصولات الزراعية فيه. والغيط: هو الحقل.

٨- برموده: شهرُ تفتح الورود والزهور، يبدأ من (٩ أبريل: ٨ مايو) وفيه تكونُ المحاصيلُ قد حُصدت، فلا تبقى في الحقل فيه ولا عودة (إن جه برموده.. ما تفضل في الحَرَجة عُودة)، والحَرَجة هي الحقول الزراعية (الأحراش/ الأحراج)، والعودة: مفرد أعواد، وهي سيقان الحشائش والزروع.

٩- بشنس: شهرُ النبق «السِّدر»، يبدأ من (٩ مايو: ٧ يونيو) وفيه تتم زراعة المحاصيل الصيفية مثل: (القطن، السمسم، الملوخية، والذرة العويجة «القيضى») ولعلها سُمّيت بالقيضي نِسبة إلى «القيظ والحرارة» لأنها تُزرع صيفاً.

١٠- بؤونه: شهرُ التين، ويبدأ من (٨ يونيو: ٧ يوليو) وكان بدايةً لفيضان النيل، وهو أشد شهور العام حرارة، وضُرب في ذلك المثلُ، فقيل: (ولا شمس بؤونه)، و (وأشَدُّ من زَهجة بؤونه) والزهجة لم أجد عنها شيء في معاجم اللغة؛ ما خلا قول الصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) في «المحيط في اللغة» أن الـ

زهج: مفرد «الزهازج»، وهو عزيف الجن وجلبتها، واحدها زهزج.

وأقول: لعلها مُشتقة ومحرفّة من (الصهد) وهو شدة التأذي من حرارة الشمس وسخونتها. (انظر مادة «صهد» في المعاجم التالية: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مقاييس اللغة لابن فارس، ولسان العرب لابن منظور)

ويُنطق الصهد في مصر هكذا (صَهج) أو (صَهوج)، فيكون أحدهم: صَهجان من الشمس!، أي: زَهجان من الشمس... ربما! وعموما فإن المقصد في حديثنا هنا من كلمة زهجة هو: الضيق الذي يُصاب به الإنسان نتيجة شدة الحر، وسخونة الشمس.

١١- أبيب: وهو شهرُ الرطبِ والعسل، يبدأ من (٨ يوليو: ٦ أغسطس)، وقيل فيه (أبيب شهر البلح الرطيب) لكونه يأتي دوماً في موسم جني البلح الرطب. وفيه تتم زراعة الذرة الشامية «البَرّ الدميري»، و«البَر» كلمة ذات أصل عربي فصيح وهي «البُر» وهو نبات الذرة.

١٢- مسرى: شهر العنب، يبدأ من (٧ أغسطس: ٥ سبتمبر) وفيه يكون جَني زراعات الصيف.

وبعد هذا السرد فليس من الغريب أن نجد توافقاً بين الفصول والشهور وبين المأكولات الشعبية، ففي شهور القيظ والحرارة تكثُر الوجبات المُملّحة والحارة، مثل السمك المُملّح «الملوحة»، واللبن المُتخثّر شديد الملوحة «المِشّ».

أما في فصل الشتاء، فتتصدر «المديدة»، و«الكباب» قائمة المشهد! أما المديدة فهي نوعان: مديدة بالبلح، ومديدة باللبن، وعنصرها الرئيسي هو دقيق الذرة القيضي «الصيفي» ويُعصد مع الماء والتمر، أو اللبن.

أما الكباب فهو غير كباب اللحم المعروف في أيامنا هذه! وإنما يتكون من ذرة دميري (شتوية، وذلك لطِيب رائحتها) مُحمّصة ومطحونة، ومعها بعض البصل الأخضر، ولاتوجد في هذا الكباب أيّة لحوم، وموعد تناوله المناسب هو الشهور الأخيرة من فصل الشتاء «طوبة وأمشير».

أما الخُبز فقد عُرف باسم (البِتّاو)، ومنه نوع فاخر يُعَدّ من «البَر الدميري» الشتوي، ونوع آخر أقل جودة يُعدّ من «الذرة القيضي» الصيفية، وخُبز البِتّاو يجِف سريعاً بخلاف خُبز القمح.

مَنطق الطيروالحيوان (في التراث الشعبي لأهل صعيد مصر)

يتوهمُ كثير من الناس أنهم فقط أصحاب اللغة والمنطق دون بقية المخلوقات الأخرى، لا سيما الحيوانات والطيور الأعاجم، وما تم وصفهم بـ «الأعاجم» إلا لصعوبة تفسير أصواتهم وبيان حركاتهم وإيماءاتهم لبعضهم البعض، ولكن يخبرنا مولانا العلي العليم في سورة الأنعام أننا لسنا الأمة الوحيدة في هذا العالم، فيقول تبارك وتعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ). (الأنعام: ٣٨).

وطالما أن هناك أممًا أخرى، إذن فلكل أمة منهم لغتها ومنطقها الخاص، وقد جاء أن نبي الله سليمان وأباه داود – عليهما السلام – قد آتاهما الله خيراً كثيراً، ومما آتاهم «معرفة لغة الطيور والحيوانات والجن وغيرهم» وقد جاء في سورة النمل: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) (النمل: ١٦)، ولكن صرّحت الآيات الكريمات أن تلك الميزة هي خاصية خاصة بنبي الله سليمان لا تنبغي لأحد من بعده، فيقول الحق الكريم في سورة «ص» على لسان سيدنا سليمان: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (ص: ٣٥)، ولكن مما أثار انتباهنا أن أهل صعيد مصر لا زالوا يُحادثون الطيور والحيوانات، خاصة المُستأنس منها، فقمنا بجمع قدر لا بأس به من تلك (المحاورات الطيورية الصعيدية)، وبعض من (نداءات الحيوان) بلسان أهل الصعيد، فلنستعرضها الآن:

أولاً الطيور: أكثرَ الشعراءُ على مر العصور من مناجاة الطيور بأنواعها وخاصة الحمام، ومن عيون الشعر العربي قول الشاعر أبو فراس الحمداني مخاطباً إحدى «الحمائم»:

أَقــولُ وَقَــد نـاحَـت بِـقُـربـي حَـمـامَـةٌ ... أَيـا جـارَتـا هَـل تَشعُرينَ بِحالي

مَـعـاذَ الـهَـوى مـاذُقـتِ طـارِقَـةَ الـنَـوى ... وَلا خَـطَـرَت مِنكِ الهُمومُ بِبالِ

أَتَحــمِــلُ مَحــزونَ الـفُـؤادِ قَــوادِمٌ ... عَلى غُصُنٍ نائي المَسافَةِ عالِ

أَيـا جـارَتـا مـا أَنـصَـفَ الـدَهـرُ بَينَنا ... تَـعـالَـي أُقاسِمكِ الهُمومَ تَعالَي

الطيور أو الطير «اللفظة الفصيحة» وهي جمع «طائر»، وينطقها أهل الصعيد بالإمالة بين فتح الطاء وكسرها (الطّـيِّـر)، ومن أشهر ما عرفوه من الطيور:

١- القمرِيّة: وهي الأنثى، والذكر منها «قمْري»، وهو نسبة إلى «وادي القمري» وهو مكان بشرقي دلتا مصر كما يُقال، أو لعل ذلك الوادي هو الذي نُسب إليها! والقِمري أو القُمْريّ نوع من الطيور أشبه ما يكون باليمام، ولأنثى القِمري صوت يوحي بأنّه نشيد، فَسّره العديد من الناس تفسيرات عِدّة، منها أنها تُحدِّث قِمريّة أخرى فتقول لها: (رُحت بيتكي، ما لقيتكي، لقيت جوزكي، يا فضيحتي)، و«جوزكي» تعني «زوجكي»، ومن عادة العرب إبدال الحروف كما هو معروف.

وعند ضياع صغارها هناك صوت لها يُفسّر على أنه دعاء على من قام بخطف صغارها، إذ تقول القمريّة: (اللي خد سعيدة وسعيد.. ما يشوف يوم جديد) أي: يموت.

ويقوم ذكر القِمري أثناء موسم التزاوج بإصدار صوت «نداء» إلى أنثاه، كان تفسيره عند أهل الصعيد هكذا: (فينكي... يا حبيبتي)، فترد أنثاه وتقول:

(فين بيت أبوك) وهو تفسير يعكس مدى شاعرية هؤلاء القوم «المُفسّرون الصعايدة!».

٢- الحمام: ويُطلق على صغاره «فراخ» أو «زغاليل»، وتقوم المرأة الصعيدية بنداء حمامتها الشاردة – مستعطفة إياها للعودة إلى عشّها – بقولها (تَعا إحْمِيم.. تَعا إحْمِيم) أو (تا حميم.. تا حميم)، فما تلبث أن تعود الحمامة «المُشتق منها كلمة: إحميم» إلى عشّها، وعندما يهجم الحمام على «العجين» أو «الغلال» فتقوم المرأة بنهره زاعقة فيه بملء صوتها (حِم) فيرعوي عن غيّه!

٣- الغراب: وهو مضرب الشؤم عبر العصور، من لدن ابن آدم – إذ علّمه الغراب كيف يواري سوأة أخيه - وحتى يومنا هذا، فعندما يُحلّق غراب فوق دار من دور الصعايدة، تقوم ربة المنزل بمخاطبته قائلة: (إن كان شَر خُده وانْجَر... وإن كان خير هاته طِير) وتعني: لو كنت قادماً لمصيبة فارجع بها ولا تؤذنا، وإن كان لديك شيئ مُفرح – على غير العادة – فأحضره «طِير» أي طيراناً «بسرعة». وفي حال شاغب الغراب فلا سبيل إلّا ترديد كلمة (إعْ وِر) بصوتٍ عالٍ لكي يهرب.

٤- الحدأة: وينطقها ويجمعها أهل الصعيد هكذا (الحِدّاية) (الحَدادي)، وهي مثار شؤم عندهم، ويطردونها بمخاطبتها بلفظة مشتقة من اسمها (حِدْ.. حِدْ) فتنصرف.

٥-الزرزور: أو الظرظور «حسب النطق المحلي»، وهو شبيه بالطائر المعروف باسم (الشحرور) في بلاد الشام، ويمتاز بصغر الحجم، وهو كثير الشغب في الحقول، ويصيح عليه الزُرّاع بقولهم (حاااح... حاااح) فيهرب مبتعداً بأسرابه.

٥- الجُعران: وهو من الحشرات التي عرفها المصريون القدماء وأكثروا من نقش صورها على جدران معابدهم، واسمه الفصيح (جُعل). ولصبية الصعيد نداء لجذب «الجُعران» — أقصد جمع جعران، فلا أدري كيف يُجمع، ولعله يُجمع على «جعارين» — من فوق أشجار السُنط، فيقولون ويكررون: (طُوبْ الرِّيش) ولعلهم يقصدون: ليتساقط ريشك أيها الجُعران!، ولست أدري هل للجعارين ريش حقاً؟!

٦- الفَرّوج: وتعني الدجاج، ويُطلق على الذكر من الدجاج «ديك»، أما الأنثى فتُدعى «فرّوجة» أو «عِتّقِيَّة»، وهذا في حال كانت كبيرة السن ومُخصصة لإنتاج البيض، ولعل كلمة «فرّوج» مُشتقة من «الفراخ»! المهم أن هذا «الفرّوج» هو أهم أنواع الطيور الداجنة عند أهل الصعيد، ويُقال لصِغاره «الكتاكيت» عند جمعهم للطعام كلمة تُنطق ولا يُعرف كيف تُكتب، وهي عبارة عن إصدار صوت «قرقرة» باللسان، أما عند مشاغبة تلك الطيور فيكون تفريقها بكلمة (هِشْ.. هِشْ).

٧- المالطي: وهو تقريباً نوع من أنواع الديوك الرومية الشهيرة، ولعله دُعي بالمالطي نِسبة لجزيرة (مالطا) بالبحر الأبيض المتوسط، وهي القريبة من مدينة (روما) التي يُنسب لها «الديك الرومي!».

والمالطي طائر عنيد سريع الغضب، يقوم الصبيان باستفزازه عن طريق إصدار صوت (تصفير) مع تهييجه بالملابس ذات اللون الأحمر، ويُذكّرني هذا اللون بـ «مصارعة الثيران» وكيف أن الثور يُستثار باللون الأحمر مع كونه لا يستطيع التفرقة بين الألوان حسب رأي بعض الباحثين!

٨- البُح والشُرشَار: و«البُح» هو البَط البلدي، أما «الشُرشار» فهو بط آخر أبيض

اللون، ولهما نداء مُخصص لجمعهما وقت الطعام وهو: (تعا تيـــت.. تعا تيـــت).

ثانياً الحيوانات: أكثرَ الشعراءُ على مر العصور من مخاطبة الحيوانات بأنواعها وخاصة الخيول، ومن عيون الشعر العربي عن الخيل ووصفه ومخاطبته، قول الشاعر – الصحابي - حسان بن ثابت الأنصاري:

عَدِمنا خَيلَنا إن لَم تَرَوها تُثيرُ النَقعَ مَوعِدُها كَداءُ
يُبارينَ الأَسِنَّةَ مُصعِداتٍ عَلى أَكتافِها الأَسَلُ الظِماءُ
تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِساءُ

أما الحيوانات التي عرفها أهل الصعيد وخاطبوها كأنّها تعقل وتسمع وتجيب، فمنها:

١- الحمار: ويُعرف الذكر منه بـ «الجحش»، والأنثى منه بـ «الجحشة»، وفي حال تقدمت بها السن تُدعى بـ «الحمارة» وكذلك تُدعى «أتان» في بعض الأحيان، وعند ركوب الحمار هناك نداءات ثلاثة لحثّه على السير، أولها: كلمة (شِي) ولعلها مشتقة من كلمة «امشي»، والثانية: (حاا!)، أما الكلمة الأخيرة فهي كلمة تُنطق ولا تُكتب، وقد احتار في كتابتها الفنان المصري الكوميدي «إسماعيل ياسين» ومعه «الخواجا بيجو» في أحد أفلام السينما القديمة، وكانت من المشاهد المُضحكة المشهورة.

ويُقال لإيقاف الحمار «هُوووش» وهذا بخلاف ما يُقال للبقرة عند إيقافها (هاااش)، أما صغير الحمار فيُنادى بكلمة (طُورّيش)، ولأن الحمار من فصيلة الخنازير المُتبلدة الأحاسيس كما نسمع، فإنه يُقال له في موسم التزاوج كلمة (زَررر) لحثّه على إتيان أنثاه.

٢- الحصان: لإيقافه يُقال (هِس)، ولحثّه على الجري يُقال له (هاا!)، أما عند شُرب الماء فيتم الاكتفاء بالـ «تصفير» له.

٣- الجمل: وهو الذكر، أما الأنثى منه فهي «ناقة» أو «قاعود»، والصغير منه يُقال له «بَكْر» أو «بُع» للذكر، أما الأنثى فيُقال لها «بَكْرة» أو «بُعَّة».

ويُقال للجمل لحثّه على الشُرب (تِعْ.. تِعْ)، ولإناخة الجمل يُقال له (إخ) ولعلها مشتقة من «نِخ»، وعند الانتهاء من تحميل المتاع فوقه يُقال له (صَلّي) أو (قُوم) ليبدأ السير بعدها، وإن حدث زحام في الطريق فيُقال له (وَسّع) فيقوم بالتنحية جانباً لعدم التضييق على بقية الركب!

٤- البَقرة: ينطقها بعض أهل الصعيد «بُقرة» بضم حرف الباء، ولكن الأكثرية ينطقونها بالفتح «بَقَرة»، والذكر منها «عِجل»، أما صغيرها فيُدلل باسم (عِجّيل) بتشديد الجيم. ويُقال للبقرة لحثّها على السير (حووو)، وعند إيقافها يُقال لها (هااش) وذلك بخلاف ما يُقال للحمار عند إيقافه (هوووش).

أما عند شُرب الماء فيُقال للبقرة (بو هِد) مع التصفير، ولعل كلمة (بو هِد) هي الكلمة الإنجليزية (Bow Head) وتعني: (اخفض الرأس)، ويبدو أنها كلمة دخيلة عليهم، وتم استخدامها من قِبل المُحتل الإنجليزي حتى تم تداولها وكأنّها كلمة متوارثة منذ عهود الفراعنة، أو على الأقل حدث الظن أنها من الكلمات العربية، ولا أدري كيف دخَلَت ووَصَلت تلك الكلمة الإنجليزية الأعجمية إلى دقائق أمورنا الحياتية وأصبحت ضمن تراثنا؟!

وعند استخدام البقرة في المحراث اليدوي (البَقّاري) فيُقال لها (إرجع) حتى ترجع للخلف، ويُقال لها (أنقُل) للانتقال إلى موضع آخر غير محروث

من الأرض. وأخيراً عند التزاوج فيُقال للعجل (ترِّب).

٥- الجاموس: ويُدعى الصغير منه (بَطْش) وهو الذكر، وتُدعى الأنثى منه (شَبّـة)، ولحثّه على السير يُقال (حووو)، ويُقال له كذلك (إقْ عَد)، وعند إيقافه وتهدئته يُقال له (دُو~). وعند شُرب الماء يُقال له (بو هِد) مع التصفير!

٦- القطة: وتُسمّى عند أهل الصعيد بالـ (بِسّة) وتُجمع على (بِسس) أو (إبسَسْ)، وعند طردها يُقال لها (بِس)، ولعل مردّ ذلك لكون أحد معبودات المصريين القدماء «الفراعنة» واسمه (بِس) كان على هيئة (قطة).. بِسَّة!

٧- النعجة: وهي أنثى الخروف أو الكبش، والصغير منها اسمه (الحمل) ولكن يُسمّيه أهل الصعيد «رَميس» للذكر و«رَميسَة» للأنثى، وتُصغّر أكثر فيُقال (رِمّيس) و(رِمّيسَة).

ولحثّها على السير يُقال لها (هِر يا) أو (هـِ ري) ولعل تلك اللفظة (هـِ ري) مُشتقة من الكلمة الإنجليزية (Hurry) التي تعني (اسرِع في السير) ويبدو جليّاً أنها كلمة دخيلة عليهم وتم استخدامها من قِبل المُحتل الإنجليزي حتى تم تداولها وكأنّها كلمة متوارثة منذ عهود الفراعنة، أو على الأقل حدث الظن أنها من الكلمات العربية، ولا أدري كيف دخَلَت ووَصَلت تلك الكلمة الإنجليزية الأعجمية إلى دقائق أمورنا الحياتية وأصبحت ضمن تراثنا؟!

٨- الماعز: أو العنْزة، وهي أنثى الجَدي، ويُقال للصغير منها «رِبْعيّة» أو «سَخلة»، وتُصغّر أكثر فيُقال (سِخّيل)، ولحثّها على السير يُقال لها (سِكْ) أو (حيّ).

٩- الكلب: وهو المشهور بالوفاء، يُقال عند محاولة الإمساك به (كِيــش..

كِيـــش) مع الإشارة له باليد، أما عند إبعاده فيُقال له (جِر)، ولعل تلك اللفظة مُشتقة من اسم صغير الكلب (الجرو)!

١٠- أبو الحصين: وهو الثعلب الماكر المكّار النبيه الحَصِين! وعند رؤيته يخاطبه أهل الصعيد خطابًا عجيبًا! فيقولون له: (وَلِّع يا قاضي) وهو بمثابة تنبيه له أن يهرب قبل أن يُمسَك به، وهذا طبعاً لا ينبغي قوله أو فعله عند رؤية (الذئب)، وإنما فقط نكتفي بالـ (فكاك) والهروب من وجهه. فكما يُقال (الجَري نُص – نصف – الجَدعَنة). حفظنا الله وإياكم من كل سوء.

الأحلاف ومشيخات القبائل وأوهام الأنساب

جُل قبائل العرب قديمها وحديثها، وبالأخص حديثها - أي التي نشأت بعد ظهور الإسلام - إنما هي مكونّة من قبائل أحلاف، تتكون من بطون متحالفة من قبائل شتى، وهذا الشيء هو سبب رئيس من أسباب تعدد الأقوال في نسب القبيلة الواحدة، وإليكم نموذجين:

أولاً قبيلة خزاعة بالحجاز(٤١): الرئاسة فيها لبني قمعة بن خندف العدنانيين، مع أقوام من الأزد القحطانيين وهم حلفاء.

ثانياً المناذرة ملوك الحيرة بالعراق(٤٢): نسبهم من بني قنص بن معد بن عدنان طبقاً لقول الصحابي جبير بن مطعم، ثم أصبحوا رؤوسًا لقبيلة لخم القحطانية.

كما أن رئاسة القبائل كانت كثيراً ما تُسند إلى بطون قرشية، وذلك بعد ظهور الإسلام، ثم أحياناً تقوم بقية القبيلة بالانتساب إلى نسب شيوخها القرشيين، لا سيما إن كانوا من بني هاشم. ومن الأمثلة على ذلك:

عرب العجالة بمصر(٤٣): بنو العجيل، وشيوخهم أمويون قرشيون عدنانيون، وعماد بقية القبيلة من عرب بلي القحطانيين.

قبيلة بنو يزيد الهلالية بالجزائر(٤٤): شيوخها بكريون قرشيون، وعماد بقية القبيلة من بني زغبة الهلالية.

---

(٤١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ط العلمية صـ ٢٤٠، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي، ط دار الكتاب المصري صـ ٩٨، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، ط دار الكتاب اللبنانيين صـ ٢٤٤.

(٤٢) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة للبري، ط دار الرفاعي - الرياض ١/ ٤٨٤، الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر النمري، ط دار الكتاب العربي - بيروت صـ ٩٩.

(٤٣) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي، ط دار الكتاب المصري صـ ٤٦، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، ط دار الكتاب اللبنانيين صـ ٣٠٥.

(٤٤) تاريخ ابن خلدون، ط دار الفكر - بيروت ٦/ ٥٥

صحائف الأنساب بصعيد مصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

اعتنى العرب في كثير من الأمصار بتدوين أنسابهم في صحائف مخطوطة، اتخذت هذه الصحائف أسماء عدة، من بينها: الجَريدة، والجَرد، والدَرج، والمشجر، والمبسوط. ونتحدث في موضوعنا هذا عن «الجرد والمشجر» بصفتهما من أشهر مسميات صحائف الأنساب في صعيد مصر.

الجرد: وهو أشهر مسميات صحائف الأنساب بصعيد مصر، ويقابله ويرادفه مسمى «الدرج» وهو الاسم الشائع لصحائف الأنساب بدلتا مصر. والجرد هو جريدة نسب، أي جرد وذكر وبيان لأسماء الأصول والفروع عن طريق بسط النسب، ابتداءً من الجد الأعلى ونزولاً لأحد الفروع.

لا يحتوي الجرد فقط على النسب، وإنما يحوي بطياته العديد من التواريخ المرتبطة بمواليد ووفيات ورحلات وتنقلات أفراد سلاسل الأنساب الواردة به، وبعض الحكايات والروايات المختلفة لأحداث جرت معهم، مع ذكر أبرز أعلامهم ومزاراتهم ومواطن دفنهم، وشيء من كراماتهم في حال كانوا من الأولياء.

وفي العادة يذيل الجرد في ختامه بتاريخ تحريره وكتابته، أو تاريخ نسخِه، مع التنويه عن التواريخ السابقة لذلك النسخ، مع بيان أسماء الشهود العدول من نفس الفروع صاحبة النسب أو من جيرانهم أو من قضاة الشرع بمحلتهم، مذيّلة بتوقيعاتهم وممهورة بأختامهم، وقد يُضاف إلى أصل هذه الجرود لاحقاً تفاصيل بالفروع اللاحقة من ذرية الأفراد والأسر المذكورة به، وتسمى هذه الإضافات بالتذييلات، وأيضاً يتم ذكر تاريخ إضافتها واسم واضعها.

• من أنــواع صحائف الأنســاب بالصعيد:

١- الجرد العام للقبيلة: هو جريدة نسب كبيرة وشاملة، تهتم بقبيلة بأكملها، وتأتي على ذكر أصولها وفروعها، وناقلتها، والتواريخ المهمة المرتبطة بتنقلاتها ورحلاتها، وبيان بأعلامها وأماكن وفاتهم وأضرحتهم إن وجدت، وتَذكر بعض أسباط القبيلة، وبعض أحلافهم ومواليهم بل وجيرانهم في موطنهم الأخير أو أثناء تنقلاتهم المختلفة قبل تاريخ تحرير الجرد العام، ويُوقّع على هذا النوع من الجرود في الغالب شيخ القبيلة أو كبير القوم، وبعض مشاهير رجالات فروع القبيلة المختلفة، وبعض قضاة الشرع أو أعيان أحلاف القبيلة أو جيرانهم.

٢- العُجالة: وهي جريدة نسب تؤخذ لشخص أو فرع بعينه، وغالباً ما يكون قد تغرّب عن وطن قبيلته الأصلي، وهم ما يعرفون في علم الأنساب بالمتنقلة أو الناقلة، والعجالة عبارة عن بيان بعامود نسب الفرد أو الأسرة، مع تخصيص الحديث فقط عما يخص فرعهم؛ من بيان بالأعقاب والتواريخ والأحداث والمواطن المهمة المتعلقة بهم.

٣- مُشجر النسب: وهو لقب غَلب على مشجرات ومبسوطات الأنساب في الصعيد على السواء، بينما الصحيح أن المشجر شيء والمبسوط شيء آخر، فالمشجر يبدأ بذكر الفرع ثم الأصل، بينما المبسوط يبدأ بذكر الأصل ثم الفرع. ويُسمّى مشجر النسب أيضاً في الصعيد بمخطوط النسب، لكونه مكتوبًا بخط اليد. وتمتاز مشجرات الأنساب في الصعيد بالشمولية، ففي العادة لا تقتصر تلك المشجرات على ذكر نسب قبيلة بعينها فقط، وإنما تتعداها لذكر أنساب قطر بأكمله أو مدينة بأسّرها، وقد لا تكتفي بذكر أنساب

الأشراف والعرب فقط، وإنما تتعداهم إلى غيرهم من ساكني تلك المواضع.

ومن أشهر أنواع مشجرات الأنساب: «الحصر»، وكان يجرى الحصر بين تارة وأخرى، عند انتشار وتفشي ظاهرة التزوير والادعاء في النسب، أو عند الاضطرابات السياسية التي تؤدي أحياناً إلى فقدان وتلف العديد من صحائف الأنساب. والحصر بصعيد مصر كان يشمل الأشراف والأنصار والعربان بكامل قطر الصعيد، وأشهر حصر معروف هو حصر الشريف محمد بن عيسى بن خلف بن بحر الجعفري الرضوي الحسيني المتوفى سنة ٩٤٦ هـ الذي وُضع كتذييل للمشجرة النعمانية الشهيرة، وسنأتي على ذكرها.

- **خامات صحائف الأنساب بالصعيد:**

١- الجلود: وهي نادرة الاستعمال، وكان يُعمل بها قديماً خلال القرون الهجرية الثلاث الأولى، حتى عصر الدولة العباسية الأول عندما تم الاستيعاض عنها بالأوراق، ومن الملاحظ أن أديرة رهبان المسيحيين بالصعيد استمر أحياناً استعمال الجلود بها في الكتابة.

٢- الأوراق: وهي المادة شائعة الاستخدام في كتابة صحائف الأنساب، وقد تنوعت أنواع خامات صناعتها على مر التاريخ الإسلامي، حيث كانت في البداية تصنع من نبات البردي، ثم صنعت في العهد العثماني من قش الأرز، ولكن هذا النوع كان يتصف بالقابلية للتلف السريع والتكسّر. وتلتهما أنواع أخرى من الأوراق.

ومن الملاحظ أن ورق البردي استمر استعماله لتدوين الأنساب حتى عصور متأخرة، فتجد بعض صحائف الأنساب مكتوبة على ورق بردي صُنع في فترة الاحتلال البريطاني لمصر، ويظهر رمز التاج البريطاني على ذلك الورق.

وأيضاً انتشر عند بعض أهل الصعيد إعادة استخدام أوراق البردي القديمة «الفرعونية» واستغلال المساحات الفارغة منها لتدوين «عجالات وجذاذات الأنساب»، وكان ذلك بسبب ندرة الأوراق وصعوبة التحصل عليه في بعض الأماكن النائية بصعيد مصر.

- الخطوط المستخدمة في الكتابة: تنوعت الخطوط المستخدمة في كتابة صحائف الأنساب بين خط النسخ وخط الرقعة، وكان من السهل نسبياً التحقق والتعرف على أصحاب الخطوط المكتوبة، وذلك نظراً لقلة عدد النسابين في القرون الماضية.
- الأختام: لا تختلف كثيراً في أشكالها عن أختام النسابين في الأقطار الأخرى، مع تميز صحائف الأنساب بالصعيد بنوع نادر من التوقيعات، وهي توقيعات بهيئة مربعات بداخلها أرقام مختلفة، وهي عبارة عن قيمة حساب الجُمل لأسماء معينة.
- **نبذة عن أشهر صحائف الأنساب بالصعيد:**

١- المشجرة النعمانية: تُنسب لناسخها النعمان بن بشير الأنصاري الأندلسي، والذي، كما يُروى، كان قد تحصّل على نسختها من بعض الجعافرة الرضويين الحسينيين، الذين ورثوها عن جدهم الإمام جعفر الصادق، وهو بدوره ورثها عن جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وهي كتاب أنساب العرب الذي كتبه الخليفة أبو بكر الصديق، كما تقول هذه الرواية. ثم عادت هذه المشجرة إلى أيدي قبيلة الجعافرة الرضوية الحسينية مرة أخرى، وذلك في بلاد المغرب، فنسخها الشريف إبراهيم بن عبد المحسن الصغير بن حسين بن أحمد بن إبراهيم بن عبد المحسن الأكبر

بن الحسين الفاسي المغربي الرضوي الحسيني.

ورد تنويه عنها بهامش إحدى النسخ المخطوطة من كتاب الصلة لابن بشكوال، باسم الصحيفة الرضوية الحاوية لأنساب السادة الأشراف الجعافرة الحسينيين في بلاد الأندلس والمغرب، كما ورد لها ذكر في رواية ابن ازبك الصوفي (من أهل القرن الثامن الهجري)، باسم كتاب النسب والقصص في رواية السيد أحمد البدوي، والتي نقلها ابن عبد الصمد وغيره في كتاب الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية وهي تذكر أنساب الأشراف الرضوية الحسينية وبعض بيوتات الأشراف الأخرى وكثير من أنساب العربان والقبائل الأخرى، وهي بهيئة مبسوط نسب لا مشجر.

٢- الشجرة البرزنجية: وهي إحدى تذييلات ونُسَخ المشجرة النعمانية، وقيل إن واضعها هو السيد محمد ابن رسول البرزنجي، وهذه معلومة خاطئة.

٣- مشجر البراطيم: ويعرف بمخطوط نسب السادة الكميلاب «الكميلاو» الجعافرة الرضويين الحسينيين بصعيد مصر، وهو إحدى تذييلات ونُسَخ المشجرة النعمانية، وقيل إن كاتبه هو الشريف عبد الكريم الجالي الجعفري الحسيني أو أحد أحفاده.

٤- مشجرة الطود: وهي نسخة من جرد قديم لجماعة من الأشراف ببلدة «الأحايوة شرق»، وعليه تاريخ سنة ٩٨١ هـ، وهناك عجالة منه عليها تاريخ سنة ٩٢٢ هـ وُجِدَت بالفيوم عند جماعة بها يقال لهم الجعافرة.

نُسِخَت مشجرة الطود بالجامع الأزهر الشريف سنة ١٢١٢ هـ، ثم سجلت بنقابة السادة الأشراف زمن ولاية السيد محمد توفيق البكري الصديقي سنة ١٣٢٢ هـ، ومنها نسخة أخرى لأحد الفروع الشريفة ببلاد الشام، عليها

توقيع قائم مقام نقيب أشراف إسنا بصعيد مصر السيد سعيد عطاي الكلابي المتوفى سنة ١٣٥٧ هـ تقريباً، وعليها تاريخ ١٧ رجب سنة ١٣٢٢ هـ.

٥- مشجرات السادة الكلابية: وهي مشجرات عدة، منها ما سُجل بمحكمة إسنا الشرعية بصعيد مصر سنة ١٠٤٥ هـ، ومن أشهرها المشجرة المعروفة بمشجرة السيد علي أبو النور الكلابي، التي كتبها السيد سعيد عطاي الكلابي الحسيني قائم مقام نقيب أشراف إسنا زمن ولاية السيد محمد توفيق البكري، وهي نقلاً عن مشجر السيد نصار بن عمارة بن عمر بن كلاب بن سلامة بن كلاب بن كليب بن أبي القاسم بن محمد الكلابي اليافعي الحسيني، المُصادق عليها سنة ٨٨٩ هـ.

٦- رزنامة الأنساب: وبها تذييلات كثيرة، وعليها تواريخ مختلفة، بداية من سنة ٩٨٣ هـ حتى سنة ١٢٨٢ هـ.

- **بعض أخطاء نسّاخ وكتاب صحائف الأنساب بالصعيد:**

١- اختزال عامود النسب: وذلك نظراً لقلة إلمام الناسخ أو الكاتب بالنسب، فيُسقط أحيانا بعضًا، وربما الكثير من حلقات سلسلة النسب، كأن يذكر نسب شخص من أهل القرن الخامس الهجري ثم يقول إنه ابن مباشر لرجل من أهل القرن الأول الهجري.

٢- الوقوع بكثرة في خطأ عدم التمييز بين متشابهات الأسماء والألقاب والمهن والوظائف، مثل: (القاضي، الخطيب، النجار، الأغا «وهي وظيفة سياسية وعسكرية»، الغازي «وتعني المجاهد كثير الغزو»، وغير ذلك).

٣- إقحام ألقاب مستحدثة عند الحديث عن أنساب قديمة سابقة على زمن استحداث واستخدام هذه الألقاب: كأن يُذكر شخص من القرن الأول أو

الثاني الهجري ويُقرن ذكره بلفظة (البيرق، الغازي، رزنامة) وهي ألقاب لم تكن معروفة زمن حياة ذلك الشخص.

- **تزوير الأنســاب فى الصعيد:**

ازداد التزوير وادعاء النسب الشريف بشكل ملحوظ في القرن الأخير، رغم سابق وجوده في القرون الماضية، وفي بلدان عدة. ومن الملاحظ أن الغالبية العظمى من تلك الادعاءات والتزويرات تتجه صوب النسب الهاشمي الشريف دون بقية الأنساب، لكونه غاية الشرف ومنتهاه. ولم يقتصر المزورون على استخدام الأوراق لكتابة ما يريدون، وإنما تعدّوه إلى استخدام خامات أقدم، كان منها ما توقف استخدامها في القرن الثالث الهجري.

يقوم هؤلاء المزورون أحياناً باستحداث أختام لأعلام ومشاهير النسابين القدماء، وذلك لإضفاء مزيد من التوثيق علي مدوناتهم هذه، ولكن عند الرجوع إلى أحفاد هؤلاء النسابين القدماء ومقارنة أختام أجدادهم الأصلية بتلك المستحدثة، فإنه يتم اكتشاف زيفها سريعاً.

ومن الملاحظ أيضاً إقحام أسماء بعض الشخصيات المشهورة من السلاطين والملوك والأمراء والعلماء المشاهير في مدونات الأنساب، كموقعين وشهود عليها، رغم عدم تخصص وربما عدم إلمام الكثير من هؤلاء المشاهير بالأنساب بالمرة.

اتجه المزورون كذلك إلى استخدام أساليب عدة تُضفي على الأوراق والصكوك النسبية شكلًا يوحي بالعتاقة والقدم، وذلك بتعتيقها بطرق يعرفونها، ليبدو شكلها بالياً وقديماً ومشابهاً بقدر كبير للأوراق القديمة التي أصابها الضعف والتآكل مع تطاول العهد.

ومنهم من يستغل الصفحات القديمة الفارغة التي كانت تتبقى عند

النسابين والعلماء أو في ملاحق بعض المخطوطات القديمة، ويقومون بتدوين أنساب لاحقة وحديثة عليها، ويضيفون إليها تواريخ قديمة وأسماء شهود لرجال كانوا أحياء في التاريخ الموضوع؛ حتى لا يتبادر الشك إلى زيف هذه الصحائف «مع قدم وعتاقة أوراقها»، بل قد يُقلّدون خطوط هؤلاء الشهود أو الموقعين – المعروفة خطوطهم – على ما كتبوه بشكل احترافي يصعب معه كشف التزوير، ولكن من السهل التنبه لهذا الأمر، وذلك عند الاطلاع على حال مالكها وتتبع كيفية حصوله على تلك الصحائف والجرود.

وفي الختام نُذكّر بحرص الشرع الكريم على التزام الصدق وعدم الانتساب إلى غير الآباء، لما يتحصّل لفاعله من آثام قد تودي به إلى الكفر، مصداقاً لبعض ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، وإنّا لنعوذ بالله من شر ذلك الإثم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إعداد اللجنة العلمية لبحوث التاريخ والأنساب بالسجادة العنانية العمرية:

الباحث: عبد الحميد سالم الأبطحي الرضوي الحسيني، الباحث: الشاذلي عباس الجعفري الرضوي الحسيني، الباحث: منصور علوي الجعفري الرضوي الحسيني، الباحث: أحمد فرغل الدعباسي البكري الصديقي، بتاريخ يوم الجمعة ٢٦ فبراير سنة ٢٠١٦ م.

العمائم تيجـان العـرب والحِبوة حوائطهم

للملوك التيجان وللعرب العمائم، وللحضر الوسائد وللعرب الحِبوة، وكان النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، يحتبي؛ تارة بيده، وتارة بحمالة سيفه أو بقطعة من القماش. فيروي البخاري في صحيحه عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال: «رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بفناء الكعبة، محتبياً بيده».

والحِبوة – أو الحُبوة – لغة أن يجمع الرجل ظَهره وَرجلَيْه بِثَوْب أو بيديه، أو بما يقوم مقامهما مثل حمائل السيوف أو غير ذلك.

وفي الحديث: «فلان أَعْرَابِي في حِبوته، نبطي في جِبوته». أي أَنه عربي في حِبوة العرب، وكالنبطي في عمله بالخراج وجبايته.

وقد كان الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – يحتبون، ولا أدل على ذلك من نهي النبي، صلى الله عليه وسلم، الاحتباء وقت الصلاة. فيروي أبو داوود – والترمذي – في سننه عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نهى عن الحُبْوة يوم الجمعة والإمام يخطب.

ومما روي عن احتباء الصحابة الكرام:

ما رواه أبو داوود في سننه عن يَعلى بن شداد بن أوس، قال: شهدتُ مع معاوية فتح بيت المقدس، فجمَّع بنا فنظرت فإذا جل من في المسجد أصحابُ النبي، صلى الله عليه وسلم، فرأيتهم مُحْتبين والإمامُ يخطب.

وما حدّث به عن نافع أنه لما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب قتل حجر بن عدي وهو محتب في السوق؛ حل حبوته وقام وقد غلبه النحيب.

وما ذكره البلاذري عن أبي جعفر الأنصاري أنه قال: رأيت علياً – بن أبي طالب، رضي الله عنه – يوم قتل عثمان – رضي الله عنه – وعليه عمامة سوداء وهو محتب بسيفه في ظلة النساء؛ فسمعته يقول: تباً لكم سائر الدهر.

وروى الطبري عن رجل من الأنصار أنه سأل علي بن أبي طالب، وهو في مسجد الكوفة، محتب بحمالة سيفه، فقال: انعت لي نعت رسول الله؟

وعن الشعبي قال: قدم مصعب بن الزبير الكوفة بعد قتل المختار فقيل: إن أحنف أهل البصرة في المسجد، فجئنا ننظر إليه، فإذا هو محتب حمائل سيفه، واضعاً مرفقيه على ركبته، وقد شبك أصابعه، وتميم مطيفة به، وأكبّ الناس ينظرون إليه.

وقد قيل للأحنف بن قيس التميمي ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري التميمي، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يختلف إلى الفقهاء، فبينا نحن عنده يوماً وهو قاعد بفنائه، محتب بكسائه، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف فقالوا: هذا ابنك قتله ابن أخيك، قال: فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المسجد فقال: أطلق عن ابن عمك، ووار أخاك واحمل إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة.

ويقول الفرزدق مفتخراً ببني تميم:

إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا ... بَيْتاً، دَعَائِمُهُ أعَزُّ وَأطْوَلُ

بَيْتاً زُرَارَةُ (مُحْتَبِ) بِفِنَائِهِ، ... وَمُجَاشِعٌ وَأبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

وزرارة هذا هو سيد من سادات بني تميم ورؤسائها المعروفين، وكذا مجاشع ونهشل ودارم ويربوع وحنظلة وغيرهم من أجداد بني تميم الكرام.

ويقول جرير مُوبّخاً:

قُتِلَ الزبير وأنت عاقد حِبْوَةٍ تَبًّا لحبوتك التي لم تُحْلَلِ

يُريد أن الحلم إنما يَحسن في السلم إذا قعد القوم في الأفنية، واحتبوا بالأردية، فأما الحرب فإن الحلم فيها عجز.

وأقول: ها قد رأينا كيف صارت الحبوة شعاراً للعزة والكرامة والفخر عن العرب، وكيف أنها فعل فعله النبي، صلى الله عليه وسلم، وكثير من صحابته الكرام رضوان الله عليهم. وكيف أن العرب أصبحت تُعيِّر من لا يحتبي، حتى أنهم شبّهوا بعض قبائل العرب بأنهم أنباط وعجم، وذلك لكونهم لا يحتبون عند الجلوس. وأكثر الناس محافظةً اليوم على الاحتباء هم أهل اليمن والحضارم على العموم.

وإني لأظن أننا نسينا وتناسينا تراثنا العربي المجيد، والشيء الذي يهمنا من تراثنا العربي هذا إنما هو في الأصل جزء من تراثنا الإسلامي، فرسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يحتبي، وكان يلبس العمائم ويُرخي طرفها الأيمن، فحري بنا نحن العرب والمسلمين أن نعود إلى تراثنا العتيق، وننزع عنّا لباس الغرب، فنحن عرب!

المــراجــع:

- جمهرة اللغة لابن دريد ط الملايين ٢/ ١٠١٧.
- غريب الحديث للخطابي ط الفكر ٣/ ٣٨.
- مجمل اللغة لابن فارس ط الرسالة صـ ٢٦٢.
- غريب الحديث لابن الجوزي ط العلمية ٢/ ٣٨٧.
- أنساب الأشراف للبلاذري ط الفكر (٥/ ٢٦٢، ٢٦٦، ٥٩٤) (١٢/ ٣١٣، ٣١٨).
- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة للبري ط دار الرفاعي – الرياض ١/ ٢٧٩.
- تاريخ الطبري ط دار التراث – بيروت ٣/ ١٧٩.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ط العلمية ٥/ ٢٢١.
- البداية والنهاية لابن كثير ط إحياء التراث ٨/ ٣٦.
- صحيح البخاري ط دار طوق النجاة ٨/ ٦١.
- سنن أبي داوود ت الأرنؤوط ط الرسالة العالمية ٢/ ٣٢٧-٣٢٨.
- سنن الترمذي ت بشار ط دار الغرب الإسلامي ١/ ٦٤٧.

الـدم الــدم.. الهــدم الهــدم!

كانت من عادات العرب عند عقد الحِلف بين قبائلهم أن يقوموا بغمس أيديهم في إناء به دم، أو ما أشبهه، كما فعل «لعقة الدم القرشيون» إذ غمسوا أيديهم في طست مليء بالدماء، وكما فعل «المطيبون القرشيون» إذ غمسوا أيديهم في إناء به طِيب.

والحِلف أنواع: منه حلف يُعقد عند الضرورة، وهو الحلف المؤقت، وأشهره تحالفات الحروب والمعارك الوقتية التي تزول بانتهاء المعركة.

ومنه الحلف الدائم، وهو كذلك أنواع: منه أن يَدخل الحليف "الأقل عدداً وقوة" تحت لواء حليفه "الأكثر عدداً وقوة"، أو يترأّس أشرف الحليفين نسباً - كان الأشراف والقرشيون عادة ما يتولون رئاسة القبائل - زعامة كامل القبيلة الجديدة، التي غالباً ما يستجد لها لقب واسم جديد، ويكون عادة بسبب مناسبة زمانية، مثل خزاعة والقارة وتنوخ، أو مكانية مثل غسان ومذحج، أو على اسم أحد الأشخاص.

ومن عادات الحِلف: الاختلاط والامتزاج نكاحاً وإنكاحاً، وهو أن يتزوج الحليفان من بعضهما البعض.

وهناك حلف "الندهة أو الندة" وهو الصرخة، حيث يصرخ الحليف على حليفه طلباً للنجدة والغوث.

وهناك حلف "الهدم" فيقولون (الدم الدم.. الهدم الهدم) وهي كناية عن شدة الحِلف ومدى الحرص عليه. وقد تلفّظ النبي، صلى الله عليه وسلم، بصيغة هذا الحِلف عندما بايعته الأنصار. فيروي الإمام أحمد في مسنده، والطبراني

في معجمه الكبير – واللفظ له – عن عروة بن الزبير، أنه قال: (وكان أول من بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم العقبة أبو الهيثم بن التيهان، وقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالاً – والحبال: الحلف والمواثيق – فلعلنا نقطعها ثم ترجع إلى قومك وقد قطعنا الحبال وحاربنا الناس فيك، فضحك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قوله وقال: "الدم الدم، الهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم»، فلما رضي أبو الهيثم بما رجع إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قوله أقبل على قومه، فقال: يا قوم هذا رسول الله أشهد أنه لصادق، وإنه اليوم في حرم الله وأمنه وبين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا أنكم إن تخرجوه برتكم العرب عن قوس واحدة، فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله وذهاب الأموال والأولاد، فادعوه إلى أرضكم، فإنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حقاً، وإن خفتم خذلانا فمن الآن) اهـ. (انظر: مسند أحمد ط الرسالة ٢٥/ ٩٣، المعجم الكبير للطبراني ١٩/ ٨٩، ٢٥٠).

ولكن لست أدري ما رأي الشرع في الأحلاف القديمة، وهل يجوز العمل بها مثلما أجاز رسول الله العمل بحلف جده «عبد المطلب بن هاشم» القديم مع بني كعب بن عمرو الخزاعيين، وكان هذا الأمر سبباً مباشراً في فتح مكة المكرمة؟!

تلبية قبائل العرب وأصنامهم قبل الإسلام

كانت قريش تنسك لإساف، وكانت تقول في تلبيتها عند الطواف بالبيت العتيق: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملَك) وكان لكل قبيلة بعدُ تلبية.

أما قبيلة "عك" ساكنة اليمن، فكانت إذا بلغت مكة؛ بعثت غلامين أسودين أمامهم، عريانين، كل غلام على جمل، فلا يزيدان على أن يقولا: (نحن غرابا عك) وإذا نادى الغلامان بذلك صاح من خلفهما من عك: (عك إليك عانية، عبادك اليمانية، كيما نحج الثانية، على الشداد الناجية).

وكانت تلبية الأوس والخزرج: لبيك جئناك مع المعاشر، نسير سير العجل المبادر، نزور بيتاً لك ذا المشاعر.

وكانت تلبية الأزد: إليك صرنا بمطي صبراً، يرفلن في الوعث تراها حسراً، نزور بيتاً قائماً مستراً.

وكانت تلبية جرهم: اللهم إن جرهماً عبادك، الناس طرف وهم تلادك.

وكانت تلبية بكر بن وائل: لبيك ما نهارنا بجره، إدلاجه وحره وقره، لا نبتغي شيئاً ولا نضره، إلا بحج نستديم بره.

وكانت تلبية كندة: أن جعلتنا ملوكاً خرجنا من ملكنا إليكا، فوافق الناس الذين أتوكا.

وكانت تلبية بجيلة: لبيك أن هديت للتكرم، وحج بيتك للحرم، نزوره لحقه المعظم.

وكانت تلبية خزاعة: لبيك نحن أهل الوادي، وبيتك المستور بالأبراد، زاعه ذو العد والعداد، إليك تأتي عصب الوراد، فنحن بين حاضر وباد.

وكانت تلبية غسان: لبيك أتتك غسان معاً ملبية، أولاد جفنة الند والنادية، تقصد قصد الكعبة اليمانية.

وكانت تلبية قضاعة: لبيك أتتك قضاعة، تطالب الشفاعة، فهب لنا التباعة.

وكانت تلبية تميم: لبيك لولا أن بكر دونكا، ببرك الناس ويفخرونكا، ما زال منا عبد يأتونكا.

وكانت تلبية ثقيف: لبيك لم نأتك من بعيد، نحن عبيد لك من عبيد، أنزلتنا بالطائف الشديد، قرب ثبير والحرى البيد.

أما الأصنام والأوثان:

فكانت تلبية من نسك للعزي: (لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك، ما أحبَّنا إليك).

وكانت تلبية من نسك للّات: (لبيك اللهم لبيك، لبيك، كفى بيتنا بنية، ليس بمهجور ولا بلية، لكنه من تربة زكية، أربابه من صالحي البرية).

وكانت تلبية من نسك لجهار: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، إجعل ذنوبنا جُبار، واهدنا لأوضح المنار، ومتعنا وملّنا بجهار).

وكانت تلبية من نسك لسواع: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، اُبنا إليك، إن سواع طُلبَن إليك).

وكانت تلبية من نسك لشُمس: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، ما نهارنا نجرُّه، إدلاجه وحره وقره، لا نتقي شيئاً ولا نضره، حجاً لرب مستقيم بِره).

وكانت تلبية من نسك لمحرِّق: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك حجاً حقاً، تعبداً ورِقًّا).

وكانت تلبية من نسك لوّد: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، معذرة إليك).

وكانت تلبية من نسك لذي الخلصة: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، بما هو أحب إليك).

وكانت تلبية من نسك لمنطبق: (لبيك اللهم لبيك، لبيك).

وكانت تلبية من نسك مناة: (لبيك اللهم لبيك، لبيك، لولا أن بكراً دونك، يبُّرك الناس ويهجرونك، وما زال حج عثج يأتونك، إنا على عدوائهم من دونك).

وكانت تلبية من نسك لسعيدة: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لبيك، لم نأتك للمياحة، ولا طلباً للرقاحة، ولكن جئناك للنصاحة).

وكانت تلبية من نسك ليعوق: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، بغَّض إلينا الشر، وحبِّب إلينا الخير، ولا تُبطرنا فنأشر، ولا تفدحنا بعثار).

وكانت تلبية من نسك ليغوث: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، أحبنا بما لديك، فنحن عبادك، قد صرنا إليك).

وكانت تلبية من نسك لنسر: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، إننا عبيد، وكلنا ميسرة عتيد، وأنت ربنا الحميد، اردد إلينا مُلكنا والصيد).

وكانت تلبية من نسك لذي اللبا: (لبيك اللهم لبيك، لبيك، رب فاصرفنْ عنا مضر، وسلِّمنْ لنا هذا السفر، إن عما فيهم لمزدجر، واكفنا اللهم أرباب هجر).

وكانت تلبية من نسك لّمرحب: (لبيك اللهم لبيك، لبيك، إننا لديك، لبيك، حببنا إليك).

وكانت تلبية من نسك لذّريح: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، كلنا كنود، وكلنا لنعمة جحود، فاكفنا كل حية رصود).

وكانت تلبية من نسك ذا الكفين: (لبيك، اللهم لبيك، لبيك، إن جرهماً

عبادك، الناس طُرف وهم تلادك، ونحن أولى منهم بولائك).

وكانت تلبية من نسك هبل: (لبيك اللهم لبيك، إننا لقاح، حرَّمتنا على أسنة الرماح، يحسدنا الناس على النجاح).

وكانت هذه الأصنام، كلها في بلاد العرب، تُعبد مع الله - عز وجل - لا إله إلا هو، وكانت العزى شجرة بنخلة عندها وثن تعبدها غطفان. سدنتها من بني صرمة بن مرة، وكانت قريش تعظمها، وكانت غني وباهلة تعبدها معهم، فبعث - رسول الله صلى الله عليه - خالد بن الوليد، فقطع الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن.

وكانت اللات بالطائف لثقيف على صخرة، وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة، وكان له حجبة وكسوة، وكانوا يحرمون واديه، فبعث رسول الله - صلى الله عليه - أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه، وكان سدنته آل أبي العاص، من بني يسار بن مالك، من ثقيف.

وكان جهار لهوازن بعكاظ، وكان سدنتها آل عوف النصريون، وكانت محارب معهم فيه، وكان في سفح أطحل.

وكان سواعٌ بنَعمان، تعبده بنو كنانة، وهذيل، ومزينة، وعمرو بن قيس بن عيلان. وكان سدنته بنو صاهلة، من هذيل.

وكان شُمس لبني تميم، وكان له بيت، وكانت تعبده بنو "أد" كلها: ضبة وتميم وعدي وعكل وثور. وكان سدنته من بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شُريف بن جروة بن أسيِّد بن عمرو بن تميم. فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيِّد بن الحلاحل بن أوس بن مخاشن.

وكان وَد لبني وبرة، وكان موضعه بدومة الجندل، وكان سدنته بني الفرافصة بن الأحوص، من كلب.

وكان الفَلْس بنجد تعبده طيء، وكان سدنته بنو بولان.

وكانت الأنصار وأزد شنوءة وغيرهم من الأزد يعبدون مناة، وكان بِسيف البحر، سدنته الغطاريف من الأزد.

وكانت سعد هذيم وسائر قضاعة إلا بني وبرة يعبدون السعيدة ومناة. وكانت الأزد تعبد السعيدة أيضاً، وكان سدنتها بنو العجلان، وكان موضعها بأُحد.

وكان ذو الخلصة له بيت تعبده بجيلة، وخثعم، والحارث بن كعب، وجرم، وزبيد، والغوث بن مر بن أد، وبنو هلال بن عامر، وكانوا سدنته.

وكان يغوث لمذحج كلها، وكان في أنعم، فقاتلتهم عليه غُطيف، من مراد، حتى هربوا به إلى نجران. فأقروه عند بني النار، من الضباب، من بني الحارث بن كعب. واجتمعوا عليه جميعاً.

وكان يعوق لهمدان، وخولان. وكان في أرحب.

وكان نسر لحمير، تنسكه وتعظمه وتدين له. وكان في غُمدان: قصر ملك اليمن.

وكان ذو اللبا لعبد القيس بالمشقَّر. سدنته منهم بنو عامر.

وكان المحرق بَسلمان لبكر بن وائل وسائر ربيعة. وكانوا قد جعلوا في كل حي من ربيعة له ولداً.

فكان في عنزة: بلج بن المحرق.

وكان في عميرة وغُفيلة: عمرو بن المحرق. وكان سدنته آل الأسود العجليون.

وكان ذريح لكندة بالنُّجير من اليمن ناحية حضرموت.

وكان مرحب لحضرموت. وكان سادنه ذا مرحب. وبه سمي ذا مّرحب.

وكان المنطبق للسُلف، وعك، والأشعريين. وكان صنماً من نحاس، يكلّمون من جوفه كلاماً لم يسمع بمثله. فلما كسرت الأصنام وجدوا فيه سيفاً، فاصطفاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسمي (مِخذماً).

وكان ذو الكفين لخزاعة، ودَوس. فلما كسره عمرو بن حممة الدوسي قال: (ياذا الكفين لستُ من تلادك، ميلادنا أكبر من ميلادك).

وكان إساف ونائلة لقريش والأحابيش.

وكان هُبل لبني بكر، ومالك، وملكان، وسائر بني كنانة. وكانت قريش تعبد صاحب بني كنانة، وبنو كنانة يعبدون صاحب قريش.

وكانت العرب تعظم هذه الأصنام المجمع عليها والتي يجتمعون عندها كل سنة مرة. وكان في كل حي أشياء لا تفارقهم، يسألونها.

فهذه رؤوس طواغيتهم التي كانوا يصدرون إليها من حجهم. لا يأتون بيوتهم حتى يمروا بها، فيعظموها ويتقربوا إليها وينسكوا لها.

المـراجـع:

١- كتاب الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: أحمد زكي باشا، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الرابعة سنة ٢٠٠٠ م.

٢- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١ هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣- المحبر، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت.

تذكِـرة: ما هَلك هالك ترك مثل مالك

قال أبو بكر الخرائطي (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ) حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: ثنا حازم بن عقال بن حبيب بن المنذر بن أبي الحصن بن السموأل بن عادياء، قال: حدثني جامع بن خيران بن جُميع بن عثمان بن سماك بن أبي الحصن بن السموأل بن عادياء، قال: لمّا حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، الوفاة، اجتمع إليه قومه من غسّان، فقالوا: إنه قد حضرتك من أمر الله ما ترى، وما كنّا نأمرك بالتزويج في شبابك فتأبى، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين – وهم: عمرو، وعوف، وجشم، والحارث، وكعب – وليس لك ولد غير مالك.

قال: لن يهلك هالك ترك مثل مالك، إن الذي يُخرج النار من الوثيمة، قدر أن يجعل لمالك نسلاً، ورجالاً بُسلاً، وكلٌّ إلى الموت.

ثم أقبل على مالك، فقال: أي بنَيّ، المنيَّة ولا الدَّنيَّة، العقاب ولا العتاب، التجلُّد ولا التلدُّد، القبر خير من الفقر، إنه من قلّ ذلّ، ومن كرم الكريم الدفع عن الحريم، والدَّهرُ يومان، فيوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصطبر؛ وكلاهما سينحسر، ليس يفلت منهما الملك المتوَّج، ولا اللئيم المعلهج، سلِّم ليومك، حيَّاك ربُّك. ثم أنشأ يقول:

شَهِدتُ السَّبايا يومَ آلِ مُحَرِّقٍ ... وأدركَ عمري صيحة اللهِ في الحِجرِ

فلم أرَ ذا ملكٍ من الناس واحداً ... ولا سوقةً إلاَّ إلى الموتِ والقبرِ

فَعَلَّ الذي أردى ثموداً وجُرهماً ... سيُعقبُ لي نسلاً على آخرِ الدَّهرِ

تَقَرُّ بهم من آلِ عمرو بن عامرٍ ... عيونٌ لدى الداعي إلى طلب الوترِ

فإنْ تكُنِ الأيّام أبلينَ جِدَّتي ... وشيَّبنَ رأسي والمشيبُ مع العمرِ

فإنَّ لنا ربّاً علا فوق عرشِه ... عليماً بما نأتي من الخيرِ والشرِّ

ألم يأتِ قومي أن لله دعوةً ... يفوزُ بها أهل السيادة والبرِّ

إذا بعثَ المبعوثُ من آل غالبٍ ... بمكةَ فيما بين زمزمَ والحجرِ

هنالك فابغَوا نصرَهُ ببلادِكم ... بني عامرٍ إنّ السيادةَ في النَّصرِ

ثم قضى من ساعته.

ومن كلام أوس بن حارثة أيضاً ما ذكره اليوسي (المتوفى سنة ١١٠٢ هـ) في "زهر الأكم" وهو: (خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع) اهـ.

المــراجــع:

- هواتف الجنان للخرائطي ط دار البشائر ١/ ٦٤-٦٥.
- أمالي القالي ط دار الكتب المصرية ١/ ١٠٢-١٠٣.
- جمهرة الأمثال ط الفكر - بيروت ٢/ ٢٣٥-٢٣٦.
- نثر الدر في المحاضرات ط العلمية ٦/ ٢٥٥-٢٥٦.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم ط دار الثقافة — الدار البيضاء ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.
- تاريخ دمشق لابن عساكر ط الفكر ٣/ ٤٥٦-٤٥٧.
- البداية والنهاية لابن كثير ط إحياء التراث ٢/ ٤٠٤-٤٠٥.
- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى تحقيق الجكيني ١/ ٥٤١.
- إمتاع الاسماع ط العلمية ٣/ ٣٥٠-٣٥١.

أولاد النـاس وآخـرة المماليك

يُطلِق أهل مصر على أبناء الأسر صاحبة الجاه والنفوذ والثراء لقب «أولاد الناس»، ومن سواهم هم عامة الشعب وفقراؤهم!

حَكَم مصر لقرون عديدة طائفة «المماليك» التي تعود أصول أكثرهم إلى شعوب القوقاز والشركس والغز التركمان، وكان الأيوبيون - من قبلهم - قد استكثروا من جلب المماليك هؤلاء وشرائهم ليقوى جانبهم بهم، حتى تمكنوا - أي المماليك - أخيراً من تولي زمام حكم مصر وما يتبعها من النواح والولايات بالشام وغيرها. وبسبب تولّيهم سدة الحكم تمكن سلاطينهم وكبار أمرائهم من أن يتزوجوا بنساء مصريات رغم أنهم كانوا مماليك عبيداً قد مسّهم الرّق، فنشأت من تلك الزيجات طائفة جديدة من السكان في مصر - بسبب كثرة عدد أمراء وسلاطين المماليك - وسُمّيت هذه الطائفة بـ (أولاد الناس). وكأننا نفهم من ذلك المصطلح المتعجرف أن من سوى هؤلاء ليسوا من الناس! وإنما هم أوباش ورعاع، وهذا من ظُلم المماليك البيّن، حيث جعلوا أنفسهم هم الناس، وأولادهم هم «أولاد الناس!».

وكانت طبقة أولاد الناس هذه تأتي في المرتبة الثانية العليا بعد طبقة آبائهم: سلاطين وأمراء المماليك، وخرج من تلك الطبقة جَمْع من الأمراء والعلماء، وكان من مشاهير طائفة أولاد الناس العلامة الشهير والمؤرخ الكبير "ابن إياس الحنفي" صاحب (بدائع الزهور في وقائع الدهور).

ثم إنه بعد تتابع الأجيال ذابت طبقة "أولاد الناس" داخل المجتمع المصري،

ولكن لم يزل إلى اليوم شيء من أثرهم باقياً؛ ألا وهو اسمهم! فمجتمعنا المعاصر حذا حذو المماليك وصنّف المجتمع لطبقات، فجعل الأثرياء وأصحاب السلطان هم الناس، وأولادهم هم أولاد الناس. ومن سواهم من عوام الشعب الكادح تم حرمانهم من أن يكونوا من "الناس!».

أدعو الله ألّا يَلقى المجتمع المصري نفس المصير الأسود المؤلم للمماليك ومجتمعهم، والذي سجل نهايته قلم "ابن زنبل الرمال" ذلك المؤرخ المملوكي في كتابه (آخرة المماليك) . فاللهم أحسن آخرتنا يا رب الناس.

أحمد عبد النبي فرغل

«المَريْس» تتحدثُ عن نفسها!

(قراءة فى كتاب: تاريـخ قرية المريـس)

قيل في المثل الشعبي «احسب حساب المريسي وإن جاك طيّاب من الله» ويشرحه أحمد تيمور باشا – في موسوعة الأمثال الشعبية – فيقول: «المريسي» نسبة للمريس، بلدة جنوبي القطر المصري، ويُراد بالمريسي أي الريح الجنوبية، لأنها تُعطّل سير السفن وهي مُصعدة – متجهة للصعيد «الجنوب» – والطيّاب عندهم بعكسها، ويَقصِد المثل أنّ: كُن حازماً في تسيير أمورك واستعد للطوارئ، فإن يسّر الله وسهّل فلا يضرك تيقظك.

كانت الفقرة السابقة هي آخر فقرة في كتاب «تاريخ قرية المريس» للمؤلف الرائع صديقنا المستشار «أحمد عبد الباسط الحايق آل الأحمر» ابن قرية المريس بمركز أرمنت بمحافظة الأقصر بصعيد مصر، والذي ما إن طالعنا كتابه هذا إلا وأدهشنا وأعجبنا، وذلك من روعة ما جاء فيه من درر وفرائد عن: (هذا) المريس، أو عن: قرية المريس (هذه)!

تناول الأستاذ الباحث «أحمد الحايق» تاريخ قريته منذ أقدم العصور حتى العصر القريب، معتمداً في سرده على أقوى المراجع والمصادر التاريخية والجغرافية، لاسيّما: الطالع السعيد للإدفوي، معجم البلدان للحموي، قوانين الدواوين للأسعد ابن مماتي، التحفة السنية لابن الجيعان، والخطط المقريزية، وغيرهم.

اعتمد الحايق على نقل كافة الآراء المتعددة حول الموضوع الواحد، ثم أخذ

يُرجّح بينهم بأسلوب التحقيق العلمي المُتّبع، دونما إتباعٍ لهوى أو تحيزٍ لأحد، وأوْضَح جليّاً أن مُسمّى «المريس» هو مسمّى مصري قديم، وهو (ام ري سيه) وهي كلمة كانت تُطلق – في عصور الفراعنة – على بلاد النوبة بشمالي السودان وجنوبي مصر وما صاقبها من نواحِ الصعيد الأعلى، وأوضح أن قرية المريس الحالية تعتبر البوابة الشمالية لإقليم المريس التاريخي، الذي ينتهي جنوباً عند الشلال الثالث.

ولم يَفُتْ صديقنا الحاذق «الحايق» أن ينقل الروايات المحلية عند سكان قرية المريس الحالية، المتعلقة بأصولهم المغاربية القديمة، ويُوضح أن كلمة المغاربية تعني كل بلدان المغرب العربي الحالية بالإضافة إلى الفردوس الضائع «الأندلس» إذ إن غالبية أصول أهل المريس «مغاربية» وخاصة «أندلسية».

وبعيداً عن المغرب والمغاربة إذ بالمؤلف يأخذنا هنالك جهة المشرق، إلى حدائق بابل المعلقة، حيث استقر «فيروز» هذا الرجل المصري الصعيدي المريسي! هكذا نقل باحثنا الهمام عن المؤرخ ابن الكندي، ومن العجائب أن يكون «نبوخذ نصر» – الذي حارب مصر ودمّر أورشليم «القدس» – هو ابن فيروز المريسي هذا!

وتأتي شدونبة أو شطفنبة أو شطفنية فتحتل لُب الكتاب الذي لا تتجاوز صفحاته الخمسين صفحة، ويقول المستشار أن الإمام شرف الدين ابن الجيعان ذكر مساحة شطفنية – وهي المريس – فقال إنها ٧٢٣٤ فدان ما بين «نقا» و «خرس»، وأوضح باحثنا الرائع معنى اللفظتين، وهذا مما يُحسب للمؤلف من تبسيطه المعلومة للقارئ العادي غير المُتخصص.

وقد احتلت تراجم الأعلام «الأعيان» نصف مساحة هذا «السفر المريسي»، وبدأها صاحبنا بالأمير حمد الجعفري أمير الطود – بالأقصر – وذَكر علاقته

بالمريس، ثم ثنى بتراجم بيت العلم المكين «آل مكي بن ياسين» فتحدث عن «صدرهم» و«قاضيهم» و«قطبهم»، وأخيراً «نجمهم» الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي بن ياسين – المخزومي القرشي القمولي – ذو الأصل الشطفنبي «المريسي»، وقد عَمِل قاضياً لأخميم، وأسيوط، والمنيا، والشرقية، والغربية، وناب، ووُلّي الحسبة بالقاهرة، وتوفي بها في رجب سنة ٧٢٧ هـ.

ويُخبرنا صاحب «تاريخ المريس» عن ارتباط قريته بأمراء المماليك، وكيف أن كثيراً من أطيانها كانت إقطاعاً للأمير المملوكي يدي قرطقا بن سيسون أمير الطبلخانة، ثم صارت للأمير يشبك الأشرفي الدوادار، حتى انتهت أخيراً في عهد الأسرة العَلَوِيَّة – أسرة محمد علي باشا – إلى أحد أمرائهم، وهو: (الأمير يوسف كمال البرنس) صاحب القصر الفخم ذي الحديقة الخّلابة بقرية المريس، وهو صاحب الصورة الجميلة المُزيِّنة لظهر غلاف الكتاب.

إطلالة على قرية (دمامين/ دماميل) أو (المفرّجية)

دمامل، أو دمامين، أو المفرجية: قرية قديمة، بمركز قوص بمحافظة قنا، بصعيد مصر الأعلى. تقع جنوب مدينة قوص بسبعة أميال، وأصول أكثر أهلها من بلاد المغرب. وبها آخرون من قبائل أخرى، لا سيما قريش.

وقال السيد محمد رمزي في "القاموس الجغرافي للبلاد المصرية" أن تلك القرية هي القرية المعروفة اليوم باسم (المفرجية). وقال إنها كانت تسمى "تمامين" و"دمامين" و"دماميل" ولإستهجان أهلها تلك التسمية طلبوا تغييره إلى "المفرجية" نِسبة إلى الشيخ مفرّج صاحب المقام الكائن بها، وذلك سنة ١٩٣٠ م. والشيخ مفرّج هو أبو الغيث مفرّج بن الموفق بن عبد الله الدماميني، صاحب المكاشفات المعروفة، وكان من مشاهير الصالحين، توفي في جمادى الأولى سنة ٦٤٨ هـ كما ذكر السيوطي في "حسن المحاضرة"[(٤٥)].

ذكرها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» فقال[(٤٦)]: (دَمامِين: بفتح أوله، وبعد الألف ميم أخرى مكسورة، وياء تحتها نقطتان، ونون: قرية كبيرة بالصعيد شرقي النيل على شاطئه فوق قوص، وعليها بساتين ونخل كثير) اهـ.

وذكرها صفي الدين الحنبلي في "مراصد الاطلاع" بنفس الصفة[(٤٧)]، وكذا ذكرها أبو عبد الله الحميري في «الروض المعطار بخبر الأقطار» بشيء

---

(٤٥) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م لمحمد رمزي، ط الهيئة المصرية العاملة للكتاب ٥/ ١٨٥-١٨٦.

(٤٦) معجم البلدان لياقوت الحموي، ط دار صادر ٢/ ٤٦٢.

(٤٧) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط دار الجيل ٢/ ٥٣٣.

من التفصيل، حيث قال[٤٨]: (دماميل: مدينة بينها وبين قوص من أرض مصر سبعة أميال، وهي محدثة حسنة البناء طيبة الهواء كثيرة الزراعات ممكنة الحنطة وسائر الحبوب، وأهلها أخلاط والغالب عليهم أهل المغرب، والغريب عندهم مكرم محفوظ مرعي الجانب، وفي أهلها مواساة بالجملة) اهـ.

وجاء في "تاريخ ابن الوردي" أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أعطى ثلثي قرية دمامين للشريف عطيفة بن أبي نمى الحسني أمير مكة المكرمة تعويضاً له، بعد أن أبطل مكس المأكول بمكة، وذلك سنة ٧٢٢ هـ. وقد أشار ابن كثير في البداية والنهاية لذلك الأمر، دون أن يذكر اسم القرية، ولكنه قال: (وعوض صاحبها عن ذلك بإقطاع في بلد الصعيد) اهـ[٤٩]. وذكر ذلك أيضا تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»[٥٠]، والجلال السيوطي في «حُسن المحاضرة»[٥١]، والمقريزي في «السلوك لمعرفة دول الملوك»[٥٢].

وذكر ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة» أن إبراهيم بن علي بن عمر القوصي الشافعي المعروف بابن الفهاد قد اشتغل بقوص ومهر في التفسير والفقه والأصول والحديث، وولي قضاء «دمامين»، وكان مَرْضي السيرة، متقللاً من الدنيا جداً، منجعاً عن الناس، مات بقوص في شوال سنة ٧١٥ هـ[٥٣]. وجاء مثله في «طبقات المفسرين» للداوودي[٥٤].

(٤٨) الروض المعطار في خبر الأقطار، ط مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت صـ ٢٣٧.

(٤٩) تاريخ ابن الوردي، ط العلمية ٢/ ٢٦٤.

(٥٠) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط العلمية ٢/ ٢٩٥.

(٥١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط إحياء الكتب العربية ٢/ ٣٠١.

(٥٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، ط العلمية ٣/ ٥٤.

(٥٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط دائرة المعارف العثمانية ١/ ٥٠.

(٥٤) طبقات المفسرين للداوودي، ط العلمية ١/ ١٦.

أما الذهبي فقد تَرْجم في "تاريخ الإسلام" لأحد علمائها، فقال[٥٥]: (إبراهيم بن مكي بن عمر بن نوح، الرئيس الصدر، ضياء الدين، أبو إسحاق المخزومي، الدماميني، الكاتب. تقلّب في الخدم الديوانية. وحدّث عن: أبي الحسن علي بن البناء، وُلِد بدمامين من الصعيد سنة أربع وثمانين، ومات ببلبيس).

ومن علمائهم الأعلام، عالم قرشي النسب، مات قتيلاً ببلاد الهند، جاء ذكره في "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" للشيخ محمد ابن مخلوف، فقيل[٥٦]: (بدر الدين محمَّد بن أبي بكر الدماميني القرشي الإسكندري: العمدة، المتفنن في العلوم والمعارف، الفهامة، الأديب، النحوي، اللغوي، الإمام، المفضال، العارف بالشروط، الرحّال، أخذ عن أعلام منهم: ابن خلدون، وابن عرفة، والناصر التنسي، والجلال البلقيني. وعنه جماعة منهم: الزين عبادة، ورافقه إلى اليمن، وعبد القادر المكي، وغيرهما. له حاشية على «مغني اللبيب» سمّاها: «تحفة الغريب». ولمّا دخل الهند رجع عنها وألّف هناك «التحفة البدرية»، و«المزج على المغني» لم يكمل، و«شرح التسهيل»، و«شرح البخاري»، و«الخزرجية»، ومجلد في الإعراب، و«عين الحياة» مختصر حياة الحيوان، و«جواهر البحور» في العروض، ومن نظمه «الفواكه البدرية». كان مولده سنة ٧٦٣ هـ، ومات قتيلاً بالهند سنة سبع أو ثمان وعشرين وثمانمائة).

ومن علماء دمامين أيضاً: جمال الدّين عبد الله بن محمد بن الدّماميني- نسبة إلى دمامين قرية بالصّعيد - الإسكندراني، قاضي الإسكندرية، وليها أكثر من ثلاثين سنة، وكان قليل البضاعة في العلم، لكنه كثير البذل، ضخم

---

(٥٥) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ت بشار، ط الغرب الإسلامي ١٥/ ٥١.

(٥٦) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط العلمية ١/ ٣٤٦.

الرئاسة، سخي النّفس، أفنى مالاً كثيراً في قيام صورته في المنصب، ودفع من يعارضه وركبه الدّين، ثم توفي يوم الأحد ثاني عشر ذو القعدة سنة ٨٤٥ هـ عن نحو خمس وستين سنة. كذا ذكره ابن العماد في "شذرات الذهب"[٥٧].

وإن الحديث عن تاريخ وعلماء دمامين ليطول، تلك القرية الصعيدية القناوية القوصية. المسماة اليوم بالمفرجية، وإنما أردنا إلقاء نظرة وإطلالة عن تاريخها وعلمائها.

---

(٥٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط دار ابن كثير – دمشق ٩/ ٣٧٢

مقتطفـات عن أصفـون المطاعنات

(هِيَ وقفةٌ قصرت وَطَالَ بلاؤها... فَكَأَنَّمَا هِيَ دولة الأصفوني)

أصفون المطاعنة، قرية من قرى صعيد مصر الأعلى، تابعة لمنطقة المطاعنة أو المطاعنات، بمركز إسنا بمحافظة الأقصر حالياً. كانت قديماً – منذ قرون – تابعة لإقليم قوص؛ أحد أقاليم الصعيد الكبرى الثلاث قديماً، وهم: قوص، الأشمونين، البهنسا.

تقع أصفون بالجانب الغربي من نهر النيل، وتتبع منها ترعة أصفون الشهيرة بغرب النيل بمحافظات جنوب الصعيد. وردت صفتها في «معجم البلدان» للحموي هكذا[٥٨]: (أَصْفُونُ: بضم الفاء، وسكون الواو، ونون: قرية بالصعيد الأعلى على شاطئ غربي النيل تحت إشني وهي على تلّ عال مشرف، وفي مصادر أخرى وجدنا كلمة «إشني» هكذا «إسنا») اهـ.

وقد كانت «أصفون» من أماكن تمركز أقباط مصر النصارى الهامة قديماً، فقد ورد في كتاب «المواعظ والإعتبار» للتقي المقريزي أنه[٥٩]: (كان بأصفون دير كبير وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحي الصعيد فواكه، وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والمهارة، فخربت أصفون وخرب ديرها) اهـ.

وتكون النسبة إلى هذه القرية إما «الأصفوني» أو «الأصفواني»، وهنالك عدد لا بأس به من العلماء، والأعيان، والمشائخ يحملون هذين اللقبين على مر العصور، فقرية «أصفون» قد حوت صنوفًا عديدة من الناس، من أعراق مختلفة،

---

(٥٨) معجم البلدان، ط دار صادر ١/ ٢١٢.

(٥٩) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط العلمية ٤/ ٤٣٢.

ومن خلال مطالعة تراجم العلماء الأصفونيين المتناثرة في مصادر التاريخ نجد أن هناك عديد من القبائل العربية وغير العربية سكنت أصفون، وتظهر تلك الأنساب من خلال ألقاب العلماء. ونذكر من هذه القبائل: قريش، بني هاشم، بني أمية، بني أبي بكر الصديق، الأنصار، بني قشير، بني هلال، وغيرهم».

وقد ذكر العلامة القلقشندي في «قلائد الجمان» أن بطوناً من بني هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان العدنانية سكنت بأصفون المطاعنة، ومن نسل هؤلاء جاء العلامة نجم الدين الأصفوني، وهذا نص ما أورده القلقشندي[٦٠]: (ومن بني هلال أيضاً: بنو عامر. وهم: بنو عامر بن هلال بن عامر بن صعصعة. قال الحمداني: وهم بطون بالصعيد، منهم: رفاعة، وبنو حجير، وبنو عزيز. قال في العبر: ومنهم طوائف بإفريقية من بلاد المغرب. قال الحمداني: وبإخميم منهم بنو قُرّة، وبساقية قُلتة – وهي ساقلته بسوهاج – منهم طائفة، وبأصفون وإسنا بنو عُقبة وبنو جَميلة. ومن بني جميلة: الوزير نجم الدين الأصفوني. قلت: وبإسنا منهم أيضاً: الدويحية والفزازية وغيرهم) اهـ.

وقد سكنتها أيضا بطون من ذرية سيدنا أبي بكر الصديق التيمي القرشي، رضي الله عنه، فقد ذكر كلاً من: الشيخ علي بن محمود الخلوتي الاسمنتي في «منحة المجيد على سيف المريد»، والسيد علي عيسى الطنبشاوي في «صفحات ذات معنى في الكلام عن المطاعنة» أن بطوناً من آل أبي بكر الصديق تسكن بالمطاعنة، بقرى: أصفون، طفنيس، الكيمان، الغريرة، وغيرهم[٦١].

---

(٦٠) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط دار الكتاب المصري صـ ١١٩.

(٦١) منحة المجيد على سيف المريد للفقير إلى الودود علي بن محمود الأسمنتي، ط الحسين الإسلامية خلف جامع الأزهر صـ ١٥-١٦، صفحات ذات معنى في الكلام عن المطاعنة لعلي عيسى الطنبشاوي صـ ٨-٩.

وبعد تلك الإطلالة عن تاريخ، وأعراق أصفون، فلنذكر بعض التراجم المختصرة لعدد من علماء قرية أصفون مُرتّبة حسب الوفيات:

١- الصاحب نجم الدين الأصفوني[٦٢]: حمزة بن محمد بن هبة الله بن عبد المنعم الصاحب نجم الدين بن الأصفوني. سمع من الشيخ تقي الدين القشيري، وحضر مجلس إملائه سنة ٦٥٩ هـ بقوص. وتنقل في الخدم الديوانية ثم تولى النظر بمصر أيام المنصور قلاوون.

يقال إن الشجاعي دس عليه أحد عبيده، وكان الصاحب نجم الدين يثقق إليه ويأكل من يده، فأعطاه الشجاعي مائة دينار وقال أشتهي منك أنك تدافع مخدومك عن الأكل حتى يناله الجوع فإذا طلب منك شيئاً يأكله ادفع إليه هذه الكعكة، ففعل ذلك فكانت منيته فيها، ولمّا مات أول ما طلب الشجاعي ذلك العبد وقتله بالمقارع، وأخذ المائة دينار وغيرها منه.

وكان نجم الدين يحب القرآن والحديث، لما مات تطلب الشجاعي أصحابه ومعارفه بكل مكان، وكان من جملتهم شرف الدين محمد النصيبي، فهرب منه مدة ثم كتب إلى الشجاعي هذه الأبيات:

---

(٦٢) الوافي بالوفيات للصفدي، ط إحياء التراث ١٣/ ١١١.

دع عنك عذلي يا عذولي فإن بي ... من فرقة الأحباب ما يكفيني
لا تلح في حزني وفيض مدامعي ... القلب قلبي والجفون جفوني
أنكرت مني غير وقفة ساعة ... والركب مرتحل أبث شجوني
هي وقفة قصرت وطال بلاؤها ... فكأنما هي دولة الأصفوني
يا حمزة بن محمد ألقيتنا ... في ذل أحزان وضيق سجون
لم تمش هونا في الأمور فكلنا ... من شؤم رأيك في عذاب الهون
ما بين مطرود عن الأوطان لا ... يأوي بها حقا وبين رهين
تجني ونؤخذ بالجناية هكذا ... العقلاء مأخوذون بالمجنون

فلما وقف عليها الشجاعي أمّنه وأمره بالظهور ولم يتعرض إليه.

ومن شعر نجم الدين الأصفوني:

ولقد أحن إلى العقيق ويثرب ... وقبا وهن منازل الورّاد
وأحبهن وليس هن منازلي ... وأودهن وليس هن بلادي

وله قصيدة يمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت وفاته سنة ٦٨٢ هـ.

٢- قطنبة الأصفوني[٦٣]: الحسن بن محمد بن هبة الله، شرف الدين قُطنبة بضم القاف والطاء المهملة وسكون النون وبعدها باء ثانية الحروف وبعدها هاء، الأصفوني، شاعر ماجن، خفيف الروح، كان معاصراً لشخص آخر يسمى نبيه الدين عبد المنعم؛ شاعر ماجن. كانا يشبّهان بأبي الحسين الجزار والسراج الوراق.

(٦٣) الوافي بالوفيات للصفدي، ط إحياء التراث ١٢/ ١٥٨-١٥٩، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي، ط الفكر ٢ ٢٣٠-٢٣٢، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني، ط دائرة المعارف العثمانية ٢/ ١٥٣-١٥٤.

صلى قطنبة صلاة عيد الأضحى وإلى جانبه آخر، فلمّا ذكر الخطيب قصة الذبيح بكى ذلك الشخص زماناً طويلاً، فالتفت إليه قطنبة وقال له: ما هذا البكاء الطويل؟ أما سمعته في العام الماضي يقول إنه سلم وما أصابه شيء؟.

واتفق أن وقع بينه وبين أهل بلده، وحضر الأمير علاء الدين حربدار والي قوص وأخميم، فقصد شكواهم فدخلوا عليه فلم يرجع، وكان مع الوالي آيتمش الآمدي الناظر، وكان شيعياً، فلما حضروا عند الأمير قفز قطنبة وقال: يال أبي بكر، فاغتاظ الناظر وأنشد قطنبة:

حديث جرى يا مالك الرق واشتهر	بأصفون مأوى كل من ضل أو كفر
لهم منهم داع كتيس معمم	وحسبك من تيس تولى على بقر
ومن نحسهم لا كثر الله فيهم	يسب أبو بكر ولا يشتهى عمر
فخذ ما لهم لا تختشي من مآلهم	فإن مآل الكافرين إلى سقر

فقال له الناظر: أنت تتشارر ما أنت منهم وصرفهم ولم يحصل له قصده. فقالوا له: ما قلنا لك نصطلح معك ما فعلت؟! فقال: إنا ما عرفت أن هذا المشوم منكم.

وكان قد تزوج بامرأة لها منزل باعه أمين الحكم وخلى من اشتراه له، فتقدم قطنبة إلى الأمير علاء الدين وأنشده:

سبت فؤاد المعنى من تثنيها　　فتانة كل حسن مجمع فيها
إنسية مثل شمس الأفق قد بزغت　　وحشية في نفور خوف واشيها
قهرت بالجانب البحري طائفة　　فول وجهك يا مولاي قبليها
وانزل بأصفون واكشف عن قضيتها　　وكف كف شهود أصبحوا فيها
عندي يتيمة تركي ظفرت بها　　لها من الله جدران تواريها
تعاونوا مع أمين الملك واغتصبوا　　أخفوا وثائق فحوى خطهم فيها
حتى أبيعت عليها نصف حصتها　　ما حيلتي وأمين الحكم شاريها
ما زلت أفحص عن تلك الوثائق يا　　مولاي حتى أبان الله خافيها
وها هي الآن عندي وهي ثابتة　　فامض الولاية فيمن كان يؤذيها

ومات له صاحبان كانا خصيصين به، فقال الشهاب أحمد بن أبي الحسين الأصفوني: ما لقطنبة تأخر عنهما؟ فبلغه ذلك فقال:

ما تأخرت عنكما عن ملال　　غير أني أروم صيد الشهاب
فأنا مثل فارس البحر لا بد　　بظفري أصيده أو بنابي

وكان قد وقع بينه وبين نجم الدين بن يحيى الأرمنتي، فهجاه بقصيدة منها:

يا إلهي أرحتها منه في الحكم　　أرحها من ابنه في الخطابه

فقال له الخفراء يا قطنبة الباسرية[٦٤] — وقيل الياسرية — جاءوا من أرمنت يريدون قتلك، أرسلهم ابن يحيى وما نقدر على ردهم انج بنفسك. فخرج من أصفون ولم يعرف له خبر. وكان ذلك بعد سنة ٧٢٠ هـ طبقاً لقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة».

(٦٤) بحثتُ كثيراً عن «الباسرية» فلم أجد إلا نصًا لأبي العباس القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) في «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» يتحدث عن طائفة من الأكراد يقال لها الباسرية : رجالها رجال حرب، وأقيال طعن وضرب ؛ نزحوا عن بلادهم بعد واقعة بغداد ووفدوا إلى مصر والشام. ولكن لست أدري ألهم علاقة بباسرية أرمنت هؤلاء أم لا؟! (للمزيد انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط العلمية ٤/ ٣٧٤).

٣- علاء الدين الأصفوني[٦٥]: علي بن أحمد بن الحسين علاء الدين الأصفوني، كان ذكياً أديباً حسن الأخلاق. اشتغل بالفقه على الشيخ علاء الدين القفيطي، وتأدّب على ابن الغضنفر الأصفوني، والجلال بن شواق الأسنائي وغيرهما. وكانت له يد في الحساب، ودخل في الخدم السلطانية، وجلس شاهداً بالوراقين بقوص ثم بالقاهرة، وتوفي في شهر رمضان سنة ٧٣١ هـ.

أثنى عليه كمال الدين جعفر الأدفوي من تاريخ الصعيد ثناءً كثيراً، ووصفه بمكارم أخلاق ومحاسن أدوات، قال ولما طلع داود الذي ادعى أنه ابن سليمان من نسل العاضد إلى الصعيد في سنة سبع وتسعين وستمائة، وتحركت الشيعة وبلغ علاء الدين هذا أنه قال لبعض أهل أصفون أنه تحمّل عنه الصلاة ونظم علاء الدين:

ارجع ستلقى بعدها أهوالا لا عشت تبلغ عندنا الآمالا
يا من تجمع فيه كل نقيصة فلأضربن بسيرك الأمثالا
وزعمت أنك للتكالف حامل وكذا الحمار يحمل الأثقالا

ولما ولي السفطي قوص سنة إحدى عشرة وسبعمائة وكان بصره ضعيفاً جداً حتى قيل إنه لا يبصر به، وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيوش قد قام في ولايته، قال علاء الدين:

قالوا تولى الصعيد أعمى فقلت لا بل بألف عين

وقال لما بلغه شعر الشيخ عبد القادر الجيلي وهو:

ما في المناهل منهل يستعذب إلا ولي منه الألذ الأطيب
أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها طرباً وفي العلياء باز أشهب

---

(٦٥) الوافي بالوفيات للصفدي، ط إحياء التراث ٢٠/ ١٢٠، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي، ط الفكر ٣/ ٢٦٠.

فنظم علاء الدين الأصفوني:

أنا قنبر الأحزان أملأ طلحها حزناً وفي السفلى غراب أسود

٤- نجم الدين الأسواني الأصفوني[٦٦]:

الحسين بن علي بن سيد الأهل – وقيل: سيد الكل - بن أبي الحسين بن قاسم بن عمار، الشيخ نجم الدين الأسواني الأصفوني الشافعي، شيخ مدرسة الملك، توفي سنة ٧٣٩ هـ.

وذكر تقي الدين السبكي أن المذكور تجرد مع الفقراء زماناً طويلاً، وكان في وقت فقيهاً في المدرسة الشريفية، فحضر درس قاضي القضاة ابن بنت الأعز فأنشد بعض الناس قصيدة مديحاً في النبي فصرخ هو على عادة الناس، فأنكر القاضي ذلك وقال: أيش هذا؟ فقام وقال: هذا شيء ما تذوقه، وترك المدرسة والفقاهة بها.

ثم أضاف السبكي: وكان يقرىء في كل شيء، في أي كتاب كان، وانتفع به جماعة، وأثنى عليه قاضي القضاة تقي الدين في الفقه. وكان يفتي ويدرس ويقرىء الطلبة وهو وأخوه الحسن والزبير ثلاثة من أهل الخير والتعبد.

وقال فيه الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: هو الحسين بن علي بن سيد الأهل ابن أبي الحسن بن قاسم بن عمار الأسدي، الشيخ نجم الدين الأصفوني المعروف بابن أبي شيخة الشافعي. كان فقيهاً مشاركاً في الأصول والنحو وغير ذلك. سمع من أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، وأبي عبد الله محمد بن عبد القوي، ومن أبي الحسن علي بن أحمد العراقي، والحافظ شرف الدين الدمياطي. وحدث

(٦٦) الوافي بالوفيات للصفدي، ط إحياء التراث ١٣/ ١٦، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي، ط الفكر ٢/ ٢٧٠-٢٧٢، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ط هجر ٩/ ٤٠٩-٤١١.

بالقاهرة، وأخذ الفقه عن أبي الفضل جعفر التزمنتي وغيره. واشتغل عليه الطلبة طائفة بعد طائفة وهو يشغل في غالب العلوم ويفتي، وتولى الإعادة بالمدرسة الشريفية بالقاهرة وغيرها. وأقام مدة بمدرسة الملك يلقي فيها الدروس.

وتجرد مدة مع الفقراء وسافر معهم البلاد وجرى على طريقهم في القول بالشاهد، وأقام بجامع عمرو بن العاص مدة يشتغل ويشغل، وهو قوي النفس حد الخلق مقدام في الكلام، وهو من أهل بيت معروفين بالعلم والصلاح، وتوفي في صفر سنة ٧٣٩هـ.

٥- علم الدين الأصفوني[٦٧]: علم الدين أحمد بن محمد بن عبد العليم المعروف بالأصفوني.

ذكره شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الدَّلْجي المصري (ت ٨٣٨هـ)، فقال: كان رجلاً فاضلاً مشاركاً في علوم متعددة مشاركة جيدة، لكنه كان شرس الأخلاق، مائلاً إلى الحسد، لا تدوم له صحبة مع أحد لاسيما من يرى إقبال الناس عليه من أهل العلم. توفي سنة ٧٤٩ هـ.

٦- أبو القاسم نجم الدين الأصفوني[٦٨]: عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، العلامة نجم الدين أبو محمد وأبو القاسم القرشي الأصفوني المولد والمنشأ، نزيل مكة وعالمها ومفتيها.

وأصفون من عمل القوصية من صعيد مصر، ولد بها في سنة ٦٩٩ هـ، وحفظ القرآن العزيز، وتفقه بالبهاء القفطي بإسنا، وقرأ عليه أيضاً الأصول والعربية

---

(٦٧) الفلاكة والمفلوكون لشهاب الدين الدلجي المصري، ط الشعب – مصر صـ ٧٧.

(٦٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط وزارة الثقافة المصرية ١٠/ ٢٤٨، الوفيات لابن رافع، ط الرسالة ٢/ ١٢٩، السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، ط العلمية ٤/ ١١٤، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني، ط دائرة المعارف العثمانية ٣/ ١٤٣، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٧/ ٢٣٦-٢٣٧، معجم المؤلفين لكحالة، ط إحياء التراث العربي ٥/ ١٩٩، الأعلام للزركلي، ط الملايين ٣/ ٣٤٢.

والفرائض والجبر والمقابلة وغير ذلك، وأذن له في الفتوى والتدريس. وقرأ أيضاً على قاضي قنا محيي الدين يحيى بن صحارى القرشي، وأذن له أيضاً في الفتوى والتدريس. وقرأ القراءات السبع على سراج الدين أبي بكر بن عثمان الشافعي، وسمع الحديث على القاضي عماد الدين محمد بن سالم وغيره، وبرع وأفتى ودرس وأقرأ، وانتفع به كثير.

وحج مراراً آخرها في سنة ٧٣٣ هـ، وأقام بها واستوطنها، وسمع بها من عيسى الحجي، ومحمد ابن الصفي الطبري، وأخيه عثمان، والزين الطبري، وعبد الوهاب الواسطي، والمعظم عيسى الأيوبي، وحدث بها عن عيسى بالأحاديث التساعية والثمانية رواية عمة أبيه مؤنسة خاتون عنها، سمعها منه ابن شكر وأجاز له، وتصدر بمكة إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي الحجة بمنى، وقيل ثاني عشر، سنة ٧٥١ هـ، وقد قارب السبعين سنة، وحمل ودفن بالمعلاة.

وكانت عليه مدار الفتوى بمكة، وصنف عدة تصانيف، من ذلك كتاب اختصر فيه الروضة للنووي، وكتاب مسائل الدورية في الفقه، وهي من طريق الجبر والمقابلة، وكانت له عبادة وأوراد، رحمه الله تعالى.

٧- فاطمة المدعوة حليمة الأصفوني[٦٩]: فاطمة المدعوة حليمة ابنة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القرشي المخزومي الأصفوني، المكية، أم التقي بن فهد، أجاز لها باستدعاء ولدها ابن صديق وجمع، وحدثت. سمع منها ولدها وبنوه؛ وماتت عقب زيارتها النبي -، صلى الله عليه وسلم، في عاشر شعبان سنة ٨٣٧ بمكة ودفنت بالمعلاة.

٨- **ابن فهد الأصفوني**[٧٠]: تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد

(٦٩) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، ط دار مكتبة الحياة - بيروت ١٢/ ٨٨.

(٧٠) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، ط دار مكتبة الحياة - بيروت ٩/ ٢٨١-٢٨٣، البدر الطالع بمحاسن من

بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي الأصفوني ثمّ المكي الشّافعي، عُرِفَ بابن فهد.

ولد في عشية الثلاثاء خامس ربيع الثاني سنة ٧٨٧ ه بأصفون الجبلين من صعيد مصر الأعلى بالقرب من إسنا، وكان والده سافر إليها لاستخلاص جهات موقوفة على أمه: خديجة ابنة النجم الأصفوني، فتزوج هناك بابنة ابن عم جده، واسمها فاطمة ابنة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم القرشية المخزومية، وهي ابنة عم جده لأمه العلامة النجم عبد الرحمن بن يوسف الأصفوني الفقيه الشافعي. فولد له منها هناك التقي أبو الفضل، ثم انتقل به أبوه في سنة ٧٩٥ هـ إلى بلده مكة على طريق القصير في البحر الملح.

فحفظ بها القرآن، ومختصرات، وسمع الكثير على مشايخ بلده والقادمين إليها، وكتب عمن دب ودرج، وكان من جملة من أخذ عنه: المراغي، وأبو اليمن الطبري، وسمع بالمدينة عن أهلها، ودخل اليمن فلقي أكابرها، كالمجد صاحب القاموس، وسمع منه ومن غيره. وبرع في الحديث وفاق أقرانه، وصار المعول عليه في هذا الشأن ببلاد الحجاز قاطبة، وانتفع به الناس.

وألف مؤلفات، منها: الباهر الساطع من سيرة ذي البرهان القاطع، وفي سيرة الخلفاء والملوك في مجلدين، وكذا في أذكار الكتاب والسنة، والمطالب السنية العوالي بما لقريش من المفاخر والمعالي، وبهجة الدماثة بما ورد في فضل المساجد الثلاثة، وطرق الإصابة بما جاء في فضائل الصحابة، وتحفة العلماء الأتقياء بما جاء في قصص الأنبياء، وتأميل نهاية التقريب وتكميل التهذيب؛

بعد القرن السابع للشوكاني، ط المعرفة – بيروت ٢/ ٢٥٩، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، ط العلمية ١/ ٤٧، معجم المؤلفين لكحالة، ط إحياء التراث العربي ١١/ ٢٩١، الأعلام للزركلي، ط الملايين ٧/ ٤٨.

جمع فيه بين تهذيب الكمال ومختصريه للذهبي وابن حجر، والأشراف على جميع النكت الظراف، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف في ثلاث مجلدات، وذيل على طبقات الحفاظ. ومات يوم السبت سابع ربيع الأول سنة ٨٧١ بمكة المكرمة، عن أربع وثمانين سنة. ومن نظمه:

قالت حبيبة قلبي عندما نظرت   دمــوع عينـي علـى الخـديـن تستبق
فيما البكاء وقد نلت المنى زمنا   فقلـت خـوف الـفـراق الـدمـع يندفق

جملة من علماء آل الصديق بسهرورد وآخرين

سُهْرَوَرْد: بضم أوَّله، وسكون ثانيه، وفتح الراء والواو، وسكون الراء، ودال مهملة، هي بلدة قريبة من «زنجان» بالجبال، هكذا وصفها ياقوت الحموي في معجم البلدان.

وهي مدينة غلب عليها الأكراد، تقع في عراق العجم عن يمين نهر "الزاب الصغير" - والزاب الصغير نهر ينبع في شمال غربي إيران، ويمتد للعراق - والنسبة إلى سُهْرَوَرْد هي: "سُهْرَوَرْدي". وتحدَّثنا كتبُ التراجم عن كثير من العلماء ممن تلقَّبوا بالسُّهْرَوَرْدي، ومنهم علماء من سلالة سيدنا أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أشهرهم: أبو النجيب عبدالقاهر السُّهْرَوَرْدي البكري، وابن أخيه أبو حفص عمر السُّهْرَوَرْدي، وهما من مشاهير وأكابر علماء الصوفية.

فلنلقِ نظرة على سيرة موجزة ومختارة لمشاهير العلماء السُّهْرَوَرْديين، ولنبدأ بعلماء بيت أبي بكر الصديق، رضي الله عنه:

أبو النجيب السُّهْرَوَرْدي: عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد بن عَمُّوَيْه بن عبدالله بن السُّهْرَوَرْدي، الصوفي الزاهد، الفقيه الإمام الجليل، من هداة الدين، وأئمة المسلمين، وهو إمام من أئمة الشافعية، وعلم من أعلام الصوفية، كان من أهل سُهْرَوَرْد، ثم قدم بغداد وتفقه وتعلم بها، ولد سنة ٤٩٠ هـ، وتوفِّي سنة ٥٦٣ هـ.

أبو حفص عمر السُّهْرَوَرْدي: عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عَمُّوَيْه بن عبدالله بن السُّهْرَوَرْدي، أبو حفص، وأبو عبدالله، الصوفي الواعظ، ابن

أخي الشيخ أبي النجيب، فقد قتل والده وعمره ٦ شهور، فنشأ في حجر عمه أبي النجيب، وقدم معه من سُهْرَوَرْد إلى بغداد، وعنه أخذ التصوف والوعظ، ولد سنة ٥٣٩ هـ، وتوفي سنة ٦٣١ هـ.

عبداللطيف بن عبدالقاهر السُّهْرَوَرْدي: عبداللطيف بن عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد بن عَمُّوَيْه السُّهْرَوَرْدي الأصل، البغدادي، أبو محمد، ابن الشيخ أبي النجيب الفقيه، تفقَّه على أبيه، ورحل إلى خراسان، ولقي العلماء، وحدَّث بأطراف الشام والساحل، وكان كثير التنقل في البلاد، ولد سنة ٥٣٤ هـ، وتوفي بإربل سنة ٦٠٤ هـ.

عبدالرحيم بن عبدالقاهر السُّهْرَوَرْدي: عبدالرحيم بن عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد بن عَمُّوَيْه السُّهْرَوَرْدي، تفقَّه على أبيه، ودرَّس بمدرسته، وسمع الحديث ووعظ، رحل إلى بيت المقدس، وتوفي بدمشق في الطريق إليها سنة ٥٦٧ هـ.

عبدالملك السُّهْرَوَرْدي: عبدالملك بن محمد بن عَمُّوَيْه السُّهْرَوَرْدي، أخو عمر، وكان أصغر منه، وعم الشيخ أبي النجيب، ذكر يوسف بن محمد بن مقلد الدمشقي أنه رآه ببغداد، وكان صالحًا زاهدًا، وأنه عمِّر سبعًا وسبعين سنة.

أبو عبدالله الصوفي السُّهْرَوَرْدي: محمد بن أعز بن عمر بن محمد بن عبدالله بن سعد البكري أبو عبدالله الصوفي السُّهْرَوَرْدي، البغدادي الدار، من أبناء المشايخ، ولد سنة ٥٢٧ هـ، وتوفي سنة ٦٠٧ هـ.

أسعد بن أعز السُّهْرَوَرْدي: أسعد بن محمد بن أعز السُّهْرَوَرْدي البغدادي الدار، من بيت مشهور بالتصوف، ولد سنة ٥٤٧ هـ، وتوفي سنة ٦١٤ هـ.

يحيى بن أعز السُّهْرَوَرْدي: يحيى بن عبدالله بن أعز بن عمر السُّهْرَوَرْدي أبو زكريا، توفي سنة ٦١٦ هـ.

علمـاء آخـرين مــن سُهْـرَوَرْد:

شهاب الدين يحيى السُّهْرَوَرْدي (فيلسوف الإشراق): يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، السُّهْرَوَرْدي، فيلسوف، ولد في سُهْرَوَرْد، ونشأ بمراغة، وسافر إلى حلب، فنسب إلى انحلال العقيدة؛ فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنقه في سجنه بقلعة حلب، ولد سنة ٥٤٩ هـ، وتوفِّي سنة ٥٨٧ هـ.

ومن تصانيفه: التلويحات في الحكمة، التنقيحات في أصول الفقه، حكمة الإشراق، هياكل النور في الحكمة، والألواح العمادية.

أبو الليث السُّهْرَوَرْدي: أبو الليث جوّه شير بن محمد بن عبدالعزيز الزنجاني السُّهْرَوَرْدي، فقيه صالح، مُناظِر، من أهل سُهْرَوَرْد، توفِّي في قرابة عام ٥٤٠ هـ.

أبو الحسن السُّهْرَوَرْدي: علي بن أحمد، أبو الحسن السُّهْرَوَرْدي، شيخ محدث فاضل.

أبو القاسم عبدالعزيز بن علي بن الحسن السُّهْرَوَرْدي: محدِّث.

أبو الحسين أحمد بن عيسى الصايغ السُّهْرَوَرْدي: محدِّث.

أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الحداد السُّهْرَوَرْدي الدينوري: محدِّث.

أبو عمرو عبدالله بن بُنْدَار بن عبدالله الصوفي السُّهْرَوَرْدي: العالم الصوفي.

أبو القاسم عبدالله بن الحسين بن محمد السُّهْرَوَرْدي الأسدي: محدِّث.

زين الدين الأعرابي بن عمر السُّهْرَوَرْدي: صوفي.

المصادر والمراجع:

- المسالك والممالك؛ للاصطخري صـ ٢٠٠.
- صورة الأرض؛ لابن حوقل جـ ٢، صـ ٣٦٩.
- معجم البلدان؛ لياقوت الحموي جـ ٣، صـ ٢٨٩.
- تاريخ بغداد؛ وذيوله ط العلمية جـ ١٥، صـ ٢٨٧، و(جـ ١٥، صـ ١٦، و١٤٣، و٢٦٢، و٣٨٢)، و(جـ ١٦، صـ ٧٥ و١٢١)، و(جـ١٨، صـ ١٢٨).
- التحبير في المعجم الكبير؛ للسمعاني جـ ١، صـ ١٧٢.
- طبقات الشافعية الكبرى؛ للسبكي جـ ٧، صـ ١٧٤.
- طبقات الشافعيين؛ لابن كثير جـ ١، صـ ٨٣٥.
- طبقات الأولياء؛ جـ ١، صـ ٢٦٢.
- الأعلام؛ للزِّرِكلي جـ ٨، صـ ١٤٠.
- معجم المؤلفين؛ جـ ١٣، صـ ١٨٩.
- تاريخ الإسلام؛ جـ ١٢، صـ ٣٠٠.
- يتيمة الدهر؛ جـ ٤، صـ ٤٧٩.
- تاريخ إربل؛ جـ ٢، صـ ١٥٤.
- معجم السفر؛ جـ ١، صـ ١٦٠.
- تاريخ دمشق؛ لابن عساكر (جـ ١٤، صـ ٣١)، و (جـ ٣٥، صـ ٨٣)، و(جـ ٤١، صـ ٢٢٤).
- نزهة الألباء في طبقات الأدبا؛ جـ ١، صـ ٢٧٥.
- أُسْد الغابة؛ ط العلمية جـ ٥، صـ ١٧٠.

فـائدة مـن الهجـرة والوصيـة

يقول الإمام محمد بن القاسم الرسّي الحسني الطالبي – رحمه الله – في «الهجرة والوصية»: إن القرى والمدن تجمع وتضم من رذالات الأجناس، وحشو سفساف الناس، وسقاط العجم وشرارهم، فيجتمعون ويختلطون غرباء عن أوطانهم وبلدانهم، فمنهم من هو مملوك مرقوق، ومنهم من هو غير مملوك وهو لئيم الأصل، قليل الحياء للمجون والدناءة والجفاء والمروق والعتاوة والفسوق، فقد اختلطوا وماج بعضهم في بعض، حلوا بالشرور لقلة الحياء، ولؤم الأمهات والآباء، ولأن بعضهم لا يعرف بعضاً، جميع القرى في الأرض ومن اختلط بهم، فمن كان له أصل أو نسب من قريش والعرب، أو من له حرية نفس من العجم، أو من كرام أجناس الأمم، فلغلبة من ذكرنا من القرى من سقاط الناس ورذالة الأمم والأجناس قد غمر هؤلاء في كثرتهم، وقلوا وصار العدد والمال واليسر في الرذالة والسفل، وافتقد كل من له حرية، وقل عددهم، وصار من له أصل ودين بين هؤلاء الذين ذكرنا قد خمل وذل، لأن الغلبة في الدنيا الدنية وهذه الدار الأولى من الدنيا الدنية إنما هي للحشو الأكثر في العدد، ولا سيما إذا لم يكن لسلاطين الحق والعدل على السفساف والرعاع بحكم الله يد.

الأعرابية التي كذبت على الكعبة فى الحرم

يَذكر «إبراهيم رفعت باشا» ما رآه لبعض ما يصدر من العربان ونسائهم وقت الطواف، فإحرامهم عبارة عن كشف أذرعهم ورؤوسهم، وباقي جسدهم مستور، وشعرهم منثور، غير منتظم، وأكثرهم شعرهم طويل مضفور، أشبه بشعور النساء في مصر، أما نساؤهم فمحتجبات لا يكاد يبدو منهن شيء.

والرجل منهم يقول في طوافه: "يارب البيت اشهد أني جيت، لا تقول ما جيت، واغفر لي ولوالدي، وإلا تغفر لي غصباً وتغفر لي تراني حجيت". ويقول ذلك بصوت جهوري مزعج ويسرع في مشيه في الطواف والسعي، ويأخذ الرجل بيد زوجته، أو أخته، أو أمه، ويسرع بها في السير إلى أن يصل إلى "الحجر الأسود" ويرفعها ويضع رأسها في تجويف الحجر، وهي تمسح وجهها وشعرها، ويقول لها: "حجي يا مره حجي". وتقبيل الحجر عندهم فريضة لازمة، لا يتركونه، ولو ماتوا دونه. ومن كثرة دخول رؤوس العربان إلى الحجر الأسود حدث به خدش أُصلِح فيما بعد.

ويحكي"إبراهيم باشا" أنّه سمع حوارًا اثنتين من نساء العربان قالت إحداهما للكعبة: "يا ست ليلة (تقصد الكعبة لسواد كسوتها) إن كان جاتنا المطر في ديارنا، وجدنا الخير، أجيب لك عكيمة سمن "قِربة صغيرة" تدهني بها شوشتك". حيث كان العربان يزعمون أن الكعبة امرأة تدهن رأسها». فقالت المرأة الثانية: "حقيقة تجيبي لها؟" فقالت الأولي: "اسكتي أنا عماله أكذب عليها إذا جتنا المطر ما جيت".

نقلاً عن: الرحلات الحجازية لقومندان حرس المحمل - اللواء إبراهيم باشا رفعت.

فُتِنَ الشَعْبي لَمّا رَفع الطرف إليها

حفلت كتب الأخبار والسير والتواريخ بحكايات الإمام عامر بن شراحيل الشَعْبي، وهو تابعي جليل من أهل الكوفة، ويعود نسبه إلى «شعب» أحد بطون قبيلة همدان من اليمن. ويُحدّثنا ابن الأثير الجزري (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) في «اللباب» عن قوم ونسب الإمام الشعبي - ناقلاً عن الجوهري – فيقول: شعب جبل باليمن وهو ذو شعبين، نزله حسان بن عمرو الحميري وولده فنسبوا إليه، فمن كان منهم بالكوفة يقال لهم شعبيون منهم عامر الشعبي الفقيه، ومن كان منهم بالشام يقال لهم شعبانيون، ومن كان منهم باليمن يقال لهم آل ذي شعبين، ومن كان منهم بمصر والمغرب يقال لهم الأشعوب. وتوفي الإمام الشعبي سنة ١٠٩ هـ وقيل سنة ١٠٥ هـ وقيل سنة ١٠٤ هـ.

كان الإمام الشعبي عالماً ورعاً وفقيهاً وقاضياً، وُلّي القضاء من قِبَل عبد الملك بن مروان الأموي، ومما كان من أمره – كما يُروى - أن بعثه عبد الملك بن مروان إلى الروم رسولاً، فأدخلوه على الملك من باب منخفض حتى يكون منحنياً مطأطئ الرأس – أمام ملك الروم - وقت أن يدخله، ففطن الشعبي لمكرهم، فدخل الباب متقهقراً للخلف وأعطى ظهره لملكهم، فلما رأى ملك الروم كمال عقله وحسن جوابه وخطابه قال له: أمن بيت الخلافة أنت؟ قال: لا، أنا رجل من العرب. فكتب إلى عبد الملك: عجبت من قوم عندهم مثل هذا الرجل وولوا غيره أمرهم! فقال عبد الملك للشعبي: حسدني عليك أراد أن أقتلك!

أما الحكاية الأشهر عن إمامنا الشَعْبي، هي حكايته مع أم جعفر أو أسماء بنت عيسى بن جراد الكلابية، وكانت من أجمل النساء، عندما أتته تختصم أحد

الأشخاص – ويُقال بل اختصمت زوجها - إبان تولي الشعبي القضاء بالكوفة بالعراق، وكان عليها كساء خز أسود جميل زادها حُسناً على حُسنها، ولمّا رأى الشعبي قوة حجتها وضعف حجة خصمها، قضى لها. وهنا غضب الرجل – زوجها– وكان شاعراً، فأنشأ يقول قصيدته الشهيرة، التي انتشرت كالبرق في العراق والشام، والتي قيل إن الإمام الشعبي استقال من القضاء بسببها:

فُتِنَ الشعبيُّ لمَّا	رفعَ الطَّرْفَ إليها
فتنته حين ولَّت	ثمّ هزَّت منكبيها
فتنته بقوام	وبخطَّي حاجبيها
وبنانٍ كالمداري	وبحُسن معصميها
من فتاةٍ حين قامت	رفعت مأكمتيها
كيف لو أبصر منها	نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه	ساجداً بين يديها
قال للجلواز: قدّمها	وأحضر شاهديها
فقضى جوراً علينا	ثم لم يقض عليها
بنتِ عيسى بن جرادٍ	ظُلِم الخصم لديها
ما على الشعبي لم يُوفِّ	الذي كان عليها

ويخبرنا ابن عبد ربه (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ) في «العقد الفريد» وكذا زكريا بن محمد القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) في «آثار البلاد وأخبار العباد» أنه بعد هذه الحادثة وَفَد الشعبي على عبد الملك بن مروان، فلما رآه عبد الملك ابتسم له وقال يمازحه:

فتن الشّعبيّ لمّا	رفع الطرّف إليها

ثم قال: ما فعلت بقائل هذه القصيدة؟ فقال الشعبي: أوجعت ظهره ضرباً يا أمير المؤمنين لِما هتك حرمتي في مجلس الحكومة وبما افتري به عليّ!، فقال: أحسنت!

وذكر أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) في «نثر الدر» عن ابن أبي ليلى أنه قال: انصرفت مرة مع الشعبي من مجلس القضاء أنا وجرير بن يزيد - وهو يمشي بيننا - فمررنا بخادمة سوداء تغسل ثوباً في إجان على باب دار، وهي تقول: (فتن الشعبي لما... فتن الشعبي لما) وتكرره، فلما رأته سكتت، فقال الشعبي: (رفع الطرف إليها)، وقال: أردت أن يخرج اسمي من فمها. وزاد الزمخشري (المتوفى سنة ٥٨٣ هـ) - في «ربيع الأبرار» - على هذه الرواية قول الشعبي: (أبعده الله، أما إنا ما قضينا إلا بحق).

وقد بحثت عن سيرة وافية لهذا الشاعر فلم أجد إلا النذر اليسير من أخباره، ومنها بيان نسبه؛ إذ ذكره أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ) في «أنساب الأشراف» عند حديثه عن بني أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان، فقال: ومنهم هذيل بن عبد الله بن سالم بن هلال بن الحراق بن زبينة بن هلال بن عيش بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع، وهو الذي هجى الشعبي.

وذكره المرزباني (المتوفى ٣٨٤ هـ) في «معجم الشعراء» وذكر بعض أشعاره في هجاء القضاة مثل الشعبي، وعبد الملك بن عمير، وابن أبي ليلى، ومن شعره:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها طريق المصنع
فإذا صنعت صنيعة فاعمد بها لله أو لذوي القرابة أودع

وقــولــه:

ولم أر ذا عسـر يـدوم ولا أرى   مكـان الغنـى إلا قـريبـاً مـن الفقر

فإن يك عـاراً ما أتيت فربما أتى   المـرء مـا يخشاه مـن حيث لا يـدري

وذكره أيضاً الزمخشري في «ربيع الأبرار» ولكنه لم يزد أن ذكر اسمه، فقال (هذيل الأشجعي). وكذا ذكر الأبشيهي (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) في «المستطرف» مثله.

وذكر الراغب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢ هـ) في «محاضرات الأدباء» أن قائل هذه القصيدة هو الشاعر المتوكل الليثي.

ووصف وكيع (المتوفى سنة ٣٠٦ هـ) في «أخبار القضاة» هذا الرجل الشاعر بـ «البارقي» بل وفي موضع آخر ذكر أنه الشاعر «ابن عبدل»!، وذكر غير واحد أيضاً أن «البارقي» هو قائل الأبيات.

وأقول: الأشهر أن قائلها هو زوج ابنة عيسى بن جراد وهو هذيل الأشجعي، والله أعلم بالصواب.

أما أم جعفر أو أسماء بنت عيسى بن جراد هذه، فلم أعثر لها على ترجمة وافية، ولا أعلم عنها غير خبرها مع الشعبي ونسبها، إذ إنها من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وقد ذكر ابن ماكولا (المتوفى سنة ٤٧٥ هـ) في «الإكمال» أنها ابنة عيسى بن جراد بن جعدة بن علس بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب.

المــراجــع:

١- آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني صـ ٤٨-٤٩.

٢- أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٤١٦-٤١٩

٣- الإكمــال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا ٦/ ٩٥.

٤- أنساب الأشراف للبلاذري ١٣/ ٢١٥.

٥- الأنساب للسمعاني ٨/ ١٠٧.

٦- تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥/ ٤٠٥-٤٠٨.

٧- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري ٤/ ٣٢١.

٨- سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٣١٣.

٩- العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٨٣.

١٠- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ٢/ ١٩٨.

١١- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني ١/ ٢٥١.

١٢- المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي صـ ١١٠.

١٣- معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/ ١٤٧٧.

١٤- معجم الشعراء للمرزباني صـ ٤٨٢.

١٥- نثر الدر في المحاضرات ٢/ ١١٠.

١٦- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٤/ ٩.

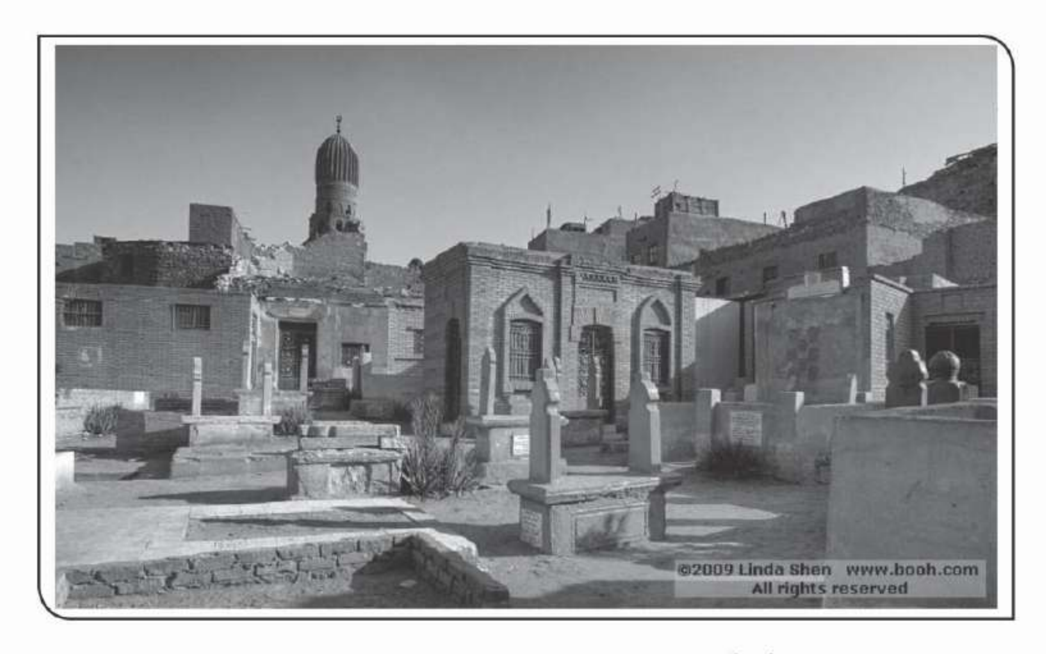
زنده بكور: الحي الميت!

حكاية من العجائب، وقعت في بلدة «كنك» ببلاد فارس، مع الشيخ أبي النور حسن المدني وهو من أولاد الإمام موسى الكاظم الحسيني، ووالدته من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني.

جاء أن بعض أهالي قرية «كنك» هذه كانوا يضايقون الشيخ حسن المدني حسداً منهم، وذات مرة جاءوا برجل حي، زعموا أنه ميت، ووضعوه في كفن وحملوه على أكتافهم، ثم وضعوه على الأرض أمام الشيخ في المسجد الذي يصلي فيه، فأدرك الشيخ الأمر، وسألهم: هل أصلّي على حي أم ميت؟ فأجابوا: من المؤكد أن أحداً لا يصلي صلاة الجنازة على حي، وهذا ميت والصلاة عليه فرض. وبعد تكرار هذا الكلام نهض الشيخ وصلّى على هذا الرجل صلاة الجنازة، وهنا ضحك أولئك القوم، ونادوا على الرجل لينهض بعد أن انتهت اللعبة، ولكنه لم يتحرك، فأخرجوه من الكفن فوجدوه قد مات، فانقلب ضحكهم إلى بكاء وعويل، وأخذوا يتوسلون إلى الشيخ، والشيخ يجيبهم: إنني لست عيسى فأحيي الموتى، فقد كان التقصير منكم، ثم أخذ يتلوا الآية الكريمة (ومكروا مكراً والله خير الماكرين)، لا ذنب لي، فقد سألتكم مراراً هذا حي أم ميت؟ فأصررتم أنه ميت، والآن قد نفذ القضاء، وليس من علاج ولا تدبير إلا أن تدفنوه، وأن تطلبوا له الرحمة، وأن تتركوا وتتوبوا عن هذا الأعمال. ثم بعد ذلك تحول اسم قرية كنك هذه إلى اسم «زنده بكور» وهي تعني (حي إلى القبر)، تخليداً لهذه الحادثة العجيبة.

• بتصرُّف عن: أحداث ووقائع ومشايخ (بستك وخنج ولنجة ولار) صـ ٢٥-٢٦، تأليف: محمد أعظم بني عباسيان بستكي، ترجمة وتعليق: د. محمد وصفي أبو مغلي، مؤسسة الأيام للصحافة: المنامة - البحرين ١٩٩٣ م.

إنها مدافن ومقابر.. وليست قرافة!



يكاد يكون من المُسلَّمات في مصر أن القرافة هي المقابر والمدافن والتُّرَب "نِسبة إلى تربة الأرض"، ولكن الأمر ليس كما نتخيله!

تذكر المصادر التاريخية أن أحد قبائل اليمن تسمّى (بنو قرافة)، وهُم بطن من قبيلة المعافر الكهلانية القحطانية، التي قدمت مصر زمن الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أثناء الفتح، وكان من حظها أن اختيرت ديارها لتكون موضعاً لدفن الموتى، وفيما بعد أصبحت (مقبرة بني قرافة) من أكبر مدافن مصر، حتى أصبح اسمها (القرافة) مرادفاً لكلمة (مقبرة)، يرحم الله سكان القرافة حيّهم وميتهم!

فيذكر شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) في "معجم البلدان" أن القرافة هي: (خطة بالفسطاط من مصر

كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعافر، وقرافة: بطن من المعافر نزلوها فسمّيت بهم، وهي اليوم مقبرة أهل مصر، وبها أبنية جليلة ومحالّ واسعة وسوق قائمة، ومشاهد للصالحين، وترب للأكابر، مثل ابن طولون والماذرائي تدلّ على عظمة وجلال، وبها قبر الإمام أبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي) اهـ. وعنه نقل تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥ هـ) في «المواعظ والاعتبار»[٧١].

ويذكر شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري النويري (ت ٧٣٣ هـ) في «نهاية الأرب في فنون الأدب»: (معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث ابن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب؛ وإليه ترجع المعافر في أنسابها، ولهم خطة بمصر، ومنهم فخذ بنى قرافة وهى أمّهم: وهم الذين عرفت بهم القرافة بمصر، ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقرافة؛ وهم بنو عضّ بن سيف بن وائل بن الحرىّ بن المعافر بن يعفر). وعنه نقل عمر رضا كحالة في «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة»[٧٢].

وقد أخبرني أحد الكرام من المُلمّين باللغة الإنجليزية أن كلمة Grave الإنجليزية والتي هي اختصاراً لكلمة Graveyard وهي تعني المقبرة أو المدفن، ونلاحظ هنا تشابهها الشديد في النطق، حيث تُنطق "جراف أو قراف" وهي تكاد تكون متطابقة مع كلمة "قرافة"، ولعل هذه الكلمة العربية "قرافة" دخلت للغة الإنجليزية ككلمة مرادفة لكلمة المقبرة أو المدفن، والله أعلم.

(٧١) انظر: معجم البلدان، ط دار صادر ٤/ ٣١٧، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط العلمية ٤/ ٣٢٩.

(٧٢) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط دار الكتب والوثائق القومية المصرية ٢/ ٣٠٣، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط الرسالة ٣/ ٩٤٣.

حقيقة تاريخية : مسجد أبي بكر بمكة هو أول مساجد الإسلام وليس قباء!



حقيقة تاريخية، واضحة جليّة، قد تَغِيب عن كثير من الناس، مفادها أن أقدم وأول مسجد بُني في الإسلام لم يكن مسجد قباء، كما هو مشهور!، وإنما مسجد آخر، أقدم وأصغر؛ مسجد بناه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، بفناء بيته بمكة المكرمة قبل الهجرة!

إن مما تعارف عليه الناس خلفاً عن سلف، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام؛ أن أول مسجد بُني في الإسلام "مسجد قباء"، الذي شُيِّد في مطلع العام الهجري الأول، بعد قدوم النبي، صلى الله عليه وسلم، – وصاحبه أبي بكر

الصديق إلى المدينة المنورة ونزولهما بقباء.

غير أنني حينما تأملت سيرة الصديق أبي بكر -رضي الله عنه – وأمعنتُ فيها التدقيق؛ دهشت إذ علمت أن هناك مسجداً آخر أقدم من مسجد قباء!، مسجد بمكة المكرمة، بخطة بني جمح القرشيين، وبالتحديد بفناء دار أبي بكر الصديق الذي كان يسكنه هناك وسط ديار الجُمحيين قبل الهجرة النبوية، فقد كان للصديق بمكة داران، إحداهما بخطة قومه بني تيم بن مرة "ولعله الذي تركه لأبيه أبا قحافة"، والآخر بمنازل بني جمح، وهو الذي خرج منه النبي، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه في رحلة الهجرة.

تحدثت المراجع التاريخية بكثرة عن ذلك (المسجد البكري الصديقي المكي)، المسجد الصغير حجماً، الكبير قدراً وأثراً. وممن ذكر أمر "مسجد أبي بكر الصديق" هذا:

أولاً: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في صحيحه، حيث قال[٧٣]: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، وقال أبو صالح: حدثني عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة، رضي الله عنها، قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، طرفي النهار، بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً قِبَل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني

---

(٧٣) صحيح البخاري، ط دار طوق النجاة ٢/ ٩٨.

قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض، فأعبد ربي، قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يُخرَج ولا يَخرُج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلادك.

فارتحل ابن الدغنة، فرجع مع أبي بكر، فطاف في أشراف كفار قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟، فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة، وآمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر، فليعبد ربه في داره، فليصل، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بالصلاة، ولا القراءة في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز، فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكّاء، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره، وإنه جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأته، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر، فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلى ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب، أني أخفرت في رجل عقدت له، قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله.

ثانياً: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت ٢١١ هـ) في مصنفه[٧٤].

ثالثاً: أبو بكر أحمد العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢ هـ)، في مسنده[٧٥].

رابعاً: أبو حاتم محمد بن حبان الدارمي التميمي (ت ٣٥٤ هـ) في صحيحه[٧٦].

خامساً: أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) في حلية الأولياء[٧٧].

سادساً: قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الطلحي القرشي الأصبهاني (ت ٥٣٥ هـ) في سير السلف الصالحين[٧٨].

سابعاً: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) في تاريخ دمشق[٧٩].

ثامناً: أبو العباس محب الدين الطبري (ت ٦٩٤ هـ) في الرياض النضرة في مناقب العشرة[٨٠].

تاسعاً: شمس الدين ابن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في كلاً من: سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام[٨١].

عاشراً: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المعروف بالحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في البداية النهاية، إلا أنه نقل عن ابن إسحاق بسنده عن عائشة، أن ابن الدغنة ليس سيد القارة إنما هو «أخو بني الحارث بن بن بكر

---

(٧٤) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ط المجلس العلمي - الهند ٥/ ٣٨٤.

(٧٥) مسند البزار، ط مكتبة العلوم والحكم ١٨/ ١٨٩.

(٧٦) صحيح ابن حبان، ط الرسالة ١٥/ ٢٨٥.

(٧٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط السعادة - مصر ١/ ٢٩.

(٧٨) سير السلف الصالحين، ط دار الراية - الرياض صـ ٥٤.

(٧٩) تاريخ دمشق لابن عساكر، ط الفكر ٣٠/ ٧٦-٧٧.

(٨٠) الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط العلمية ١/ ٩٦-٩٧.

(٨١) سير أعلام النبلاء، ط الحديث ١/ ٢١٢، تاريخ الإسلام ت بشار، ط الغرب الإسلامي ١/ ٦٧٠-٦٧١.

بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش». قلت: هذا غلط واضح.

كما أنه أفاد بكون موضع دار أبي بكر ذاك كان بخطة بني جمح وليس بديار التيميين قومه[٨٢]. وتلك عشرة كاملة، نسأل الله أن يكون فيها الكفاية.

تتمة وحديث ذو شجون!

إن مما ينبغي ذكره أنه بمكة المكرمة مسجد مبنيّ مكان بيت أبي بكر الصديق الذي بخطة بني جُمح، فكان هذا المسجد امتدادًا زمانياً ومكانيًا للمسجد القديم الذي ابتلع بقية بيت أبي بكر الصديق، البيت الذي كان بفنائه أول مساجد الإسلام قاطبة، المسجد الذي بناه سيدنا أبو بكر الصديق في زمان كان الإسلام فيه ضعيفاً، ولم يك أحد يجرؤ يُصلّ لله علانية ببطحاء مكة، مسجد بناه الصدّيق، القوي في دينه، الضعيف في بدنه؛ مُغالباً فيه وبه كفار مكة أجمعهم، وداعياً فيه ومنه إلى الله، ومُستبدلاً به جوار ابن الدغنة سيد القارة بجوار الله رب العالمين سبحانه.

ولهذا المسجد أشباه ونظائر، منها مساجد القبائل والعشائر، الكبيرة منها والصغيرة، فقد جاءت في الحديث الشريف تلك التسميات:

ففي صحيح البخاري: مسجد بني زريق، مسجد بني سالم، مسجد عبد القيس، مسجد الشجرة، مسجد بني رفاعة.

وفي صحيح مسلم: مسجد دار أبا سلمة، مسجد بني زريق.

وهذا المسجد البكري تنطبق عليه شروط أن يكون مسجداً!، فهو مكان مخصص بعينه للصلاة والسجود، مُمهّد الأرض، مُحاط ببناء (تقول عائشة: فابتنى بفناء داره مسجداً)، يُؤدّي الصلاة فيه جماعة، فبيت أبي بكر الصديق

(٨٢) البداية والنهاية، ط إحياء التراث ٢/ ١١٧-١١٨.

كان بيت من بيوت الإيمان الخالصة، ففيه من المؤمنين «قبل الهجرة»: (أبو بكر الصديق، أم الخير سلمى بنت صخر والدة أبي بكر، أم رومان زوجته، عبد الله بن أبي بكر، أسماء، عائشة) هؤلاء ستة أفراد، وربما كان سابعهم عامر بن فهيرة «راعي غنم أبي بكر». فإذن هذا المسجد نرى أنه قد توافرت فيه شروط كونه مسجداً، فهو أول مسجد في الأرض يُبنى بعد بعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وعند أهل اللغة أن المسجد هو المكان المخصص للسجود والصلاة «بيت الصلاة»، وهو «محراب البيت» المخصص لصلاة أهل كل بيت، وهو مُصلّى الجماعات:

فيقول أبو منصور الهروي (ت ٣٧٠ هـ) في تهذيب اللغة[٨٣]: (فأمّا المَسْجَدُ منَ الأَرْض فموضعُ السُّجودِ نفسُه. وروى أَبُو الْعَبَّاس عَن ابْن الْأَعرَابِي قَالَ: مَسْجَدٌ بِفَتْح الْجِيم: مِحْرَابُ الْبيُوت، ومُصَلّى الجماعات: مَسْجِدٌ بِكَسْر الجيم، والمَسَاجِدُ: جَمعُهُما. والمَسَاجِدُ أَيْضا: الآرَابُ الَّتِي يُسْجَدُ عَلَيْهَا) اهـ.

وذكر أبو الحسن علي ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في المحكم والمحيط الأعظم[٨٤]: (المَسْجِد: الْموضع الَّذِي يُسْجَد فِيهِ. وَقَالَ الزّجاج: كل مَوضِع يتعبد فِيهِ فَهُوَ مسجِد أَلا ترى أَن النَّبِي، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «جعلت لي الأَرْض مسجِداً وطَهوراً» وَقَوله عز وَجل: (ومن أظلم مِمّن مَنَع مَسَاجِد الله) اهـ. وكذا ذكر مثله جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١ هـ) في لسان العرب.

ويذكر محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) في تاج العروس[٨٥]: (والمسجد بكسر الجيم: أي موضع السجود نفسه. وفي كتاب «الفروق» لابن بري: المسجد: البيت الذي يسجد فيه، وبالفتح: موضع الجبهة. وقال الزجاج: كل موضع يتعبد

(٨٣) تهذيب اللغة، ط إحياء التراث ١٠/ ٢٠١.

(٨٤) المحكم والمحيط الأعظم، ط العلمية ٧/ ٢٦١، لسان العرب، ط دار صادر ٣/ ٢٠٤

(٨٥) تاج العروس من جواهر القاموس، ط دار الهداية ٨/ ١٧٤

فيه فهو مسجد، «ويفتح جيمه». قال ابن الأعرابي: مسجد، بفتح الجيم، محراب البيت ومصلّى الجماعات) اهـ.

خاتمة: إلا أنّه قد تم تهديم هذا المسجد في التوسعات الكبيرة للحرم المكي، وحالياً بُني في موضعه أحد أبراج فندق هيلتون العالمي، المجاور لمبنى برج الساعة، قبالة الركن اليماني، وسمعت أنه تم إنشاء مسجد يحمل اسم (مسجد أبي بكر الصديق) بالطابق الأرضي بأحد أبراج الفندق هذا، وفي نفس موضع مسجد وبيت أبي بكر الصديق. فرضي الله عنك يا صاحب نبينا، صلى الله عليه وآله وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قطـوف مـن أرشيـف دار الوثائق القومية

خلال شهور قلائل قضيتها باحثاً بدار الوثائق القومية المصرية، وقعت عيني على جملة من الفوائد والروائع، قطفتها، ثم آثرت نشر بعض ما جمعته منها هاهنا بالكناش، في فصل خاص بها.

(١) دراويش على باب الله!

أعجبني ذوق وأدب الرجل الذي قام بحصر أنفُس منطقة «بين الحارات» التابعة لحي الأزبكية، بتعداد نفوس سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م في أواخر عهد محمد علي باشا. إذ كان يُذكر بالتعداد حينها اسم المُقيم، أو النزيل، ولقبه، وعمله، وأصله الذي قدم منه، وعندما مر على سكنٍ لبعض الفقراء المساكين، ذَكَر به رجلين، فإذ به ينعتهما بـ (دراويش على باب الله)... فما أحسن الأدب وأجمله!

فالله اسألُ أن يُحسِن إليه مثلما أحسن إليهما، وكلنا على باب الله وُقوف.

(٢) أقدم تواريخ لحصر الأنفس "تعداد النفوس" بالقطر المصري

مما اعتنيت بحصره؛ أقدم تواريخ حصر الأنفس للقرى المصرية إبان عهد محمد علي باشا والي مصر زمن الخلافة العثمانية، فكان مما وجدته ما يلي:

١) سنة ١٢٥٥ هـ: بلدة وحيدة "ميت العرابا" بمديرية الدقهلية.

٢) سنة ١٢٥٨ هـ: بلدة وحيدة "البيلوق" بمديرية الدقهلية.

٣) سنة ١٢٥٩ هـ: بلدة وحيدة "أوليلة" بمديرية الدقهلية.

٤) سنة ١٢٦٠ هـ: بلدة وحيدة "ميت دمسيس" بمديرية الدقهلية.

٥) سنة ١٢٦١ هـ: "العقبلة"، و"دلهانس" بمديرية المنيا، وسجل باسم "نواحي مختلفة من ١٢٦١ – ١٣١٣ هـ".

٦) سنة ١٢٦٢ هـ: (٢٨٧ بلد).

٧) سنة ١٢٦٣ هـ: (٥٥٢ بلد).

٨) سنة ١٢٦٤ هـ: (٢٨٩٩ بلد) وقد شمل إحصاء هذه السنة أغلب نواحي القطر المصري؛ إن لم يكن جميعه!

٩) سنة ١٢٦٥ هـ: بلدة وحيدة "كفر سليمان موسى" بمديرية الشرقية.

١٠) سنة ١٢٦٨ هـ: "جراج"، و"دير عوام" بمديرية الدقهلية.

١١) سنة ١٢٦٩ هـ: "الزاوية الحمراء" بمديرية الشرقية، "العجيرة"، "القيطون"، "طصفا"، "ميت النصارى"، و"شنبارة الميمونة" بمديرية الدقهلية.

١٢) سنة ١٢٧٠ هـ: (٨٤ بلد).

١٣) سنة ١٢٧١ هـ: (٣٧٨ بلد).

١٤) سنة ١٢٧٢ هـ: (١١٢ بلد).

١٥) سنة ١٢٧٣ هـ: (٣٤ بلد).

١٦) سنة ١٢٧٤ هـ: (١٢٩ بلد).

١٧) سنة ١٢٧٥ هـ: (٩ بلاد).

١٨) سنة ١٢٧٦ هـ: (٣٢ بلد).

١٩) سنة ١٢٧٧ هـ: (٧٩ بلد).

٢٠) سنة ١٢٧٨ هـ: (١٢٦ بلد).

٢١) سنة ١٢٧٩ هـ: (٥٩ بلد).

٢٢) سنة ١٢٨٠ هـ: "سندوب" بمديرية الدقهلية، "منشأة ربيع" بمديرية الفيوم، "الخربة"، و"النجوع" بمديرية قنا، الأرمن بمصر المحروسة.

٢٣) سنة ١٢٨١ هـ: (٤١١ بلد).

٢٤) سنة ١٢٨٢ هـ: (١٢ بلد).

٢٥) سنة ١٢٨٣ هـ: (٣٥ بلد).

٢٦) سنة ١٢٨٤ هـ: (٣٤٤ بلد).

٢٧) سنة ١٢٨٥ هـ: (٥٦١ بلد).

٢٨) سنة ١٢٨٦ هـ: (٣٤ بلد).

٢٩) سنة ١٢٨٧ هـ: مشايخ عربان الشرقية المطلوبين لمأمور عربان بحري.

٣٠) سنة ١٢٩٠ هـ: "قبيلة البعالوة - شياخة محمد حسن" ضمن قبيلة الطميلات.

٣١) سنة ١٢٩١ هـ: "عرب الشنابلة" بمديرية أسيوط.

٣٢) سنة ١٢٩٦ هـ: (٦١ بلد).

٣٣) سنة ١٢٩٧ هـ: (٧٤ بلد).

٣٤) سنة ١٢٩٨ هـ: (١٥ بلد).

٣٥) سنة ١٢٩٩ هـ: "أبو الغيط"، "قها"، و"فاقوس" بمديرية القليوبية، "سنهور"، و"ههيا" بمديرية الشرقية.

٣٦) سنة ١٣٠٠ هـ: "عربان النجمة"، و"عربان النجمة ٢" بمديرية الجيزة، "نزلة عمارة" بمديرية جرجا.

٣٧) سنة ١٣٠٢ هـ: "عائلة ربيع شحاتة" بكفر إسماعيل.

٣٨) سنة ١٣٠٦ هـ: (٢٩ بلد).

(٣) تعداد سجلات السجاجيد "الصوفية"

يوضح القانون المصري رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ م الخاص بمشيخة الطرق الصوفية أن بمصر عشرات من الطرق الصوفية؛ وبضع سجاجيد؛ ثلاثة فقط، وهم: (السجادة البكرية، السجادة الوفائية، السجادة العنانية)، وهم أقدم السجاجيد بمصر. وكانت لإحداهم «السجادة البكرية» ريادة وتقدم على كافة الطرق الصوفية بمصر منذ عهد محمد علي باشا، بل وقبل عهده أيضاً.

فأما السجادة البكرية (الصديقية): فهي المختصة بذرية أبي بكر الصديق،، رضي الله عنه، ولها سند صوفي متسلسل متصل إليه.

وأما السجادة الوفائية (الهاشمية): فهي المختصة بالسادة بني الوفا "السادة الوفائية" الأدارسة ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، ولها سند صوفي متسلسل متصل إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

وأما السجادة العنانية (العمرية): فهي المختصة بذرية الفاروق عمر بن الخطاب،، رضي الله عنه، ولها سند صوفي متسلسل متصل إليه.

وقد وجدتُ بسجلات مشيخة الطرق الصوفية المحفوظة بدار الوثائق القومية المصرية؛ أن هناك طرقًا أخرى اتخذت مسمّى السجادة!، فعملتُ على إحصاء عدد سجلات كل من تلك الطرق المسمّاة بالسجاجيد، ومن بينهم الثلاث سجاجيد المتقدم ذكرها. فوجدت أنهن عشرة سجاجيد، تتقدمهن "البكرية" في عدد السجلات بفارق كبير؛ ثم تليها "البرهامية"، وآخرهن "العنانية"؛ وتسبقها "النقشبندية".

وكان ذلك الإحصاء على النحو التالي:

١) السجادة البكرية: ١٢٥ سجلاً.

٢) السجادة البرهامية: ٦١ سجلًا.

٣) السجادة الرفاعية: ٤٤ سجلًا.

٤) السجادة الأحمدية: ٤١ سجلًا.

٥) السجادة الشاذلية: ٣٨ سجلًا.

٦) السجادة الوفائية: ٢٨ سجلًا.

٧) السجادة الخلوتية: ٢١ سجلًا.

٨) السجادة القادرية: ١٨ سجلًا.

٩) السجادة النقشبندية: ٤ سجلات.

١٠) السجادة العنانية: ٣ سجلات.

(٤) "تَفَرُّد" لقب شيخ مشايخ الطرق الصوفية

• أرشيف مشيخة الطرق الصوفية، كود / ٠٠٢٤٣١ — ٥٠٠٥، صفحة رقم ١:

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً في ٦ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ

٢٢ أبريل ١٩٤٢ م

مشيخة الطرق الصوفية والسجادة البكرية

سراي السادة البكرية

الخرنفش — مصر

الموضوع: وكيل المشيخة عن مديرية المنوفية

حضرة صاحب العزة عثمان بك لبيب

وكيل المشيخة عن مديرية المنوفية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فباطلاعنا على تقريركم الخاص بالمولد النبوي الشريف هذا العام لاحظنا أنكم تُلقّبون أنفسكم بشيخ مشايخ الطرق الصوفية بمديرية المنوفية — ولمّا كان لا يوجد مثل هذا اللقب، وليس هو لأي شخص، نرجو ملاحظة تلقيب (نفسكم) بلقب الوظيفة التي تملؤونها الآن، وهذا اللقب هو (وكيل مشيخة الطرق الصوفية والسجادة البكرية عن مديرية المنوفية).

وتقبلوا تحياتنا

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

والسجادة البكرية

٢٢ أبريل ١٩٤٢

(٥) أبو شديد الحويطي قاطن صنافير "المصرية"

محكمة قليوب، كود / ١٠٠٠٠٠١ – ١٠٧٩، صـ ١٠، سجل سنة ١٢٦٥ هـ، وفيه: (حضر المكرم شيخ العرب «صالح بن المرحوم عبد الكريم شديد» من عربان الحويطات، القاطن الآن بناحية صنافير).

صنافير (المذكورة هنا): بلدة بمحافظة القليوبية. وهناك صنافير أخرى: جزيرة بمضيق تيران جنوب شبه جزيرة سيناء "المصرية".

(٦) مدائح الجواري والمماليك والمعاتيق بمديرية القليوبية!

من مبالغات كَتَبة المحاكم الشرعية زمن الدولة العلوية «أسرة محمد علي باشا» بمصر:

١- بتاريخ شهر ذي القعدة ١٢٦٩ هـ / ناحية ميت حلفة: (..... ست الستات، وتاج المصونات المستورات، الماصونة، الجوهرة المكنونة، (خسارة) خاتون بنت عبد الله، معتوق سعادة جناب الخديوي الأعظم الحاج محمد علي باشا بناحية ميت حلفة، وبحضرة العمدة الفاضل الشيخ محمد إمام سعادة سليم باشا ابن المرحوم محمد، من أهالي سلمون بإقليم المنصورة، والمكرم سليمان أغا بن عبد الله خزيندار حضرة المرحوم محرم بيك سابقاً، والمكرم الشيخ خليل جلبي بن المكرم إبراهيم من أهالي أشمون (جريس).

٢- بتاريخ ١٢٤٩ هـ / ناحية بهتيم: (اشترى الجناب العالي، والنور المتلالي، حمزة بيك ميرالاي ثمانية عشر العساكر الجهادية...).

(٧) تأريخ لسنة ميلادية جريجورية بشهور قبطية!

أثار انتباهي خلال تصفّحي بعض سجلات محكمة «البلاص» الشرعية بمديرية قنا كتابة التأريخ الميلادي الجريجوري بشهور قبطية!، فيضعون بدلاً من الشهر الميلادي اسم الشهر المقابل له من الشهور القبطية، وقد فسّرت ذلك بجهالة كَتَبة المحاكم في ذلك الزمان بأسماء الشهور الميلادية، حيث لم يكونوا يعرفون سوى شهور السنة الهجرية التي تختص بأمور دينهم، وشهور السنة القبطية التي تختص بأمور دنياهم ومعاشهم وزروعهم وثمارهم وأوقات فيضان وجفاف نهر النيل.

وهذا نموذج مما وجدت:

محكمة البلاص الشرعية – بتاريخ ١٨ صفر سنة ١٢٧٥ هـ الموافق ١٧ توت سنة ١٨٥٩ م: (حضر لدينا الشيخ عبد الله عليو عمدة أهالي طوخ، الواضع اسمه وختمه فيه أدناه، وأشهد على نفسه اشهاداً صحيحاً شرعياً معتبراً مرضياً وهو بحالة الصحة والإختيار وليس لأحد عليه في ذلك إكراه ولا إجبار أنه تضمّن وتكفّل بالعيسوي مرقص صليب من أهالي ناحية السلمية تابع القصر والصياد، والعيسوي شنودة موسى من ناحية هو، طرفين في قبض وتسليم أموال الميري من الأهالي بناحية طوخ. شهادة إبراهيم رشوان من الناحية، وحامد عيسى وعبد العال عليو).

وأما مقابلات الشهور الميلادية والقبطية فهي كالآتي:

١- توت = الفترة من ١١ سبتمبر حتى ١٠ أكتوبر.

٢- بابه = الفترة من ١١ أكتوبر حتى ١٠ نوفمبر.

٣- هاتور = الفترة من ١١ نوفمبر حتى ٩ ديسمبر.

٤- كيهك = الفترة من ١٠ ديسمبر حتى ٨ يناير.

٥- طوبه = الفترة من ٩ يناير حتى ٧ فبراير.

٦-امشير = الفترة من ٨ فبراير حتى ٩ مارس.

٧- برمهات = الفترة من ١٠ مارس حتى ٨ أبريل.

٨- برموده = الفترة من ٩ أبريل حتى ٨ مايو.

٩- بشنس = الفترة من ٩ مايو حتى ٧ يونيو.

١٠-بؤونه = الفترة من ٨ يونيو حتى ٧ يوليو.

١١- ابيب = الفترة من ٨ يوليو حتى ٦ أغسطس.

١٢- مسرا = الفترة من ٧ أغسطس حتى ٥ سبتمبر.

١٣- نسيئ = الفترة من ٦ سبتمبر حتى ١٠ سبتمبر.

(٨) من جهاز العروس: فوطة حرير وجوز مركوب!

محكمة البلاص الشرعية - بتاريخ غرة ذي الحجة ١٢٧٦ هـ (إشهاد شرعي): الزوج الرجل بكير علي عيسى من الجانب الأوسط، والزوجة المرأة الثيب عسرانة بنت عمر عبد الله المغربي، والعاقد لها أخيها عمر بإذنها ورضيها بشهادة زيدان يوسف والشيخ أبو السعود عبد الله من الناحية، على مهر قدره ماية وخمسين غرش مقدم مقبوض بيد الوكيل بإقراره، والأقمشة بفتشين، وفوطة حرير، وجوز مركوب، و(المتوخر) (بذمت) الزوج المذكور ثمانية قروش، والمهلة في ذلك شهرين يمضي من تاريخه. زوجها بذلك عليه ذلك وقبل الزوج لنفسه، بشهادة الشهود أعلاه والرجل حسن علي من الناحية).

المركوب: هو الحذاء والنعل.

(٩) معاملات تجارية لشيخ العرب همام بنواحي إسنا

محكمة إسنا الشرعية – بتاريخ ١٤ رجب ١١٨٠ هـ: حضر إلى المجلس الشرعي الشريف بإسنا الرايس حسين حسن القرعاني وأشهد على نفسه الإشهاد الشرعي الصحيح أنه قبض وتسلم ووصل إليه وحصل على طمو مركبه العايمة بنهر النيل المبارك برسم المتبع بمصر المحروسة إلى حضرة الصدر الأجل المحترم الجليل المكرم حضرة شيخ العرب الشيخ همام يوسف وقدر ذلك (ملان) وخمسين أردب ونضور وربع من أردب غلال عدس بالمد المصري المعاير للصرف بناحية بني جميلة مطرد ذلك ستة وغرس أردب ونصور وربع وتمن من أردب ترمس عد العرف ببيان ذلك ما هو من عهدته متاووس القس وجرجس عدمات وسليمان (عابداحس) عن أردب من غلال سنة ١١٧٥ هـ ومن غلال ١١٧٩ هـ.

بشهادة الفقير علي عيسى زيان، عمر علي عبد القادر يونس، العوض أحمد مكي يوسف.

(١٠) مدرسة شيخ العرب همام يوسف بإسنا

محكمة إسنا الشرعية: أشار سجل إشهاد شرعي بتاريخ سنة ١١٧٧ هـ إلى وجود مدرسة بمدينة إسنا، بناها (حضرة شيخ العرب همام يوسف). وبمحضر الإشهاد الشرعي شهادة: الفقير عنان أحمد الكلابي.

(١١) المطعني القصاصي

محكمة إسنا الشرعية – بتاريخ سنة ١١٧٧ هـ (زواج): الزوج سعد علي سعيد المطعني القصاصي، الزوجة الست البكر فطم مشهورة بعسيرة بنت عسيري محمد المطعني.

(١٢) بلاغ بضياع (ختم) أول نائب ببلاد المطاعنة

محكمة إسنا الشرعية: في تاريخه أدناه حضر الرجل الكامل المكرم الشيخ عبد الرحمن خالد عمدة الكيمان بالمطاعنة، وعرف أن خاتمه الفضة المنقوش باسمه قد ضاع منه في يوم الثلاثاء الموافق (ستة أبيب ١٥٨٦ قبطي) ببلدته بناحية الكيمان، وطلب منا تحرير هذا للمعلومية بوقت ضياع الختم المذكور، وتسجيله بالسجلات لدينا، وقد تم تسجيله كذلك ضبطاً للوقائع.

بتحرير يوم الأحد ثمانية عشر ربيع الآخر سنة ١٢٨٧ هـ.

كتبه الفقير لربه الكريم حسن إبراهيم الضوي عفي عنه.

شهد بذلك: حسن سلام شديدي شيخ بطفنيس، محمد أحمد الحفني.

(١٣) كفالة عمدة أصفون المطاعنة بضمان غرم

محكمة إسنا الشرعية - جزء أول اشهادات شرعية (من جمادى الثانية ١٢٨٦ إلى جمادى الثاني ١٢٨٧ هـ)، كود / ١٠٠٠٤٠١ - ١١٦٩:

صورة سند ضمان مضمونة بالمحكمة الشرعية بمدينة إسنا، هذا الضامن الرجل الكامل الشيخ حسن سليم سلامة عمدة أصفون المطاعنة، وهذا المصدق الرجل الكامل الشيخ حسن عامر أغا محمد من عمد الناحية المذكورة (الواصف) واسمائهم وأختامهم فيه أعلاه.

وأقر الضامن المذكور واعترف بأنه ضمن وتكفل الرجل الكامل عبد الرحيم أفندي بن المرحوم أحمد عبد التواب من إسنا، في استخدامه ناظر الشونة (مصلح) ادفو (توت سنة ١٥٨٦ قبطي) ضمانة وكفالة غرم، فإذا ظهر عجز أو انكسار في ذلك فيكون مطلوباً من الضامن المذكور....(إلخ).

تحريراً في يوم الخميس غرة ربيع الآخر سنة ١٢٨٧ هـ.
كتبه الفقير عبد الكريم عبد ربه سليمان.
شهد بذلك: حسين عبد الله بكر راجح.

(١٤) كفالة عُمد ثلاث قرى لصرّاف الحكومة بناحية البصيلية

محكمة إسنا الشرعية – بتاريخ سنة ١٢٨٦ هـ (ضمان شرعي): الضامن حسين خليفة أغا محمد عمدة البصيلية، عبد النبي أبو الخير سلامة عمدة كومير، الشيخ عثمان حسين رمضان عمدة السبيعية.....

لكفالة المعلم أباديس سعد غطاس من فاو قبلي، في استخدامه صرافاً بالجانب البحري بناحية البصيلية.

(١٥) لم أرى قطيعة رحم كهذه!

محكمة إسنا الشرعية – بتاريخ المحرم سنة ١١٧٧ هـ: حضر بالمحكمة بمدينة إسنا علي محمد إسكندر وأخيه شقيقه عثمان والحاج مسلم حمد، وأشهد على نفسه على الذكور أنه لا يزوج أولاده من ذرية عثمان المذكور ولا من ذرية الحاج مسلم المذكور ولا من إخوته ولا من بنات إخوته وكذلك عثمان والحاج مسلم المذكورين لا يزوجان ذريتهم الذكور ذرية علي الذكور والإناث ولا من ذرية ذريته الإناث، وصار علي المذكور فريق. وصارا عثمان والحاج مسلم المذكورين فريق آخر.

شهادة حسن أحمد الزناتي، (...) عبد الرسول، الفقير حسين أحمد، علي أحمد (المرسوصي).

فهرس